

قضايا راهنة

الدكتور سميح الحسن

تدقيق:

الدكتور محمد العمر

الدكتور محمد موعد

الدكتور محمد الرفاعي



ISSN: 2617-989X



Books & Refrences

قضايا راهنة

الدكتور سميح الحسن

من منشورات الجامعة الافتراضية السورية

الجمهورية العربية السورية ٢٠٢٠

Current Affairs

Samih Alhasan

Publications of the Syrian Virtual University (SVU)

Syrian Arab Republic, 2020

الفهرس

الوحدة التعليمية الأولى

العولمة والأخلاق

أهمية الوحدة الأولى:

تعد هذه الوحدة من الأهمية بمكان فهي أساس لدراسة العولمة وما رافق دراستها من إشكاليات في التعريف والأسباب وطرق مواجهة العولمة.

الأهداف التعليمية:

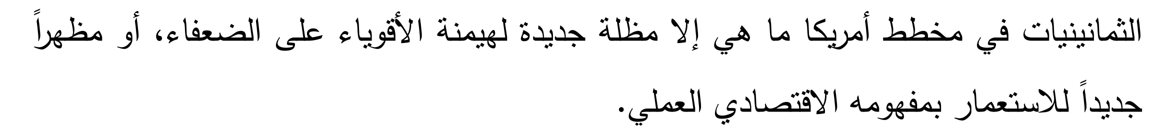
بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف العولمة ويبين مراحل نشأتها.
2. يعدد أنواع العولمة وأهم مظاهرها وأسبابها ووسائلها.
3. يذكر الآثار الإيجابية والسلبية للعولمة وأهم طرق مواجهتها.
4. يبين أخلاقيات العولمة في المفهومين الغربي والإسلامي.
5. يبين ما هي التحديات التي تأتي بها العولمة.

الكلمات المفتاحية:

العولمة –الهيمنة –النشوء –الصراع –الثقافية –الاقتصادية – الاشتراكي – العلمية – الرأي – الإقليمية – الباردة – تغريب التقليدية – الآثار – التحديات – مواجهة – أخلاق – طرق – أسباب – مظاهر – الإسلامية.

اولاً: مقدمة



الصراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين القوة والضعف، قديم في أعماق التاريخ، فيشتد أحياناً ويضعف أخرى.

وبما أن المسلمين هم أعلام الحق والإيمان والهدى والنور، والخير والفضيلة والأخلاق، فإنهم كانوا ولايزالون هدفاً مركزاً لأنصار الباطل والضلالة والتسلط والشر، والتسلل من القيم العليا، ومحاولة إحباط الوجود الإنساني.

والعولمة التي بدأت تظهر بعد منتصف الثمانينيات في مخطط أمريكا ما هي إلا مظلة جديدة لهيمنة الأقوياء على الضعفاء، أو مظهراً جديداً للاستعمار بمفهومه الاقتصادي العملي.

وقد تظاهر آلاف مؤلفة في ثلثي العالم ضد العولمة بمناسبة المنتدى الاقتصادي العالمي السنوي الذي عُقد في نيويورك بين 1 و2002/2/4 م[1].

ومن المعلوم أن الاستعمار القديم المادي التركيب ثم الحديث من خلال التدخل في شؤون العالم النامي، ومحاولة الهيمنة عليه بإيجاد أنظمة موالية للنفوذ الأمريكي أو الغربي، ثم ظاهرة العولمة، كلها ضربات أو صفعات جارحة ومؤلمة لما يسمى بالأخلاق السوية والمصالح الوطنية، لأن العولمة في الواقع تعني سيطرة الدول الكبيرة والغنية على الدول الفقيرة أو الصغيرة، ومحاولة إخضاعها على نحو بطيء، وتمهد له التكتلات الاقتصادية.

فالعولمة ما هي إلا ترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر بعد انهيار النظام الاشتراكي في روسيا وأوربا الشرقية، ولإقامة نظام عالمي ذي قطب واحد بزعامة أمريكا أغنى وأقوى دولة، وتتوطن فيها أغلبية القوة الاقتصادية العائدة للشركات الضخمة.

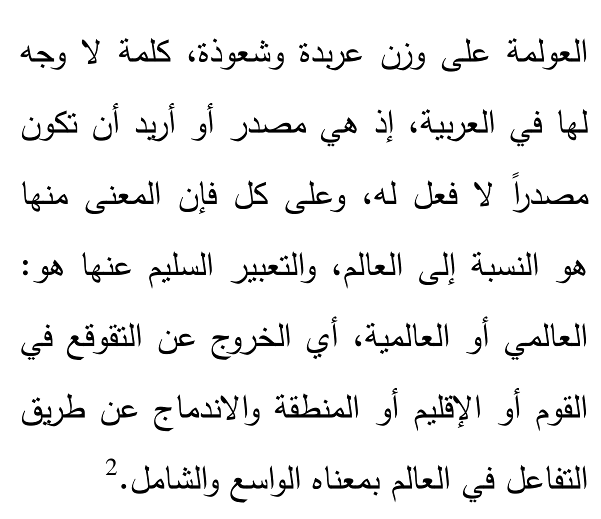
---

[1]– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006، ص 654.



ثانياً: تعريف العولمة ونشأتها





1. تعريف العولمة:

العولمة على وزن عريدة وشعوذة، كلمة لا وجه لها في العربية، إذ هي مصدر أو أريد أن تكون مصدراً لا فعل له، وعلى كل فإن المعنى منها هو النسبة إلى العالم، والتعبير السليم عنها هو: العالمي أو العالمية، أي الخروج عن التقوقع في القوم أو الإقليم أو المنطقة والاندماج عن طريق التفاعل في العالم بمعناه الواسع والشامل.[2]

وهي العملية التي يتم فيها تحويل الظواهر المحلية أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية.

ويمكن وصف العولمة بأنها عملية يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع واحد لكي تتضافر جهودهم معاً نحو الأفضل، وتمثل هذه العملية مجموع القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية.

وإن الإحاطة بكل ما أنتجه الفكر الغربي في تعريفه لظاهرة العولمة أمرٌ يقرب من المحال، لذا يجدر الإشارة إلى أهم التعريفات[3] وهي:

أ. عبارة عن تقليل أو إلغاء القيود المفروضة من قبل الدولة على كل عمليات التبادل التي تتم عبر الحدود وازدياد ظهور النظم العالمية المتكاملة والمتطورة للإنتاج والتبادل نتيجة لذلك.

ب. أو هي أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الأوروبية في العصر الحديث، والتي بدأت منذ الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر.

والعولمة تعبير عن مركزية دفينة في الوعي الأوروبي تقوم على عنصرية عرقية وعلى الرغبة في الهيمنة والسيطرة.

---

[2]– يغالطونك إذ يقولون، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، ط3، 2000، ص 335.

[3]– عولمة القهر, د.جلال أمين، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002، ص 7, والعرب والعولمة, منذر خدام، دار الكتب والوثائق، دمشق، 2009، ص 12 فما بعد، وانهيار مزاعم العولمة، عزت السيد أحمد، اتحاد الكتاب، دمشق، 2000، ص 12.

2. نشأة العولمة:



هناك من يرى أن العولمة نشأت منذ بدء الخليقة، وأن التفاعل والحراك في تاريخ الإنسانية هو أحد أنواع العولمة لأن فيه الرغبة في السيطرة والهيمنة وإثبات الذات وتحقيق الغايات، في حين يرى فريق آخر من المفكرين أن العولمة ظاهرة حديثة بدأت مع العصر الحديث، بينما يرى فريق ثالث أن تاريخ اكتشاف القارة الأمريكية هو نقطة البداية لنشوء العولمة، وذلك لأن العالم كله أصبح في دائرة التفاعل والنشاط الإنساني، ولم يعد هناك مكان خارج دائرة الحراك الإنساني وإذا أردنا ذكر مراحل تطور العولمة في التاريخين الحديث والمعاصر فيمكن القول إن العولمة مرت بخمس مراحل هي[4]:

المرحلة الأولى: المرحلة الجنينية استمرت في أوروبا منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى أواسط القرن الثامن عشر الذي شهد النمو الأولي لجماعات القومية، وتعمق الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية.

المرحلة الثانية: مرحلة النشوء: وكانت في أوروبا منذ أواسط القرن الثامن عشر حتى عام 1870م وما بعده، وتتسم بالتحول الجذري نحو فكرة الدولة المتجانسة الواحدة، وتبلور مفاهيم عن العلاقات الدولية، ووضع مقاييس للأفراد كمواطنين، وظهور مشكلة قبول مجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وطرح قضية النزعتين القومية والدولية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانطلاق: استمرت من سبعينيات القرن الثامن عشر حتى أواسط عشرينيات القرن العشرين، وتميزت بظهور مفاهيم عالمية عن "الصورة المثالية" لمجتمع دولي

4- العرب والعولمة، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 115، والعولمة، محمد سعيد أبو زعرور، دار البيارق، عمان، ط1، 1998، ص 95، من العالمية إلى العولمة، عبد البديع أحمد عباس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط، 1999، ص 94 فما بعد.

مقبول ضم بعض المجتمعات غير الأوروبية إلى المجتمع الدولي، وظهور الصيغة الدولية ومحاولة تطبيق أفكار عن الإنسانية وزيادة هائلة في عدد أنماط الاتصال العالمي وسرعتها والحرب العالمية الأولى، وتأسيس عصبة الأمم.

المرحلة الرابعة: مرحلة الصراع: شهدت صراعاً على الهيمنة العالمية، واستمرت من عشرينيات القرن العشرين حتى أواسط الستينيات منه، ومن ملامحها نشوب الجدل حول المصطلحات الهشة لعملية العولمة، ونشوب صراعات دولية حول أساليب الحياة والجدل حول طبيعة الإنسانية ومستقبلها بعد ظهور القنبلة الذرية، وتأسيس الأمم المتحدة.

المرحلة الخامسة: مرحلة عدم اليقين: بدأت في ستينيات القرن الماضي واتجهت نحو التأزم في أوائل تسعينياته، ومن سماتها: إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي، وتصاعد الوعي الكوني والهبوط على سطح القمر، ونهاية الحرب الباردة، وانتشار الأسلحة النووية، ونهاية القطبية الثنائية، والاهتمام بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية، واندماج النظام الإعلامي العالمي[5].

وهناك آراء أخرى لا مجال لذكرها حتى لا يطول بنا الكلام، وخلاصة القول إن الولايات المتحدة تسعى إلى فرض هذا النظام على العالم أجمع بدعوى تحرير الاقتصاد وزيادة التجارة الدولية.

---

[5]– العولمة والخيارات العربية المستقبلية, عبد العزيز المنصور, مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد الثاني العدد الثاني.

تأثير العولمة السياسية على العالم العربي, محمد جميل الشخيلي، ص 210.

ثالثاً: أنواع العولمة

للعولمة أنواع متعددة ثقافية واقتصادية وسياسية وإعلامية وغيرها.

1. **العولمة الثقافية:** وتعني: تغريب الثقافات الوطنية بواسطة قوى الإعلام والتقنية الجديدة، وانتشار التوكيلات التجارية في أسواق العالم، وهي نوع من الغزو الفكري والثقافي والقيمي على مستوى العالم كله، وتفرض نموذجاً معيناً ونمطاً محدداً في التفكير والقيم والسلوك، وهي نموذج الأقوى والأغنى والأقدر مادياً وتكنولوجياً، وإذا كانت أغلب الشعوب لا تقدس قيماً معينة إلا على أنها مجرد أعراف ومصطلحات وقيم ومنافع، فإن المتضرر الوحيد هم الذين يدينون بدين سماوي وفي قمته المسلمون أبناء الإسلام ذي المصدر الإلهي، ويحتضن ثقافة وأخلاقاً وقيماً وسلوكيات مرتبطة بالعقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات الشرعية، وفي نطاق أحكام المرأة والأولاد والأسرة.[6]

وذلك بنقل مجموعة القيم الغربية الى أجزاء العالم المختلفة عن طريق تكنولوجيا الاتصال الفضائية المشبعة بمصالح الرأسمالية الأمريكية، وتريد فرضها الآن مستغلة انهيار الاتحاد السوفيتي "النظام الاشتراكي" وانتهاء الحرب الباردة بين الغرب والشرق، مما زاد شراسة الآلة الإعلامية الغربية.

ويظهر خطر هذا النوع على الهوية الثقافية بشكل واضح، لأنه يقضي تدريجياً على الخصوصيات الثقافية والتقانة الوطنية والاستقلال الوطني بما يهدد في إلغاء وحدة ثقافة الأمة ووحدة الوطن، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير.

وأخيراً أقول: إن العولمة الثقافية تحاول دفع القيم حول المرأة والأسرة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكل والملبس بدفعة عالمية واحدة.

---

[6] – العولمة والهوية الثقافية، محمد الجوهري دار الأمين، القاهرة، ط1، 2004، ص 124.

2. **العولمة الاقتصادية:** هي أصل العولمة وأكثر أنواعها وضوحا وتركيزاً، لأنها تسعى الى إبراز عالم بلا حدود اقتصادية، وملء الساحة العالمية بنشاط اقتصادي عبر الشركات العابرة للقارات، مثل شركات السيارات في أمريكا، واليابان وغيرها.

هذه العولمة ترتكز إلى مبدأ أساسي هو حرية التبادل (التجارة) لأنها الكفيلة بتحقيق أعلى المرابح، ومخاطر هذا النوع أشد من الناحية المادية على وجود الشعوب الأخرى، لأن العولمة في الأصل تكتل اقتصادي للقوى العظمى للاستثمار والظفر بثروات العالم ومواده الأولى وأسواقه، على حساب الشعوب الفقيرة والبلاد المتخلفة اقتصادياً لعدم توافر شروط المنافسة الكاملة فيما بين الدول الفقيرة والدول الغنية[7].

3. **العولمة الاجتماعية:** وهي إحلال العادات والتقاليد والأعراف الغربية محل الأخلاق الدينية ولاسيما الإسلامية، فلا قيمة ولا اعتباراً لما يسمى بالعِرض، ويروج لفردية النظام الأسري، وإقرار العلاقات الجنسية الشاذة، وحرية انتهاب اللذات والشهوات بغير ضوابط وجعل الخيانة الزوجية من الرجل أو المرأة شيئاً عادياً، أو قضية فردية متعلقة بالزوج، ولا صلة لها بحق الله أو حق المجتمع في المفهوم الديني الإسلامي، فإن عفا الزوج عن انحراف أو فاحشة زوجية فلا دخل للقضاء حينئذ. وأدى هذا إلى ظهور أمثلة فاضحة لبعض كبار المسؤولين وإنجاب أولاد بطريقة غير شرعية، وكذلك إقرار البرلمانات الزواج المثلي، أي زواج الذكور ببعضهم وكذلك الإناث.[8]

4. **العولمة السياسية:** وهي تعني الهيمنة السياسية الأمريكية أو الغربية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، وانفراد المعسكر الأمريكي بالسيطرة على العالم، ومحو الإرادة الوطنية المستقلة للشعوب والدول، فهي تتناقض مع وجود الدولة الوطنية المستقلة، وتتطلب العولمة فتح الحدود أمامها، ورفع الدولة يدها عن الحواجز الجمركية، وتوفير

---

[7]– العولمة ومستقبل العالم الإسلامي, د. فتحي يكن وسامر طنبور, ص 12، العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، نعيمة الشوفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ص 85.

[8]– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 659، العولمة وتحولات العالم، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2003م، ص 72.

حرية انتقال الأموال عبر البنوك التجارية، وحرية تغير أسعار الصرف بحسب أسعار السوق الدولية، وطبقاً لسياسة العرض والطلب، وبذلك لا تكون وظيفة الدولة حماية الاقتصاد الوطني بل تشجيع الاستثمار الأجنبي، أي أن العولمة تتطلب الدولة الرخوة، وليست الدولة القوية الوطنية المستقلة، وحينئذ تكون أمام شمولية رأسمالية تضاهي الشمولية الشيوعية وتتعداها، ورأسمالية حازمة تسعى عبر الثقافة والتكنولوجيا وقوة العسكر إلى الإمساك بزمام الأنظمة السياسية من خلال نفوذها الدولي على الساحة العالمية واستغلال المنظمات الدولية[9].

5. **العولمة الإعلامية:** وتدور حول البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية، وحول شبكة الإنترنت التي تربط البشر في كل أنحاء المعمورة.

[9]- العرب والعولمة، د.جلال أمين، ص 153 فما بعد، العرب والعولمة، الجوانب التكنولوجية، نبيل علي، ط3، 2000م، ص 116.

رابعاً: مظاهر العولمة

للعولمة مظاهر كثيرة، من أهمها[10]:

1. الثورة العلمية التكنولوجية: إن تكنولوجيا المعلومات أدت إلى تطور تكنولوجيا النقل والاتصال لإلغاء حواجز النقل والمسافة بين مختلف البلدان، كما تنامى نقل السلع جواً وبسرعة بين أسواق متجاورة، كما تطورت وسائل الاتصال الإلكترونية، وهو ما أتاح لمصانع ومنظمات خدمية أن تخدم أسواقاً أوسع أو أكثر.
2. صناعة الرأي والتحكم في أنظار الجمهور ومعرفة ميولهم واتجاهاتهم، فقد بلغ مجموع الإنفاق على الإعلان في أمريكا عام 1972م ما يقارب من "23" بليون دولار، وقدر ما أنفق على التلفزيون القومي والمحلي بما يقارب من "4,1" بلايين دولار، وأما الصحف والمجلات فقد بلغ مجموع ما أنفق عليها "8,4" بلايين دولار، وبلغت نسبة المسلسلات الأمريكية للتسلية والترفيه لإحداث التغير في البنى القديمة والنُسُق الاجتماعية المتوارثة في تلفزيون إيران عام 1972 (70%) من برنامج التلفزيون، وقد أثرت في النزعات الاستهلاكية على الرغم من مصادمتها مقدرة الفرد ودخلَه المحدود.

   كما نجد أن وسائل الإعلام المصرية قد أثرت في البلاد العربية لكون المسلسلات التلفازية المصرية هي الأكثر انتشاراً في البلاد العربية لسهولة اللغة الدارجة المصرية وتأثير الكُتاب المصريين على القوى الثقافية في البلاد العربية[11].

   وصارت هيمنة الولايات المتحدة واضحة في الجوانب الاقتصادية، وفي الوسائل الثقافية معاً بسبب هيمنتها على وسائل الإعلام العالمية، ومكنت هذه الوسائل الثقافية من هيمنة الدولة واختراقها الخصوصية الحضارية لشعوب العالم.
3. التكتلات الإقليمية: منذ أواخر الخمسينيات بدأت بوادر التكتل الإقليمي بظهور السوق الأوروبية عام 1959م، ثم السوق الأمريكية الشاملة عام 1994، ثم سوق ميركوسور الأمريكية الجنوبية عام 1995، وأخذت هذه التكتلات شكل أسواق مشتركة تُنزَع منها جميع قيود التجارة وتسود الحرية في انتقال السلع ورؤوس الأموال العالمية.

---

[10]– العرب و العولمة، د.جلال أمين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م، ص 156.

[11]– العولمة: معناها ومبناها, مقال في جريدة الرياض، العدد 1156 لعام 1420هـ، نقلاً عن قضايا الفكرية والفكر المعاصر د.وهبة الزحيلي ص 660، آثار العولمة على البلدان المتنامية، دار التراث العالي، القاهرة، 2002م، ص 112.

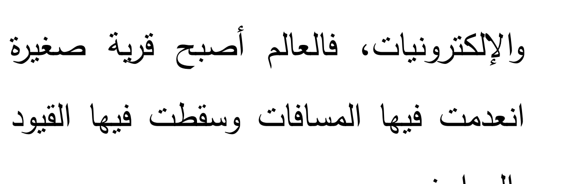
4. تدويل بعض المشكلات الاقتصادية حيث أظهرت العولمة الكثير من المشكلات الاقتصادية على الساحة الدولية مثل: الفقر، التنمية المستهدفة، التلوث، حماية البيئة، التنمية البشرية، والتوجه العالمي لتنسيق عمليات معالجة هذه المشكلات والتعاون لحلها.
5. التحالفات الاستراتجية لشركات عملاقة: فقد تحولت شركات كبيرة أنهكها التنافس من استراتيجيات التنافس إلى استراتيجيات التحالف، والهدف تقليل كلفة التنافس والبحوث والتطوير.

ومن أمثلة التحالفات تحالف "توشيبا" مع "موتورولا" في صناعة وتسويق وسائل الاتصال الإلكترونية، وفي صناعة السيارات تحالف كل من "فورد" مع "مازدا"، وجنرال "موتورز" مع "تويوتا"[12].

[12]- العولمة ذلك الخطر القادم, مصطفى رجب، ص 70، والعولمة والتجارة الدولية, محمد إبراهيم عبد الرحيم، ص 15 فما بعد، حقائق العولمة العالمية، محمد عابد الجابري، دار التراث العربي، بيروت، 1997م، ص 165.

خامساً: أسباب العولمة

أهم الأسباب التي أدت إلى بروز ظاهرة العولمة هي:



1. انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي عام 1989 الذي كان يشارك أمريكا زعامة العالم.
2. وجود فائض في الإنتاج العالمي وحاجة الدول الصناعية إلى أسواق خارجية.
3. البحث عن الاستثمار والربح المضمون وسهولة تنقل رؤوس الأموال إلى مناطق اليد العاملة الرخيصة.
4. التطورات التكنولوجية وثورة الاتصالات والإلكترونيات، فالعالم أصبح قرية صغيرة انعدمت فيها المسافات وسقطت فيها القيود والحواجز.
5. التوجيهات الاقتصادية العالمية المنبثقة من اتفاقية منظمة التجارة العالمية.
6. زيادة الأهمية النسبية للأسواق المالية على المستوى العالمي.
7. التطورات الهيكلية في صناعة الخدمات المالية[13].

---

[13]– العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي, الملتقى الأول لمواد الجغرافيا والاقتصاد، الفجيرة, الإمارات العربية المتحدة.

سادساً: وسائل العولمة

تحاول العولمة تغريب[14] العالم بوسائل كثيرة مختلفة منها[15]:



1. التحكم في مسار تطور البنى التقليدية بالقدر الذي يسمح بتصريف منتجات الدول الرأسمالية الكبرى، والبحث عن أسواق جديدة وتشجيع الثقافة الاستهلاكية.



2. العمل على تغريب الثقافات الوطنية بواسطة قوى الإعلام والتقنية الجديدة وانتشار التوكيلات التجارية في أسواق الخليج وغيرها.

---

14 – التغريب: هو فرض الأنماط الغربية على العالم كله.

15 – العولمة الثقافية وأساليب مواجهتها، د.صالح حسين سليمان، عمان، الأردن، 2008 م، ص 18، العولمة والتربية، أحمد عبدالله العلي، دار الكتاب الحديث، الكويت،2000م، ص 21.



3. توظيف العلم للاختراق الثقافي بهدف طحن الهوية الوطنية والهيمنة على الثقافة كماً وكيفاً، وتقليد مناهج الغرب في مفردات المواد الدراسية دون النظر إلى حاجات السوق المحلية، مما جعل أكداساً من خريجي الجامعات عاطلين عن العمل.



4. دعم سياسات المؤسسات الدولية، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وتشجيعه على الخصخصة في العالم، واتباع سياسة السوق الأمريكية الحرة، وأدى هذا إلى مشاركة الشركات الأمريكية والأوروبية واليابانية في رأسمال الشركات في الدول الفقيرة.



5. نقل الصناعات التقليدية من المركز الرأسمالية إلى أسواق العالم الثالث حيث تكون الأيدي العاملة رخيصة، وهذا على المدى الطويل يعود بالنفع على الشركات العالمية[16].

---

[16]- العولمة والتربية، أحمد عبدالله العلي، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2002م، ص 21، قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 661-662، العولمة والثقافة الإسلامية، محمد الجوهري، دار الأمين، القاهرة، 2002م، ص 130.

سابعاً: آثار العولمة

للعولمة آثار ايجابية وآثار سلبية سنذكرها بشيء من الإيجاز:

1. الآثار الإيجابية للعولمة:

إن الباحث في ظاهرة العولمة يمكن أن يقف على نقاط إيجابية عدة، نذكر منها:

- الارتباط والترابط الاتصالي بين الأفراد الذين يعيشون المجتمع العالمي الواحد.
- توحيد لأسواق العالم يتم فيه تجاوز كل الحواجز الفاصلة بين الأمم عبر معابر المصالح المشتركة.
- العمل على تسريع تطبيق التكنولوجيا الحديثة بتطوراتها السريعة المتلاحقة، فهي فرصة هائلة من أجل الاستفادة من هذا التطور الجديد وبفاعلية كاملة.
- إتاحة الفرص للوصول إلى المعرفة الشاملة التي في حوزة الآخرين في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماع.
- فتح العديد من الفرص أمام الدول النامية بما في ذلك النمو القائم على التصدير المتخصص في الإنتاج ونقل التكنولوجيا.
- فتح آفاق جديدة للتنمية الاقتصادية المستدامة والبشرية.[17]

[17]– تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي، أحمد سيد مصطفى، ص 7، وعولمة الاقتصاد في الميزان, محي محمد مسعد، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2008م، ص 25، الإسلام في عصر العولمة، محمود حمدي الزقزوق، مكتبة الشروق، ط1، 2001م، ص 18.

2. الآثار السلبية للعولمة:

بعد عرض الآثار الإيجابية للعولمة نبين أهم آثارها السلبية وهي:

- سحق الثقافة والحضارة المحلية الوطنية، وإيجاد حالة اغتراب ما بين الفرد وتاريخه الوطني والموروثات الثقافية والحضارية التي أنتجتها حضارة الآباء والأجداد.
- استباحة الخاص الوطني، وتحويله إلى كيان رخو ضعيف غير متماسك وبصفة خاصة عندما يكون هذا الخاص لا يملك القدرة على التطور أو إعادة تشكيل ذاته بشكل جديد قابل للتكيف مع تيار العولمة.
- السيطرة على الأسواق المحلية من خلال قوى فوقية تمارس سطوتها وتأثير ذوي النفوذ القوي على الكيانات المحلية الضعيفة وسحقها وتحويلها إلى مؤسسات تابعة لها[18].
- التفاقم المتزايد في المشكلات الاجتماعية وأبرزها: البطالة وتقلص الخدمات.
- زيادة التركيز على الثروة على المستوى الدولي، وهذا يؤدي إلى تفكيك المجتمعات وزيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء.
- زيادة فرص انتقال الأزمات المالية وزيادة حدتها بسبب تحرير الأسواق المالية والنقدية[19].

[18]– عولمة الاقتصاد في الميزان, محي محمد مسعد، ص 28، العولمة الثقافية آثارها وأساليب موجهتها، د.صالح حسين سليمان، عمان، الأردن، 2008م، ص 6 فما بعد.

[19]– العولمة ذلك الخطر القادم, مصطفى رجب، مؤسسة الوراق للنشر، ط1، 2008م، ص 35.

ثامناً: التحديات التي تأتي بها العولمة

إن التحديات التي تأتي بها العولمة وتطال في هذا المحور كل العناصر المكونة للوجود الديني أو الانتمائي للدول المستهدفة عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة، ومن ذلك:

1. تحريف المفاهيم الدينية كي تتفق مع الأفكار الفكرية التي تروجها العولمة المعاصرة، وذلك باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضاداً للعقلانية العلمانية.
2. إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية، وذلك بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها، وعقد الندوات واللقاءات التي تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية.
3. إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية مثل: الجامعات التبشيرية، ومراكز اللغات والترجمة، ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية، والخطورة كل الخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على النهج المريب من التغريب، وهي أجيال لن تعود لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها، ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون من المدارس العربية، وكأننا بذلك نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية، تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم[20].
4. يعد الإعلام مرتعاً خصباً وميزاناً فسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة الفواحش والمنكرات من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية.

إن المخاطر المحدقة بالثقافة العربية والإسلامية من جانب العولمة المعاصرة، وبخاصة مع ظهور وسائل الإعلام الحديثة كالإنترنت والقنوات الفضائية وغيرها التي تعمل على نشر ثقافة العولمة، وتهدف إلى تعريض المقومات الحضارية للأمة كالدين واللغة والثقافة، يتطلب من جميع فعاليات الأمة السياسية والتعليمية والثقافية والاقتصادية وغيرها التعاون من أجل

1- المسلم بين الهوية الإسلامية والجاهلية, علي بن نايف الشحود، ص 160.

وضع خطة استراتيجية محكمة كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية من أجل إنقاذ شباب الأمة وحمايتهم من الانحراف الأخلاقي والسلوكي[21].

تاسعاً: طرق مواجهة العولمة

من خلال مفهوم العولمة وأنماطها وتحدياتها يمكن تقرير مدى خطورتها على المواطن في العالم العربي والإسلامي، ما يؤكد على أهمية التصدي لآثارها السلبية، ومن الطرق التي يمكن اتباعها في ذلك ما يلي:

1. تطوير المناهج التربوية واشتمالها على قضايا العصر الأكثر إلحاحاً خصوصاً تلك التي تتعارض مع قيم المجتمع بما يؤدي الى ترسيخ عقيدة الإيمان بالله وتأكيد قيم العلم، والحرية والانفتاح، وإقامة مشاعر السلام والأمان في عقول الناس.
2. التأكيد على أهمية الدور الذي تقوم به مؤسسات التنشئة الاجتماعية في غرس ودعم الخصوصية الثقافية لكل شعب في نفوس النشء وعقوله.
3. مواجهة الثورة التكنولوجية والتدفق المعرفي المتزايد بانتقاء النافع من المعلومات والقدرة على استخدام المعارف في إنتاج أفكار جديدة ومواد جديدة.
4. تعزيز مكانة اللغة العربية في نفوس أبناء الأمة، إذ تعد اللغة العربية من العناصر الأساسية في استمرارية الثقافة العربية لأنها مستودع تراث أمتنا العربية والإسلامية بما تحمله في طياتها من خبرات وفكر ومضامين.
5. إقامة وحدة سياسية واقتصادية وعسكرية فيما بين المسلمين والعرب.
6. تطوير الإمكانات العلمية والتقنية والمالية، والاستفادة من الموارد المالية والنفطية والمعدنية وغيرها.
7. التحرز من التبعية والولاء للأجانب.
8. إيجاد بديل حضاري مدروس لمواجهة حضارة الغرب للإنقاذ والصمود.
9. كسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبه، ورده الى حدوده الطبيعة والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية.

2- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، دار نهضة مصر، ط1، 1999م، ص 30.

10. توفير القوة الذاتية في الإبداع للتخفيف من غلواء العولمة، بالتفاعل بين الماضي والحاضر، وبين ثقافة الماضي وثقافة العصر، فيتحقق التوافق بين الخصوصية الثقافية والعولمة[22].

وأخيراً أقول:



إن العولمة ليست شراً محضاً، ففيها بعض الإيجابيات ولكن محاولة فرض العولمة سيؤدي إلى رد فعل عنيف أو معاكس، فإن تيار العولمة ربما يكون حافزاً للبلاد الإسلامية ومفكريها للإعداد النهضوي الجيد، والتجديد الواضح لمواجهة العولمة على أساس من الحرية والاعتدال والديمقراطية الإسلامية والتسامح في إطار الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية، وكذلك تنمية الاقتصاد والاعتماد على الذات، وسلوك طريق الحوار بين الحضارات، ومواجهة تحديات العولمة تتطلب من المفكرين الإسلاميين وأرباب القوة الإبداع والاعتماد على الذات، وتوفير القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال ما ذكرناه آنفاً.

---

[22]– قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د.وهبة الزحيلي، ص 668.

- **العولمة والتعليم, فؤاد أبو حطب، كتاب المؤتمر السنوي الحادي عشر، مصر، 1999م، ص 105.**
- العولمة والهوية الثقافية, محمد عابد الجابري، مجلة المستقبل العربي، العدد228 ، 2009م، ص 95.

عاشراً: أخلاقيات العولمة في المفهوم الغربي والإسلامي

1. أخلاقيات العولمة في المفهوم الغربي:



يعارض كثير من مجتمعات الغرب والشرق نظام العولمة، لأنها مظهر واضح المعالم من الاستعمار بمفهومه الاقتصادي العلمي.

ومن المعلوم أن الاستعمار إذلال سياسي، ونهب اقتصادي، وطمس للمعالم الخصوصية الثقافية، وبالنسبة لنا محاولة لإلغاء الهوية الاسلامية أو تشويهها وخلطها بمذاق عادات الغرب وتقاليده.

ولم تكن الحربان العالميتان الأولى والثانية إلا تجسيداً لصراع بين دول قوية مستعمرة مستفيدة، ودول ناشئة تريد النمو والاستقلال، وإذا تمخضت هاتان الحربان عن ميثاق عصبة الأمم المتحدة، ثم ميثاق الأمم المتحدة، فإن هذين الميثاقين يحملان أفكار الدول الغالية وإرشاداتها وأطماعها، وإبقاء مناطق النفوذ والسيطرة للأقوياء المنتصرين.

ولكن أمريكا التي نجت من أضرارها بين الحربين، في حين دمرت عواصم الدول الأخرى، أهَّلَتها قدراتها وثرواتها لتتبوأ مركز السيطرة العالمية تحت ستار العولمة، وتفرض هيمنتها على العالم على المستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي.

يتضح من هذا أن أخلاقيات العولمة تتمثل في كونها مادية طاغية ومنطلقة من فلسفة ملحدة علمانية، لا تعرف الإيمان بالله الخالق الواحد، وعنصرية بغيضة لا يهمها إلا ذاتيتها، إضافة إلى عنصرية الصهيونية وعولمتها ذات الأهداف التخريبية، والإفساد لمعظم المجتمعات البشرية،

وتنبع من نزعة استكبارية شرسة واستعلاء وغطرسة لا حدود لها، وتحرر أو تنصل من كل القيود الإنسانية والأخلاقية، وإلغاء لوجود الآخرين دينياً وثقافياً واجتماعياً وسلوكياً واقتصادياً وسياسياً[23].

2. أخلاق العولمة الإسلامية:

تتميز العولمة أو العالمية الإسلامية عن العولمة الحالية بكثير من الميزات سواء من حيث الغاية أم الهدف وهي:

1. قيامها على العقيدة الجامعة لكل خير وفضيلة، لأنها عقيدة التوحيد الخالص المنزه عن كل شرك ووثنية وضلال، المنسجم مع العقل والعلم وسهولة الإقناع والداعي إلى الحوار الهادئ والتفكير المتزن، والمحقق للراحة النفسية والطمأنينة.
2. ملازمتها للرحمة العامة في العالم دون تمييز بسبب لون أو عرق أو جنسية أو دين أو عنصرية، أو إضمار حقد أو محاولة إكراه.
3. ترفّعها عن الأطماع المادية أو الاقتصادية أو سلب ثروات الأمم والشعوب، وتحرص على إغناء الناس ورفاههم وتحسين ظروفهم المعيشية.
4. إحقاقها الحق ومقاومة الباطل: فلا تمس حقاً للآخرين في الدماء والأنفس والأعراض والأموال.
5. معاملتها جميع الناس على أساس ثابت وأصيل من العدل، والإحسان والتسامح، والحرية والمساواة في كل شيء من القيم الإنسانية والتكاليف أو الالتزامات.
6. احتضانها كل القيم الإنسانية العليا: من تنظيم المجتمع الإنساني على أساس التعاون والتضامن، والسلم والأمان والمحبة، والتزام الفضائل والأخلاق وضبط السلوك الإنساني بما يكفل كرامة الإنسان، وينمي وشائج الاتصال والود والتعامل الطيب بين الجميع، قال تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

23– الكوكبة "العولمة" الرأسمالية العالمية, إسماعيل صبري عبدالله، ص 45 فما بعد، عن كتاب قضايا الفقه، د.وهبة الزحيلي، ص 664، العالمية والعولمة والأزهر، كمال الدين عبد الغني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص 179.

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[24][25]، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[26].

وهذا إعلان صريح بحقوق الإنسان على نحو أصيل سواء في حال السلم أم في حال الحرب.

7. تنمية عوامل النهضة والتقدم، والبناء والتمدن، والحضارة والعمران من خلال تمجيد العلم وإعمال الفكر، والحفاظ على المكاسب، وتعمير الكون والدعوة الدائمة إلى الخطاب والحوار الحضاري والتعامل مع الأمم والشعوب الأخرى على قدم المساواة، والدعوة إلى الحق والانفتاح دون تعصب.
8. إقامة عدالة اجتماعية بين أبناء المجتمع من غير تفاوت صارخ أو صراع حاد وتمكين حر من الإنتاج الشامل والتنمية العامة، وتحقيق تكافل اجتماعي عميق الجذور، مأمون التطبيق، فالكل شركاء في الثروة.
9. الحرص على إشاعة السلام والأمان والاطمئنان على أساس من الحق والعدل والفضيلة والأخلاق الرصينة.
10. تنظيم المجتمع بسياسة حكيمة عادلة، وإقامة اقتصاد حر عادل ومرن ومجتمع أسري متوازن ومترابط ومتراحم، يقوم على الوسطية والتعادل بين الحقوق والواجبات، وتنمية القدرات والكفاءات، وصيانة الكرامة الإنسانية، والدفاع عن الإعراض والحرمات[27].

---

[24] – سورة الحجرات، آية 13.

[25] – سورة الإسراء، آية 70.

[26] – رواه البيهقي في الكبرى، 323/10، رقم 20784.

[27] قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 665، انظر العولمة ومستقبل العالم الإسلامي, د.فتحي يكن وسامر طنبور، ط1، مؤسسة الرسالة، 2007م، ص 10 فما بعد.

خلاصة:

إن العولمة ما هي إلا ترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر، بعد انهيار النظام الاشتراكي في روسيا وأوروبا الشرقية، ولإقامة نظام عالمي ذي قطب واحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية أغنى وأقوى دولة، وتتوطن فيها أغلبية القوة الاقتصادية العائدة للشركات الضخمة متخطية القوميات.

للعولمة أنواع ومظاهر عديدة، وأخلاقيات العولمة في المفهوم الغربي والإسلامي.

كما يوجد للعولمة إيجابيات وسلبيات عديدة.

من طرق مواجهة العولمة:

- تنمية الاقتصاد والاعتماد على الذات.
- سلوك طريق الحوار بين الحضارات وتوفير القوة الاقتصادية والاجتماعية.
- إيجاد بديل حضاري لمواجهة حضارة الغرب للإنقاذ والصمود.
- إبداع ثقافة جديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة تزول فيها معالم الاستبداد والظلم الاجتماعي والقهر، والتجزئة والتخلف والتغريب.

تمارين:

1. عرف العولمة ثم تحدث عن تاريخ نشأتها.

2. عدد أنواع العولمة ثم اشرحها بالتفصيل.

3. للعولمة آثار كثيرة اذكر أهمها.

4. للعولمة آثار سلبية اذكر طرق مواجهتها.

5. اختر الإجابة الصحيحة:

العولمة هي:

A. أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة.

B. العادات والتقاليد والأعراف الغربية.

C. صناعة الرأي والتحكم في أنظار الجمهور.

الإجابة الصحيحة: A أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة.

6. اختر الإجابة الخاطئة:

من أسباب العولمة:

A. انتهاء الحرب الباردة.

B. العمل على تغريب الثقافات الوطنية.

C. البحث عن الاستثمار والربح المضمون.

الإجابة الخاطئة: B العمل على تغريب الثقافات الوطنية.

المراجع:

1. عولمة القهر، د.جلال أمين، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م.
2. العرب والعولمة، منذر خدام، دار الكتب والوثائق، دمشق، 2009م.
3. قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط1، 1427هـ/2006م.
4. تأثير العولمة السياسية على العالم العربي، أشرف غالب أبو صالحة، رسالة قدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، 2011/2012م.
5. العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، د.فتحي يكن وسامر طنبور، ط1، مؤسسة الرسالة، 2007م.
6. العولمة ذلك الخطر القادم، مصطفى رجب، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
7. العولمة والتجارة الدولية، محمد إبراهيم عبد الرحيم، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 2009م.
8. تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي، د.أحمد سيد مصطفى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 2000م.
9. عولمة الاقتصاد في الميزان، محي محمد مسعد، المكتب الجامعي الحديث، 2008م.
10. المسلم بين الهوية الإسلامية والجاهلية، علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة.
11. العولمة والتعليم، فؤاد أبو حطب، كتاب المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر، مصر، 1999م.
12. الكوكبة (الرأسمالية العالمية)، د.إسماعيل صبري عبد الله، مجلة المستقبل العربي، العدد 222، آب، 1997م.
13. العولمة والهوية الثقافية، محمد عابد الجابري، مجلة المستقبل العربي، العدد 228، 2009م.
14. العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، الملتقى الأول لمواد الجغرافيا والاقتصاد، الفجيرة، الإمارات العربية المتحدة.
15. العولمة والخيارات العربية المستقبلية، عبد العزيز المنصور، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد الثاني، العدد الثاني.

16. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1999م.
17. العولمة وأثرها على الاقتصاد، جريدة الشرق الأوسط، 1997/3/2م.
18. العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2001/1421م.

الوحدة التعليمية الثانية

حوار الحضارات

أهمية الوحدة الثانية:

تهدف هذه الوحدة إلى بيان طبيعة العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، هل هي علاقة صراع أم حوار؟ وتبيان ما أسهمت به الحضارة الإسلامية في تكوين منظومة التعارف والتواصل بين الثقافات.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يبين معنى الحوار وأركانه وضوابطه وشروطه.
2. يبين آداب الحوار التي ترقى به إلى أعلى المستويات.
3. يبين العلاقة بين الحضارات والأديان والثقافات.
4. يعدد أهداف الحوار بين الأديان وموقف الإسلام من هذا الحوار.
5. يعدد مناهج الحوار وأهم عناصر المنهج السليم للحوار.

الكلمات المفتاحية:

الحوار –المراجعة –المناظرة –أركان –ضوابط –شروط –صحة –الموضوع –آداب –التأني –آفات –الانقطاع –الانتقال –مناهج –العقل –الحضارات –تعايش –صراع –الانحسار –المنهجية –الأديان –الثقافات –ميزات –مصادر.

اولاً: مقدمة



إن الحضارات تقابلت وتعايشت وتصارعت لكنها ظلت أقرب للتعايش والتسامح وبقي الصراع والتنافس محدوداً بظروف معينة، فالأهم هو الاستعداد للتعايش والندية في التعامل، ومن هنا وجب على الإنسانية أن تفهم بشكل أفضل لغة الحوار مع الأمم الأخرى، والحق أن لا الإسلام ولا المسيحية في تاريخهما الطويل يأخذان الصدام إيديولوجية، وإن ما أجج الصدام هي عوامل أخرى يجب أن توضح في إطارها التاريخي.

وإن أطروحة هنتنغتون تساهم في تأجيج الصراع المفترض وإعادة طرح العداوات القديمة المدفونة بمفاهيم ونظريات جديدة وافتراضات قد لا تكون صحيحة في الواقع، لكنها ربما تجد من يصغي لها في ظل التوتر والتنافس في وقت تحتاج الإنسانية فيه إلى التعاون والتعايش والتماسك والوئام، والقضية التي أطرحها في هذه الوحدة أن الحوار مبدأ أصيل في الإسلام وفي الديانات السماوية، والأهم أن يكون الحوار مجدياً وصادقاً.

ولذلك نعتقد أن قضية الحوار أصبحت من القضايا والموضوعات المهمة لكل المشكلات العالقة أو الخافتة في عصرنا الراهن، سواء على المستوى الداخلي في المجتمع الواحد أو على المستوى الخارجي مع الحضارات والثقافات الأخرى.

وسأتطرق في هذا البحث إلى الموضوعات الآتية:

- تعريف الحوار وأركانه وضوابطه وشروطه.
- آداب الحوار وآفاته ومناهجه.
- مفهوم حوار الحضارات.
- حوار الأديان.
- التعايش بين الأديان.

ثانياً: تعريف الحوار وأركانه وضوابطه وشروطه

1. تعريف الحوار:

لغةً: الحوار هو الرجوع، وهم يتحاورون، أي يتراجعون الكلام، والتحاور هو التجاوب والمجاوبة، والحور هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ومنه قوله تعالى: "وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ[1]".

اصطلاحاً: هو أسلوب نظري يُقصد منه المراجعة في الكلام، لإحقاق الحق وإظهار الصواب، دفعاً للنزاع وسعياً إلى التقارب[2].

وفي هذا التعريف دلالة واضحة على معانٍ سامية منها:

- فضيلة الرجوع عن الخطأ.
- عدم الإصرار على الرأي والإعجاب به.
- إحقاق الحق وإظهار الصواب.

إلى غير ذلك من المعاني العظيمة المستنبَطة من كلمة "الحوار" وحده يؤدي غالباً إلى نجاحه وعدم إخفاقه.

ثم إن الحوار لا يشترط فيه وجود خصومة بين المتحاورين، فقد يكون بخصومة أو بغير خصومة، بخلاف المناظرة فإنها لا تُتصور إلا بخصومة.

[1] – سورة الكهف، آية 34.

[2] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، دار الفرفور، دمشق، ط1، 2009م، ص 23, وحوار الحضارات, عبد الله علي العليان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2005م، ص 9-10.

والمناظرة: هي علم باحث عن أحوال المتخاصمين، ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب، حتى يظهر الحق بينهما[2].

فهي تضطر المتخاصمين إلى اللجوء إليها، للاستدلال على إثبات أمر أو نفيه بغية الوصول إلى الصواب وإظهاره، ودفع الباطل، وأما الجدل أو الجدال فهو: شدة الخصومة والقدرة عليها، قال ابن منظور: "المجادلة: المخاصمة"[3].

2. أركان الحوار:

إن لعلم الحوار أركاناً يقوم عليها، وهذه الأركان هي:

1. نصاب العدد وأقله اثنان، فلا يتصور الحوار إلا بين اثنين من الناس فصاعداً.
2. الاختلاف في الآراء، فلا يُتصور حوار في متفَق عليه في الأغلب.
3. موضوع الحوار، أي القضية المتنازَع عليها.
4. كيفية الحوار: ونعني به الأسلوب العلمي المتبع، وهو ترتيب الكلام على مقدمات صحيحة تشتمل هذه المقدمات على أدلة معرفية، أو شرعية أو حسية أو عقلية، ينتج عنها المطلوب بشكل صحيح[4].



---

[3] – لسان العرب, ابن منظور, مادة جدل 12/2.

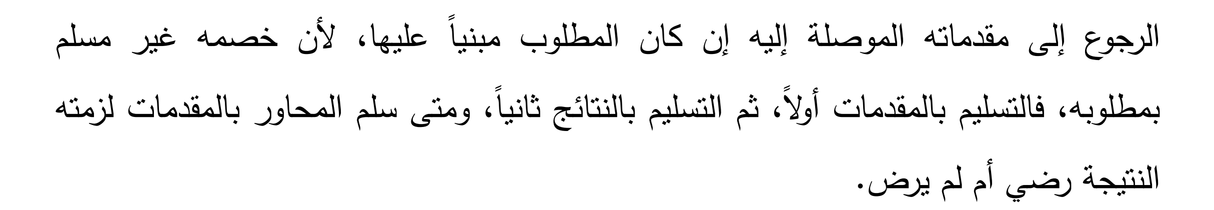
[4] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، دار الفرفور، دمشق، ط1، 2009م، ص 31.

3. ضوابط علم الحوار

هذه الضوابط هي:



1. معرفة المحاور بالدليل الذي يدل على مطلوبه، والتأكد من صحته، وتوافر شروط الاحتجاج به وإنتاجه.
2. إحكام الدليل الذي على مطلوبه حتى يسلم من المعارضة أو النقض.
3. أن يرتب المحاور كلامه على مقدمات منطقية توصله إلى مطلوبه.
4. ألا يتكلم المحاور بالمطلوب من غير



الرجوع إلى مقدماته الموصلة إليه إن كان المطلوب مبنياً عليها، لأن خصمه غير مسلم بمطلوبه، فالتسليم بالمقدمات أولاً، ثم التسليم بالنتائج ثانياً، ومتى سلم المحاور بالمقدمات لزمته النتيجة رضي أم لم يرض.

5. ربط المحاور النتيجة المطلوبة من الحوار بأكثر من دليل يدل عليها إن أمكن ذلك.
6. التوقف وعدم السير في الحوار عند الانقطاع أو العجز عن الوصول إلى المطلوب الذي يريد إثباته لخصمه.

4. شروط صحة الحوار

إن لصحة الحوار شروطاً، بعضها يرجع إلى الموضوع نفسه، وبعضها الآخر يرجع إلى المحاور نفسه، أما الشروط التي ترجع إلى الموضوع نفسه فهي كالآتي[5]:

1. تحرير موضع النزاع بين المتحاورين في موضوع الحوار، هذا هو القدر الجامع المشترك بين المتحاورين في أصل الموضوع المتنازَع فيه، فيجب على المتحاورين الرجوع إلى موضع النزاع كلما ابتعدوا عنه، حتى يكون الحوار صحيحاً ومفيداً ومثمراً.
2. عدم المصادرة على المطلوب في موضوع الحوار، فغالباً ما يحصل في أثناء الحوار أن أحداً من الفرقاء يتكلم بكلام فيه مصادرة عن مطلوب الحوار في الموضوع المتنازع فيه يلجأ إليه في الجملة عند إقامة الحجة عليه، وهذا يتنافى مع صحة الحوار ونتائجه.
3. أن يكون موضوع الحوار في الدرجة الأولى هو القضايا العالقة التي تهم المجتمع العربي الإسلامي، فيشمل القضايا التي لها صلة بالحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية، والفكرية والاقتصادية، وغير ذلك من القضايا التي تهم المجتمع العربي الإسلامي.
4. التزام المتحاورين بمضمون الحوار، والرجوع إليه فيما لو خرج أحد المتحاورين عنه.
5. التزام المتحاورين بأدب الحوار، وعدم الخروج عنه في طريق الحوار، فأدب الحوار هو الذي يتكفل بسلامته واستمراره وإنتاجه بعد توافر أركانه وضوابطه وشروطه.
6. أن يكون الحوار مبنياً على أسس صحيحة من المساواة والندية، والإرادة المشتركة، والكفاءة، والقدرة عليه.
7. أن يكون الحوار متعدد المستويات بحيث يشمل جميع الشرائح الاجتماعية، والفئات المختلفة ذات العلاقة بموضوع الحوار.
8. أن يكون الحوار هادفاً إلى تحقيق المصالح العليا المشتركة بين الأطراف المتحاورة، والتي لها صلة بالتقدم إلى الأمام في مجالات عدة ومختلفة، كمجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتقنية بحيث يعود نفعها على الجميع.

---

[5] – حوار الحضارات في عالم متغير، السيد ياسين، المؤتمر الولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات"، القاهرة، مطبوعات التضامن، 1997م، ص 40.

9. أن يكون الحوار معداً له مسبقاً ومخططاً له من أجل السير على خُطىً متوازية صحيحة من غير توقف أو حيلولة دون تحقيق أهدافه، ولو أدى ذلك إلى أن يكون أكثر من حلقة واحدة.

10. أن يكون الحوار منزهاً ومترفعاً عن سفاسف الأمور التي من شأنها عند إثارتها أن تؤدي إلى توقف الحوار، أو الوقوع في الصراع، فالحوار المتحضر هو الحوار الهادئ الذي يكون بعيداً عن الخلافات.

وأما الشروط التي ترجع إلى المحاور، فهي كالآتي:

1. أن يكون المحاور عاقلاً، ذلك لأن العقل هو الغريزة التي يتهيأ بها المحاور لدرك العلوم النظرية التي يحتاج إليها موضوع الحوار.



2. أن يكون المحاور ذا أهلية للحوار، بأن يكون عالماً مثقفاً مطلعاً على جملة كبيرة من العلوم والمعارف التي يحتاج إليها موضوع الحوار.

3. أن ينتفي عند المحاور أضداد النظر كالغفلة والسهو والنسيان، والاختلاط في الكلام مما يؤدي إلى إخفاق الحوار.

4. أن ينظر المحاور في الدليل الذي يستدل به على المدلول، وأن يُعينه في كلامه، وذلك لأن الدليل هو الذي يتعلق المطلوب به، فإذا أخطأه لم يصح نظره[6].

إن نظرة الإسلام إلى الحوار هي نظرة موضوعية شاملة تقوم على احترام الرأي الآخر، ونبذ كل تعصب أو تنطع في الرأي، أو ضيق في الحوار والمناقشة، وتتبين نظرة الإسلام إلى الحوار أنها نظرة عادلة لا تتغير سواء أكان المحاور مؤمناً أم غير مؤمن.

---

[6] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 32–35, وحوار الحضارات, عبد الله علي العليان، ص 89 فما بعد, حوار الحضارات في عالم متغير, السيد ياسين، ص 41.

ومن هنا ندرك مدى القيمة التي يعطيها الإسلام للفكر وللعقل في مجال الحوار، إذ بذلك أقام صرح الحوار على أسس أصيلة من العدل تعطي للإنسان حق الدفاع عن نفسه وعن رأيه وموقفه إزاء أسرته، وإزاء مجتمعه وإزاء القائمين على الأمر.

ثالثاً: آداب الحوار وآفاته ومناهجه ومبادئه:

آداب الحوار:

للحوار آداب معينة تعين المتحاورين على الارتقاء بالحوار إلى أعلى المستويات التي تحقق التواصل دائماً، وتكشف عن الحقيقة وتنتج المعرفة، وبخاصة أن الحوار أسلوب نظري جدلي عام لا يخلو من التفحص والتقصي، والتصحيح المثمر.

ومن هذه الآداب:

1. **الصبر على استماع كل من المتحاورين للآخر:**

فيجب على المتحاورين الاستماع والإنصات لبعضهم البعض إلى آخر الكلام، حتى ولو كان ما يتكلم به أحد المتحاورين هواجس أو شبه وساوس، وذلك لأنهما متساويان في حق المناوبة في الكلام، فإن لم يصبر كل واحد منهما على الآخر في الاستماع إلى آخر كلامه، فقد قطع عليه حقه.



2. **الإنصات وعدم رفع الصوت في مجلس الحوار:**

كثيراً ما نرى في وسائل الإعلام ونشاهد على شاشات التلفاز الأطراف المتحاورة يرفعون أصواتهم على بعضهم البعض، مما يؤدي أحياناً إلى فقدان معالم الحوار وذهاب رونقه المتألق، الأمر الذي يدخلهم في منازعات جديدة وخصوصيات متنوعة كان ينبغي عليهم جميعاً تجنبها والابتعاد عنها.



3. **التأني وعدم الإسراع في الحوار:**

يجب على الأطراف التزام التروي والتأني في أثناء الحوار، لأن السرعة لا تأتي بخير، فقد يكون الطرف الآخر عدواً لك أو أنك قد تستشعر في نفسك منه البغضاء، فيشتد غضبه من أسلوب كلامك السريع لعدم استيعابه، وربما تقع في غلط كبير نتيجة إسراعك في الكلام فيخرجك عن ربقة الصواب على الرغم من كونك على حق، فتكون قد أديت خدمة إلى الطرف الآخر وهي انتصاره عليك بسبب إسراعك في الكلام.



4. اجتناب الحوار مع من لا تحسن مجالسته والحوارَ معه:

تجنب في حوارك مجالسة من يقصد التلهي أو التشفي في حواره معك، ولا يقصد تبين الحق ومعرفتَه، أو تمييزَ الحق من الباطل، فإن مثل هؤلاء أبعد الناس عن الحقيقة والصواب، وليسوا أهلاً للمجالسة، فضلاً عن الحوار معهم.



5. **عدم المبادرة بالكلام** إلى كل ما سبق إليه الخاطر واللسان، وقد قيل لا تتكلم بكلام تعتذر منه.

آفات الحوار:

إن للحوار آفات وسلبيات عدة منها ما يختص بالطرف الأول من المتحاورين، ومنها ما يختص بالطرف الثاني، ومنها ما يتعلق بهما معاً.

القسم الأول: الانقطاع عن الحوار: له أسبابه التي تستوجبه وهي كثيرة منها:

1. الإخلال بأدب الحوار، كأن ينتقل من الاستدلال على المقالة إلى الشغب والصياح والمسابة.
2. الخروج من أصول قد اتفق عليها المتحاوران.
3. الخروج من المسألة التي عليها مدار الحوار إلى مسألة أخرى لا علاقة لها بما قبلها، كانتقاله من النقض إلى المنع، أو من المعارضة إلى المنع[7].

هذه أهم الأسباب التي تؤدي إلى الانقطاع.

---

[7] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 85 فما بعد، حوار الحضارات، أحمد طالب الإبراهيمي، مجلة العربي، العدد 477، آب 1998م، ص 32.

القسم الثاني: الانتقال في الحوار والمناظرة من كلام إلى كلام:

يعد الانتقال في الحوار انقطاعاً لكن ليس بإطلاق، لأن من الانتقال ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم يقع على خلاف الأصل في المناظرات.

أما الانتقال المحمود الذي لا يعد انقطاعاً فهو على وجهين:

- الوجه الأول: أن ينتقل من كلام إلى آخر فيه تصحيح للكلام الأول بناء على مطالبة الخصم لتصحيحه.
- الوجه الثاني: أن ينتقل من كلام إلى آخر لتوضيح الكلام الأول، فيما لو استشكل على الطرف الآخر فهمه أو كان غبياً أو متغابياً، مثال ذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وانتقال إبراهيم من كلام إلى آخر ومن حجة إلى أخرى، لإثبات الحجة الأولى، "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ"[8].

وأما الانتقال المذموم فهو على وجوه:

- الوجه الأول: أن ينتقل المحاور من دليل إلى دليل آخر لا يؤيد الدليل الأول وليس له علاقة به ولا مناسبة، بحيث يكون انتقالاً إلا أنه يعد انقطاعاً يعجزه عن بيان وجه الاستدلال بالدليل الأول.
- الوجه الثاني: أن ينتقل المحاور من دليل إلى آخر قبل اتمام الدليل الأول.
- الوجه الثالث: أن يعرض المحاور عن الكلام في أثناء كلامه قبل إتمامه فيُعد هذا انقطاعاً، والإعراض قد يكون بالسكوت، أو بالانشغال بأمر آخر[9].

---

[8] – سورة البقرة، آية 258.

[9] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 87.

مناهج الحوار ومبادئه:

لا بد للحوار من مناهج يقوم عليها بغية سلامته وعدم فشله وإخفاقه:

المنهج الأول: الاعتماد على العقل الصحيح والنقل الصريح:



أما العقل الصحيح فيعتمد اعتماداً كلياً على إبراز الأدلة العقلية المثبِتة للدعاوى أو بيان مراتبها في طريق الاستدلال العقلي السليم، وأما النقل الصريح فيعتمد على صحة إثباته للدعاوى إن كانت من باب الأمور المروية المنقولة.

المنهج الثاني: التجرد وعدم التعصب:



والمقصود بالتجرد هنا تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة بين المتحاورين والتعصب لها، لأن ذلك يؤدي إلى معاندة الحق ومكابرته، فضلاً عن كونه يحول دون الوصول إلى الصواب، ويشكل حاجزاً نفسياً يصعب اختراقه.

المنهج الثالث: عدم إثارة الطرف الآخر:



ويتجلى هذا المنهج في الحوار بالتي هي أحسن "ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[10].

فالمجادلة أو الحوار بالتي هي أحسن أسلوب هادئ وسليم لا إثارة فيه ولا عنف، وهو من أحسن الأساليب وأنفعها في إقناع الطرف الآخر بالفكرة أو الموضوع الذي هو محل الحوار.

المنهج الرابع: مخاطبة الطرف الآخر بما يفهم:



يتجلى هذا المنهج بتفريغ ما عند الطرف الآخر من أفكار قد لا تكون صحيحية في الأمر نفسه، مما يؤدي إلى إعجام إدراكه عن الوصول إلى الحقائق فيقول للطرف الآخر: هات ما عندك من أفكار وأبرِزها لدي أو دعّمها بالأدلة والبراهين سواء النقلية أم العقلية.

فإذا أبرزها وساق الأدلة عليها، يكون قد أتى على تفريغ الطرف الآخر ما عنده، ثم يذكر الطرف الأول ما عنده من أفكار ويستعرضها ويأتي بالحجج والبراهين، ويقول للطرف الآخر:

هذا ما نعتقده وهذا ما نراه حقاً وصواباً، فإن كان عندك ما هو أقوى أو أرجح فأسمعنا إياه، هذا هو المنهج السليم الذي ينبغي علينا أن يقوم عليه الحوار الهادئ العلمي.

---

[10] – فصلت, آية 34.

المنهج الخامس: التيسير وعدم التعسير:



التيسير منهج قويم من مناهج الحوار، ولقد قام الإسلام في أكثر أحكامه وتكاليفه ومبادئه على هذا المنهج قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[11].

وقال تعالى: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً"[12].

فالحوار الهادئ هو الذي يتخذ من هذا المنهج أساساً طيباً مرناً يفتح القلوب على الحق ويقرب الأفكار إليه بعيداً كل البعد عن التشديد والتعسير[13].

---

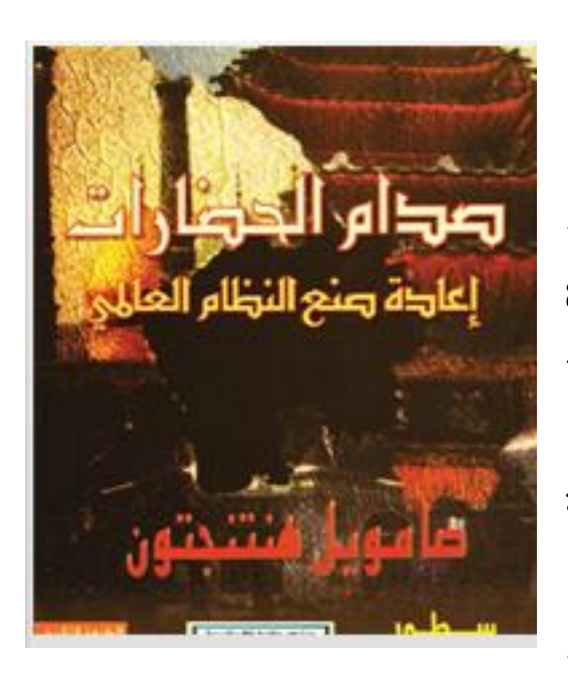
[11] – سورة البقرة, آية 158.

[12] – سورة الشرح, آية 5–6.

[13] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 53 فما بعد.

رابعاً: حوار الحضارات:

1. مفهوم حوار الحضارات:



حوار الحضارات أو حوار الثقافات يدور الحديث عنهما منذ أواخر القرن العشرين، والأكثر تحديداً منذ صدور أطروحة صموئيل هنتنغتون المعنونة بـ «صدام الحضارات» قال في هذه الأطروحة: "إن الصراع المقبل سيكون من التحالف بين الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشية الصينية، وإن على الغرب أن يستعد للنزال مع الحضارة الإسلامية، إذ هي حضارة معادية، ومن الاستعداد للصراع المقبل تجريد المسلمين من عناصر القوة والنهضة منذ الآن، حتى إذا وقع الصراع تكون قدرات العدو ضعيفة، وتكون تكاليف المواجهة قليلة"[14].

والحقيقة فإن هذه الأطروحة «صراع الحضارات» أطروحة إيديولوجية نظرية لا تمت للمعرفة العلمية بأي صلة، وإن ادعى هنتنغتون أنه ينطلق من رؤية علمية في استقراء الحضارات ومنطلقاتها الفكرية والتاريخية.

وتوقع الكثير أن هنتغتون بعد تحول هذه الأطروحة إلى كتاب أن يراجع استنتاجاته بطريقة عقلانية وواقعية، لأن ما قيل في هذا الكتاب يعد خطراً بكل المقاييس، سواء وافقناه فيما طرحه أم اختلفنا معه، فالأهم أن كتابه يساهم في تأجيج الصراع المفترض، وإعادة طرح العداوات القديمة المدفونة بمفاهيم ونظريات جديدة، وافتراضات قد لا تكون صحيحة في الواقع كلها، ربما وجدت من يصغي إليها في ظل التوتر والتنافس، في وقت تحتاج الإنسانية فيه إلى التعاون والتعايش والتماسك والوئام[15].

---

[14] – الدعوة لصراع الحضارات بين الفهم الخاطئ للإسلام والحاجة إلى اختراع عدو, عبد الله علي العليان, جريدة عمان, مسقط, العدد 7414، ص 5.

[15] – حوار الحضارات, عبد الله علي العليان، ص 211.

2. تعايش الحضارات:



الحضارات تقابلت وتعايشت وتصارعت لكنها ظلت أقرب إلى التعايش والتسامح وبقي الصراع والتنافس محدوداً بظروف معينة، فالأهم هو الاستعداد للتعايش والندية في التعامل، وهذا ما عبَّر عنه "فانغريد أوستن" عندما قال: "يجب أن نفهم بشكل أفضل لغة الحوار مع الأمم الأخرى، ولهذا نحتاج إلى سياسة ثقافية تقوم على فهم طبائع الشعوب بحيث نصبح قادرين على التعامل مع خصائصها المتميزة في التفكير"، ثم قال:

"ولقد خَبرتُ خلال إقامتي في شرق آسيا أن أناساً هناك طوروا أنواعاً من الاعتداد بالنفس يقوم أساساً على أنهم لن يقبلوا حضارتنا على المدى الطويل إلا إذا كنا نحن بدورنا مستعدين للاهتمام بحضارات تلك الأمم الحضارية وبطبائعها اهتماماً جاداً وعميقاً"[16].

- حوار الحضارات, عبد الله علي العليان، ص 212.[16]

3. البديل عن صراع الحضارات:

في اعتقادنا أن البديل الإيجابي لمقولات صراع الحضارات هو «حوار الحضارات» لتبنى على الاحترام المتبادل وتنوع الثقافات وتعددها من دون إقصاء أو هيمنة، والعمل على إيجاد تفاهم مشترك، ومد جسور التعاون والثقة المتبادلة قوامها الفهم والشفافية لأجل التعاون الصادق، لكن القبول بالحوار ومستلزماته يتطلب فرضيات مسبقة ومعطيات خاصة، فمن يرى نفسه على الحق والصواب بشكل كامل فستكون نظرته إلى الحوار شكلية.

على عكس من يعتقد بنوع من الواقعية، ويرى أن الحقائق في الحضارات مسألة نسبية وتحولية في مساراتها التطورية عبر الزمن، فإن حوار الحضارات سيكون لديه جدياً[17].



[17] – حوار الحضارات وصدامها للسيد صادق، ترجمة السيد علي موسوي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، ص 71.

4. النزعة الإقصائية عند بعض الحضارات:



إن النزعة الإقصائية أو الاعتقاد بالفرادة الكونية اعتقاد خاطئ من الناحية الواقعية والمعرفية، فالحضارات قد تتفوق في جوانب مادية أو علمية، لكن قد تتراجع في جوانب أخرى فكرية أو ثقافية أو حتى معرفية، هذه النظرة اعترف بها ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز منذ سنوات في محاضرة دعا فيها الغرب إلى أن يتعلم من الإسلام مضامين القيم الشفافة التي حافظ عليها، ومما قاله الأمير تشارلز في هذه المحاضرة:

"إن الثقافة الإسلامية جاهدت للحفاظ على الرؤية الصحيحة المتكاملة للعالم، وعلى نحو افتقدناه نحن خلال الأجيال السابقة في الغرب، وهناك الكثير مما يمكن لنا أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامي في هذا المضمار، وهناك طرق شتى لبناء صرح الفهم والتقدير المتبادل، ولعلنا نستطيع على سبيل المثال أن نبدأ بزيادة عدد المعلمين في المدارس البريطانية، إننا نحتاج إلى أن يعلمنا معلمون مسلمون"[18].

[18] – حوار الحضارات, عبد الله علي العليان، ص 212.

5. الانحسار الفكري والروحي عند الغرب:



يعزو الأمير تشارلز السبب في تراجع الغرب وانحساره الفكري والروحي إلى أن المادة المعاصرة أحدثت خللاً مروعاً في حياة الفرد والمجتمع، لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضروري لحياة سوية متناسقة متكاملة، و"لقد بدأنا – نحن أبناء العالم الغربي – نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلي بالكون والبيئة، وبمسؤوليتنا الشاملة إزاء الخلق، ويمكن لنا من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ومهمتنا أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامي المشبع بالنظرة الكلية الأصلية إلى الكون والإنسان"[19].

كما يمكن لنا الاستفادة من هذا التراث في تحسين نظرتنا نحو الأفضل في الخلافة العملية للإنسان.

إذاً البديل الأسمى والأرقى هو أن تتفاهم الحضارات والثقافات وتتحاور وتعترف بالآخر، وأن يكون التعامل والتعايش هو الوسيلة الإيجابية لتجنب الأنانية وعواقب الاستبداد والهيمنة والعدوان.

---

[19] – المرجع السابق، ص 213.

6. المنهجية السليمة في الحوار:

إن السعي الجدي لقيام حوار بين الحضارات والثقافات مبني على الرغبة الصادقة في التفاهم والتعاون، وإن الحوار بين الحضارات لا يمكن أن يؤدي وظيفته التاريخية في إثراء التجارب الإنسانية، وفي الاستفادة من الخبرات المتنوعة إلا إذا تمت ممارسته في إطار منهج سليم، وأهم عناصر هذا المنهج:



1. الاتفاق على الغرض من وراء الحوار ليس في إقناع الآخرين بالتخلي عن انتمائهم الحضاري وخصوصيتهم الثقافية، والدخول في حضارة أخرى مهما كان لها في لحظة تاريخية معينة من تفوق وانتشار.
2. التسليم بأن التعددية الثقافية جزء من نظام الكون وسنةٌ من السنن التي أودعها الله في المجتمعات البشرية، وأن السعي إلى القفز عليها والابتعاد عنها عن طريق استبعاد الآخرين أو تهميش دورهم، إنما هو حركة ضد التاريخ وضد السنن الثابتة في الكون وفي مجتمعات الناس.
3. التوجه إلى البحث عن المشترك الجامع بين الحضارات المعاصرة، لأن طبيعة المرحلة تتطلب توجيه الجهد نحو القواسم المشتركة سعياً إلى وضع برنامج عمل موحد يتحقق به الاعتماد المتبادل، والمشاركة المتساوية لأبناء الحضارات المختلفة[20].

---

[20] – حوار في دافوس حول الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية, أحمد كمال أبو مجد, نقلاً عن حوار الحضارات, عبد الله العليان، ص 216–217.



ولذلك فإن حوار الحضارات يتطلب إلى جانب المبادئ المذكورة آنفاً استعداد كل حضارة لفهم الأخرى في إطار من القبول بالتمايز والاختلاف، وتجنب الأحكام المسبقة التي لا تسهم في حوار جاد ومتفاعل مع القضايا المطروحة للنقاش، وتحاشي الصور المشحونة بالكراهية والتوجس من الآخر.

وفي الوقت نفسه فإن الحوار بين الحضارات يساهم في تثبيت السمة الرئيسة للثقافات الإنسانية وهي استجابتها للتطور والاغتناء بالتفاعل فيما بينها، كما يسهم الحوار في عقلنة النزاعات التي تنشأ في أثناء تثبيت الهويات الثقافية لهذه الحضارات.

إن من فوائد الحوار وغاياته إبطال المناخات المفعمة بالمخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية، وتوفير المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من الثقافة والعلم والخبرة[21].

---

[21] – حوار الحضارات, د.يوسف الحسن، حلقة دراسية بالمعهد الدبلوماسي حول حوار الحضارات، 2007م، ص 126.

خامساً: حوار الأديان

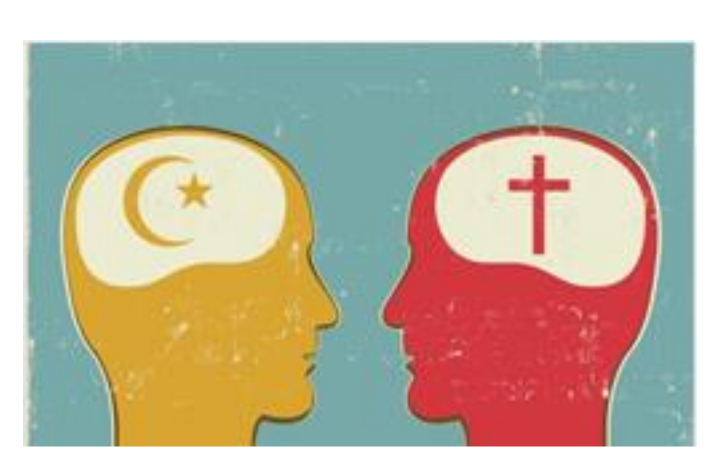


الأديان جمع دين، والدين ما يدين به الإنسان سواء كان وضعياً أم سماوياً، ولقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من الأديان السماوية كاليهودية والمسيحية وأنبيائهما، وغير سماوية كالأصنام والأوثان وعبدتهما وسماها القرآن أدياناً على الرغم من بطلانها قال تعالى: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين"[22].

أما تعريف الدين في اصطلاح العلماء فهو:

وضع إلهي يسوق الناس باختيارهم إلى ما فيه صلاح أمرهم في دينهم ودنياهم، وبهذا أصبحت كلمة الدين لا تطلق إلا على أهل الكتاب وهم: اليهود والمسيحيون والمسلمون، أصحاب الرسالات السماوية والكتب السماوية.

1. الحوار الإسلامي المسيحي:



إن فكرة الحوار الإسلامي المسيحي قد بدأت في الستينيات من القرن الماضي، حينما ناقش المجمع الفاتيكاني مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات الأخرى غير المسيحية، ولاسيما الإسلام، فتحدث المجمع المسكوني الكاثوليكي بكلام إيجابي عن الإسلام ووضعه وتعاليمه المتميزة.

ثم بعد ذلك ألقى البابا بولس السادس خطاباً في القدس عام 1964، وتوجه إلى المسلمين في بدء خطابه بتحية أخوية، ودعا الكنيسة المسكونية إلى احترام جميع الذين يعتنقون الأديان السماوية

---

[22] – سورة الكافرين, آية 6.

التوحيدية، وفي شهر أيار عام 1964 أعلن البابا بولس السادس عن إنشاء سكرتاريا خاصة لشؤون الديانات غير المسيحية تتولى فيما بعد إدارة شؤون الحوار مع المسلمين[23].

وفي شهر آب عام 1964 أيضاً وجه البابا بولس السادس رسالة كنسية جامعة كان التركيز فيها على ضرورة الحوار مع كل المؤمنين ذوي الإرادة الصالحة لإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى القائمة في العالم، وعلى ضرورة التقارب والحوار مع المسلمين بصفة خاصة[24].

- المسلمون يحسنون الظن بالدعوة إلى الحوار، ويميلون إليه، ولا مانع عندهم بأن يكونوا طرفاً فيه، ولاسيما أن من مبادئ الإسلام الدعوة إلى الحوار.
- بعد ذلك عُقدت مؤتمرات عدة حول الحوار الإسلامي المسيحي في عواصم من العالم وأتبعها ندوات ولقاءات مشتركة في موضوعات مختلفة كان الطرف المسيحي هو الذي يحددها، ولكن النتائج التي نتوخاها ليست بالنتائج المرضية لأسباب عدة قد يكون أهمها: افتقار الحوار إلى روح العدل والإنصاف أو افتقاره إلى تحقيق المبادئ الإنسانية أو تطبيق القانون الدولي[25].

وإذا أردنا أن يكون الحوار فعالاً ومجدياً بين الطرفين الإسلامي والمسيحي الغربي، فلنعد النظر في أسلوبه ومنهجه ليتماشى مع الروح الجديدة في هذا العصر ومبادئ الشرعية القائمة على قرارات الأمم المتحدة ومواثيقها التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان في العالم كله.

---

[23] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 106.

[24] – الإسلام والمسيحية, أليكس جوارفكسي، ص 140.

[25] – ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 107.

2. موقف المسلمين من الحوار الإسلامي المسيحي:



ذهب بعض علماء الإسلام إلى أن الحوار الإسلامي المسيحي – وبخاصة مع الغرب المسيحي –ضرورة من ضرورات الحياة في الوقت الحاضر، وباب من أبواب الدعوة إلى الله وإلى الدين الحق، وإظهار حقائق الإسلام ومبادئه السامية، وتقديم الإسلام إلى الغرب المسيحي بصورته الحقيقية غير المشوهة.

ويجب على المسلمين أن يؤديَ كل واحد منهم دوره ولاسيما العلماء وأصحاب الفكر والثقافة، وألا يقفوا مكتوفي الأيدي أمام دعاة الإلحاد والتخريب في صفوف العرب والمسلمين،

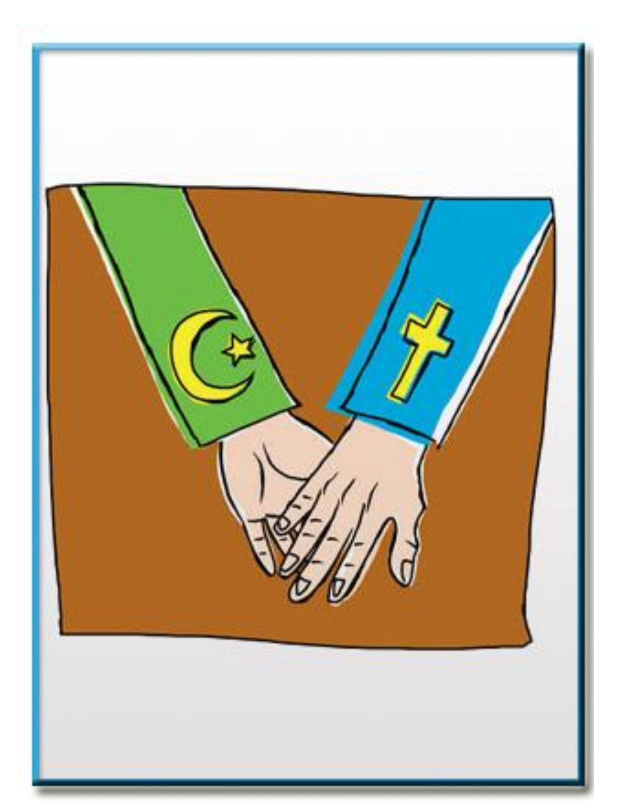
واستندوا في ذلك إلى ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في حواره مع المشركين أو اليهود والنصارى من أهل الكتاب، فقد عقد معهم مجالس للحوار أكثر من أن تحصى، وكان النبي الكريم يستمع منهم في عرض آرائهم وعقائدهم واعتراضاتهم[26].

كما استدل أصحاب هذا الرأي في فتح باب الحوار مع الغرب المسيحي بقوله تعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّه وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[27] هذه الآية بمضمونها تفتح أبواب الحوار بين المسلمين وغير المسلمين مهما كان دينهم ومعتقدهم.

ومن خلال ما تقدم أرجّح الرأي القائل بفتح باب الحوار الإسلامي المسيحي لما نرى فيه من فوائد كثيرة وأهداف عظيمة منها:

– ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 110.[26]

– سورة سبأ, آية 24.[27]



1. دعم مفهوم العيش السلمي المشترك بين المسلمين والمسيحيين في البلاد التي يوجد فيها أصحاب الديانتين.
2. دعم مفهوم الوحدة الوطنية في البلاد التي يوجد فيها أهل الديانتين المسيحية والإسلام.
3. دعم السعي المشترك للحماية من الأخطار المحدقة المدلهمّة التي تحيط بالبشرية وتهدد الإنسانية بالفِناء والدمار بسبب الأسلحة النووية المدمرة.
4. دعم موقف الإسلام من التسامح بين الناس ولاسيما مع المسيحيين، وتوضيح الحقائق الإسلامية الخفيّة على المسيحيين وغيرهم في العالم كله.

إلى غير ذلك من الفوائد والأهداف النبيلة التي تتمثل في تقريب العقول والقلوب إلى الدين الإسلامي، وإظهار محاسن الإسلام، وحل المشكلات والمعضلات العالقة بين المسلمين والمسيحيين في العالم على أساس متين من الحجج القاطعة والبراهين الساطعة.

3. التعايش بين الأديان:



التعايش هو التفاعل، وهذا التعايش لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين، ومن المعوقات والسلبيات التي تواجه الحوار الداخلي (الذاتي) في المجتمع العربي الإسلامي الإخلال بمبدأ التعايش، وهو المبدأ الذي أرسته صحيفة المدينة المنورة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم[28].

جاء هذا الدستور على شكل اتفاقية مبرمة بين فصائل سكان المدينة على اختلاف أصولهم العرقية وعقائدهم الدينية، وأكد هذا الدستور على وحدة سكان (يثرب) الأصليين، حيث أقام النبي عليه الصلاة والسلام بين الفريقين وحدة مؤاخاة تضاهي القرابة والنسب[29].

وفي عهد الخلفاء الراشدين اتخذ التعايش بين المواطنين في الدولة الإسلامية صورة أكثر إيجابية، فلم يقتصر على مجرد تبادل الاحترام، بل غدا المواطنون غير المسلمين يؤازرون الجيش المسلم متطوعين للقضاء على سلطان الطغاة وإن كانوا على دينهم، وكان من مقولتهم: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الرومان وإن كانوا على ديننا"[30].

وفي العصور الإسلامية الثلاثة ولاسيما في العصر العباسي فإن التعايش والتعدد ازدهر بصورة ملفتة ربما يفوق الديمقراطيات الحديثة على الرغم من مظاهر الصيت الذائع لمقولات التعددية والتعايش والديمقراطية في الغرب، فقد كان يجتمع في مجالس العلم آنذاك كل أطياف الفكر والمذهب والدين

---

[28] – الحوار سبيل التعايش، د.محمد سعيد رمضان البوطي، ومحمد مهدي شمس الدين، وجودت سعيد، دار الفكر، دمشق، ط2، 2002م، ص 58.

[29] – حوار الحضارات, عبد الله علي العليان، ص 183.

[30] – التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم, سورحمن هدايات، ترجمة محمد عبد الرحمن مندور دار السلام، القاهرة، 2001م، ص 372.

والطائفة في مجلس واحد يتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم[31].

والإشكالية التي تواجه التعايش بين الأفكار والاجتهادات واختلافها في عصرنا الراهن هي في كيفية الانفتاح على أفكار الآخرين في المجتمع الواحد، وفي الاعتراف بالاختلاف، وهذا الاختلاف يتطلب التعايش على أسس التعددية التي يرتضيها الإسلام[32].

ولا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك وصهر الجميع في بوتقته، كما لا يعني التعايش التنازل عن الحق أو توزيعه على المتعايشين بنسبة متساوية وفقاً لمفهوم التعدد الذي يفهمه الغرب[33]، بل يعني أن يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص، ويمارس نشاطه الديني أو المذهبي أو الفكري أو السياسي في إطار الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة، والتي لا تسمح لأي طرف بسلب حقوق الآخرين أو الإخلال بأمن المجتمع مهما بلغت قوة هذا الطرف عدة وعدداً، والصورة المثلى للتعايش هو صورة دولة المدينة المنورة التي كان فيها اليهودي والنصراني يعيشان فيها بأمان إلى جانب المسلم وفي كنف الدولة الإسلامية، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماماً.

إذاً التعايش هو: إقامة نسق مشترك بين أفراد المجتمع الواحد بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية وفروقهم الدينية في جو من التآلف والتعاون.

---

31 .– حوار الحضارات, عبد الله علي العليان, نقلاً عن التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، ص 372 فما بعد

32 .– التنوع والتعايش, حسن الصفار, تقديم محمد عبده اليماني، ص 16

33 . – حوار الحضارات, عبد الله العليان، ص 184

سادساً: حوار الثقافات



تعد الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الركائز الأساس في بناء الأمم وفي نهوضها، فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها، وتصطبغ بصياغتها، فتنتسب إليها، وكل مجتمع له ثقافته التي يتسم بها، ولكل ثقافة مميزاتها وخصائصها.

وقبل الكلام عن الثقافة العربية ومميزاتها ومصادرها ومقوماتها وخصائصها وتأثيرها على الثقافات الأخرى، لا بد من أن نبين معنى الثقافة لغة واصطلاحاً.

1. تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً[34]:

- الثقافة لغةً معناها: الحذاقة والخفة والفطانة: يقال ثقُف ثَقْفاً وثقافة، أي صار حاذقاً خفيفاً فطناً، والتثقف مصدر الثقافة، وفعله ثقف إذا لزم، وثقفتُ الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب ثقِف أي سريع التعلم والتفهم.
- وفي الاصطلاح الحديث: هي طريقة قويمة في الأخلاق والسلوك ترسم طريق الحياة للشعوب، واستعملها علماء الفكر في الدلالة على الرقي الفكري ورفعته وعلى الأدب العالمي الاجتماعي للأفراد والجماعات على اختلافها[35].
- مفهوم الثقافة عند علماء الحضارة:

الثقافة عند علماء الاجتماع تطلق على معنى واسع يشمل كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية فهي:

1- كتاب العين, مادة (ثقف) 138/5, والصحاح وتاج اللغة مادة (ثقف)، 1324/4.

2- ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 239.

مجموع الأفكار والعقائد والمثل العليا والتعليم والقيم التي تسود الأمة، ويظهر أثرها في آدابها وفنونها، ونظمها وقوانينها، وعاداتها وأعرافها وأساليب معيشتها بشكل عام[36].

فالثقافة عندهم تشمل أسلوب الحياة في الأمة أو الجماعة بجميع مظاهره المختلفة.

2. ميزات الثقافة:

إن للثقافة ميزات كثيرة تتجلى في الأمور الآتية[37]:

1. إنها ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية والاجتماعية، وذلك لأن قوام الحياة الاجتماعية الوظيفة والحركة، وكل ذلك يدور في فلك الثقافة، سواء كان فكرياً أم فنياً جمالياً أم غير ذلك.
2. إنها تحدد علاقة الإنسان مع بني نوعه من خلال تفاعله مع الآخرين بواسطتها في مختلف مجالات الحياة الإنسانية.
3. إنها تعبير عن الإنسانية الموجودة في الإنسان دون سائر المخلوقات والعجماوات، مما نعده وسيلة من وسائل التفاهم والتقارب والالتقاء مع بني البشر.
4. إنها تجديد للقيم الفكرية والروحية والمعنوية، وتوحد عند الجميع الهوية الجديدة روحاً ومساراً ومثلاً أعلى.
5. إنها وظيفة من الوظائف الحيوية البناءة التي تتفاعل مع الواقع الإنساني الحيوي، وتتكيف معه آنياً أو مستقبلياً بما يخدم الإنسانية كلها ويأخذها نحو السمو والرقي المنشودين.
6. إنها إبداع متجدد حيوي مستمر يحافظ على القديم، ويسعى إلى تحقيق الكسب الجديد الإنساني من خلال أفكار وقرائح الحاملين لها، مما يؤدي إلى التفاعل الثقافي مع الآخرين.
7. إنها تحليق فكري فيما وراء الطبيعة الذي يسمى عند الفلاسفة بالميتافيزيقا، ويتفاعل معها الإنسان من خلال ثقافته وفكره ويستمتع بذلك.

3- مشكلة الثقافة, مالك بن نبي, ترجمة د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط4، 2006م، ص 417.

4- ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 242-243, الحوار من أجل التعايش د.عبد العزيز التويجري، دار الشروق، القاهرة، 1998م، ص 97 فما بعد.

3. مصادر الثقافة العربية ومقوماتها:

تتسم الثقافة العربية الإسلامية أساساً بسمتين: سمة الثبوت فيما يتعلق بالمصادر القطعية، وما جاءت به من عقائد وتشريعات وقيم، وسمة التغير فيما يتعلق باجتهادات المسلمين وإبداعاتهم القابلة للصواب والخطأ وبالتالي الاختلاف.

فالجانب القطعي في الثقافة العربية الإسلامية يتسم بما يتسم به الإسلام من خصائص بصفته ديناً ومنهجاً للحياة.

- ومصادر الثقافة العربية هي:

القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المعين الأساسي للعلوم الإنسانية واللغة العربية، والمرجع الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق في مجالات المعرفة والوجود والقيم، وفيما يتعلق بالفكر والواقع والنظر والسلوك.

وبذلك تكون الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة أساساً من القرآن والسنة ثقافة منفتحة، داعية إلى التعايش والحوار والتفاهم.

والثقافة العربية الإسلامية عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي كشأن كل ثقافة تتكون من مقومات: فكرية وروحية، أهمها العقيدة.

ومن أقوى مقومات الثقافة العربية الإسلامية الإيمان بالأمة والثقة فيها، وهذا الإيمان لا بد من أن يستمد قوته من الإيمان بالله[38]، لأن الإيمان بالله هو الأصل، وهو الينبوع الذي ينبغي أن تُبنى عليه العقيدة.

1- دراسات في الثقافة الإسلامية, د.صالح ذياب هندي، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002م، ص16, الثقافة الإسلامية مفهومها ومصادرها, د.عزمي طه السيد، دار المناهج، عمان، ط4، 2002م، ص 70.

4. خصائص الثقافة العربية:

لقد امتازت الثقافة العربية بخصائص تكاد لا توجد في الثقافات الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص[39]:

1. العالمية والشمولية: بمعنى أنها ثقافة كل الأديان والملل والنحل التي انطوت تحت الكيان العربي الإسلامي، واندمجت معه وعاشت في ظل الدولة العربية الإسلامية عبر الأزمنة والعصور، فتكون الثقافة العربية الإسلامية بهذا قد استوعبت كل الأمم والشعوب، ووسعت كل الثقافات التي تعايشت معها العرب النصارى والعرب اليهود كافة.
2. الانفتاح التام على الثقافات الأخرى الشرقية والغربية مع المحافظة على أصولها وثوابتها من غير تجاوز حدها، وإمكانية التعايش والحوار معها.
3. القوة والمناعة أمام التحديات الكبرى الصادرة من قبل أصحاب الأديان غير السماوية كالبوذية والوثنية والمجوسية وغيرها، ومن قبل أصحاب المذاهب الفلسفية، وسرعان ما تحولت هذه المذاهب والفلسفات إلى قوى غازية حاولت جاهدة الإضرار بالأمة الإسلامية والدولة العربية الإسلامية، فبثت الشبهات وأثارت الفتن من أجل تحريف القيم الإنسانية الصحيحة والفكر الإسلامي السامي، غير أن الثقافة العربية الإسلامية تصدت لهذه الترّهات والانحرافات وانتصرت عليها بفضل مقوماتها وخصائصها المتميزة والثابتة.
4. امتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأخرى التي كانت سائدة في العصر الإسلامي الأول مع المحافظة على هويتها المتميزة والمنفردة، وبهذا أصبح للثقافة العربية الغناء والثراء والتعدد والتنوع، ويأتي هذا التنوع من طبيعة المبادئ التي تقوم عليها الثقافة العربية الإسلامية التي تحث الجميع على طلب العلوم والنظر والتفكير، وتحض على التماس الحكمة من أي مصدر كان، وتبارك بالتقارب والتعارف بين الأمم والشعوب، فهذه المبادئ كلها دعا إليها الإسلام، فيمكن أن نجعلها قاعدة للتعايش الثقافي والفكري.

2- ثقافة الحوار, د.ولي الدين فرفور، ص 248-249, الثقافة الإسلامية مفهومها ومصادرها، د.عزمي طه السيد, ص 60, الثقافة الإسلامية، د.محمد أبو يحيى، ص 15.

5. تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى:



إن التفاعل الثقافي العربي والإسلامي مع بقية الثقافات الأخرى مصدر قوة للثقافة العربية، هذا يدل على أن الثقافة العربية قد انفتحت على الثقافات الأخرى انفتاحاً كبيراً ووسعتها، وتكيفت الثقافات الأخرى معها، ومن جملة الإيجابيات لهذا التفاعل الثقافي بين الثقافة العربية الإسلامية وبقية الثقافات الأخرى أن الثقافات الأخرى لها أصول وجذور يونانية في العلوم المختلفة والمعارف، وكانت متفرقة في بلاد الشام ومصر وفارس، فأضفت الثقافة العربية الإسلامية عليها الفكر الإسلامي السامي وغذّتها بروح الإسلام والمعرفة الإسلامية، فظهرت في هذه البلاد مدارس علمية وفلسفية ممتزجة الثقافات متفاعلة مع بعضها البعض، فخرج العلماء والفلاسفة بثقافة جديدة تشتمل على علوم دينية وطبية، ورياضية وفلسفية، وغيرها من العلوم.

فالثقافة العربية الإسلامية بما تحتوي عليه من ميزات وخصائص ومقومات قادرة على هذا التفاعل مع الثقافات الأخرى، مما ساعدها على سعة انتشارها وامتداد فروعها في مجتمعات شتى.

تجلى ذلك في المظهر العام الذي ظهر في السلوك والمعرفة ومدارس الفكر في الثقافات، وكان هذا التفاعل الثقافي خاصية من خصائص الحضارة الإسلامية التي لم يعرفها التاريخ الإنساني لا في الأعصار ولا الأمصار قبل ذلك، فاتسمت الثقافة العربية الإسلامية بسمة النصر والغلبة على جميع الثقافات الأخرى لا عن طريق الهيمنة الثقافية، وإنما عن طريق التفاهم والتفاعل الثقافي، وأبقت على جذورها وأصولها، وفتحت باب التسامح مع الأديان الأخرى بعيداً عن العقائد المختلفة للأديان[40].

1- ثقافة الحوار , د.ولي الدين فرفور، ص 252 فما بعد.

خلاصة:

إن الأصل في الحضارات الحوار لا الصراع، وإن على كل طرف أن يلتزم بآداب الحوار وشروطه وضوابطه ويحترم الطرف الآخر، ويقدر مرجعيته وخصوصيتَه الثقافية.

للحوار أركان وآداب ومناهج.

موقف الشريعة الإسلامية من الحوار الإسلامي المسيحي هو موقف مؤيد، والتعايش بين الأديان هو إقامة نسق مشترك بين أفراد المجتمع الواحد بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية وفروقهم الدينية في جو من التآلف والتعاون.

وضع الإسلام –أفضل الحضارات – أسس حوار الحضارات وعزز هذا الحوار على مدار التاريخ الإنساني، وهو يرفض إلغاء الحضارات الأخرى، كما يرفض تهميشها وسيطرة حضارة واحدة على العالم.

تمارين:

1. عرف الحوار واذكر أهم ضوابطه.

2. تحدث بالتفصيل عن آفات الحوار.

3. عدد ميزات الثقافة.

4. اختر الإجابة الصحيحة:

من آداب الحوار:

A. الاعتماد على العقل الصحيح.
B. الإنصات وعدم رفع الصوت.
C. التيسير وعدم التعسير.

الإجابة الصحيحة: B الإنصات وعدم رفع الصوت.

5. اختر الإجابة الخاطئة:

فكرة الحوار الإسلامي المسيحي بدأت:

A. في أربعينيات القرن الماضي.
B. في ستينيات القرن الماضي.

الإجابة الصحيحة: A في أربعينيات القرن الماضي.

المراجع:

1. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1985م.
2. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط4، 1987/1407.
3. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، ط1، 1975م.
4. ثقافة الحوار بين الأصالة والمعاصرة، د.ولي الدين فرفور، دار الفرفور، دمشق، ط1، 2009/1430.
5. حوار الحضارات، عبد الله علي العليان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان، ط1، 2005م.
6. حوار الحضارات في عالم متغير، السيد ياسين، المؤتمر الدولي حول (صراع الحضارات أم حوار الثقافات)، القاهرة، مطبوعات التضامن، 1997م.
7. الدعوة لصراع الحضارات بين الفهم الخاطئ للإسلام والحاجة إلى اختراع عدو، عبد الله علي العليان، جريدة عمان، مسقط، العدد 414.
8. حوار الحضارات وصدامها للسيد صادق، ترجمة السيد علي موسوي، طبع دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.
9. حوار الحضارات، د. يوسف الحسن، حلقة دراسية بالمعهد الدبلوماسي حول حوار الحضارات، 2007م.
10. الإسلام والمسيحية، إليكس جوارفسكي، 2010م.
11. الحوار سبيل التعايش، د.محمد سعيد رمضان البوطي، محمد مهدي شمس الدين، جودت سعيد، دار الفكر، ط2، 2002م.
12. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، سورحمن هدايات، ترجمة محمد عبد الرحمن مندور، دار السلام، القاهرة، 2001م.
13. مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ترجمة د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، 2006م.

14.الحوار من أجل التعايش، د.عبد العزيز التويجري، دار الشروق، القاهرة، 1998م.
15.دراسات في الثقافات الإسلامية، د.صالح ذياب هندي، دار الفكر، ط1، 2002م.
16.الثقافة الإسلامية مفهومها ومصادرها، د.عزمي طه السيد، دار المناهج، عمّان، ط4، 2002/1423.
17.الثقافة الإسلامية، محمد أبو يحيى، دار المناهج، عمّان، ط3، 2001/1442.
18.الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ط1، 1998/1418.
19.صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي الجديد، صامويل هينتنغتون، ترجمة طلعة الشايب وتقديم صلاح قنصوة، ط2، 1999م.

الوحدة التعليمية الثالثة

الشرق الأوسط الجديد أو الكبير

أهمية الوحدة الثالثة:

تهدف هذه الوحدة إلى بيان ما يريده القائمون على طرح هذا الموضوع من إعادة هيكلة الشرق الأوسط.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

1. يحدد كيفية نشوء مشروع الشرق الأوسط الجديد.
2. يبين تقسيمات مشروع الشرق الأوسط الجديد.
3. يدرك أهمية مشروع الشرق الأوسط الجديد استراتيجياً.

الكلمات المفتاحية:

مشروع –فحوى –تقسيمات –الجديد –أهمية –ملامح –خريطة الأوسط –شراكة –مصير –الشعوب –الكبير –أهداف –الاعتراف –إسرائيل –الفوضى –العربية.

أولاً: مقدمة



إن صاحب امتياز هذا الاسم "الشرق الأوسط الجديد" هو شيمون بيريز[1]، والذي طرحه عبر كتابه الذي حمل اسم "الشرق الأوسط الجديد" عام 1994، وفيه طرح شيمون بيريز مفهوماً لهذا الشرق الأوسط الذي بدا أنه على وشك ولوج حقبة جديدة في أعقاب إنجاز التسوية الأمريكية للملف الفلسطيني الإسرائيلي، المتمثلة في اتفاق أوسلو الموقع بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين عام 1993، ومن هنا جاء مشروع "الشرق الأوسط الجديد" متكيفاً مع هذه الظروف المستجدة من دون أن يتخلى بأي صورة من الصور عن مستهدفاته الاستراتيجية الثابتة، مستهدفات المشروع الصهيوني الإمبريالي الأصلي، لكن هذه المرة مع التحوير الضروري والملائم الذي عبر عنه إسحق رابين رئيس الوزراء الصهيوني المقتول – قبل اغتياله – بقوله ساخراً من فجاجة معارضيه من حزب الليكود قائلاً: "إن هؤلاء يقيسون قوة إسرائيل بمساحة ما تستولي عليه من أراضٍ، أما نحن فنقيس قوة إسرائيل بمقدار ما تسيطر عليه من أسواق"، وكان أحد الأهداف المهمة لهذا الطرح هو استبدال الهوية الإسلامية التاريخية والثقافية للمنطقة بأخرى مصطنعة مشوشة هي الهوية الشرق أوسطية التي تعني إذابة العرب في كيان هلامي غير واضح المعالم، أوضح ما فيه خضوعه للهيمنة الإسرائيلية المباشرة والكاملة.

وقد تطور هذا الطرح في أعقاب أحداث 11 أيلول، وما تلاه من تداعيات أبرزها احتلال العراق وتدمير بنيته المؤسسية، وتحول دول المنطقة وبالذات الخليجية إلى مستعمرات وقواعد عسكرية أمريكية، وتطوير أمريكي لمشروع "الشرق الأوسط الجديد" وطرحه في صور مستحدثة باسم الشرق الأوسط الكبير، روج لها الرئيس بوش وأركان حربه، وعلى رأسهم وزيرة الخارجية كونداليزا

---

[1] – الشرق الأوسط الجديد، شيمون بيريز، دار الجيل، عمان، 1994م، ص 38.

رايس، ونائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وغيرهم من أركان الإدارة الأمريكية[2].

ثانياً: فحوى مشروع الشرق الأوسط الجديد وتقسيماته

1. فحوى مشروع الشرق الأوسط الجديد:

يتبلور في عملية مزدوجة لتفكيك وإعادة تركيب دول المنطقة بإجراء تقسيمات وتخطيطات جديدة تعيد رسم خرائطها على النحو الذي يضمن المصالح العليا الأمريكية وأساسها البترول وإسرائيل، باستخدام القوة والتدخل المباشر في مسار مشابه لما جرى عام 1916م، حينما تم تقاسم تركة الرجل العثماني المريض بين الإمبراطوريات الغربية المهيمنة آنذاك، وبالذات الإمبراطوريتان البريطانية والفرنسية.

2. تقسيمات مشروع الشرق الأوسط الجديد:

توضح الخريطتان المرفقتان بالتقرير طبيعة التغير المقترح، وهاتان الخريطتان ليستا سوى خريطتين من جملة خرائط أخرى متداولة في أوساط البنتاغون، ولكنها جميعاً تقوم على المبدأ نفسه، التقسيم والتمزيق.

فقد نشرت مجلة "القوات المسلحة الأمريكية" في أحد أعددها الأخير تقريراً يرسم مستقبلاً للمنطقة يقوم على "إعادة هيكلة الشرق الأوسط" وكان هذا هو عنوان التقرير، بحيث يجري تقسيم العراق وسورية والسعودية إلى دويلات طائفية متنازعة، بينما يتم توسيع المملكة الأردنية الهاشمية على حساب العراق والسعودية، وتحافظ إسرائيل على جميع الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة ليكون السلام قائماً على أساس قوة الردع الإسرائيلية من ناحية، وتمزق وتنازع دول المنطقة فيما بينها من ناحية أخرى.

[2] – كتاب الشرق الأوسط الجديد، محمد الخولي، دار الهلال، ط1، 2008، ص 76، الشرق الأوسط الجديد بين الإشاعة والحقيقة، سامي العارضة.

والتقرير أعده الخبير "رالف بيتر" الكولونيل المتقاعد من الجيش الأمريكي الذي سبق له أن عمل في سلاح المدرعات وشعبة المخابرات العسكرية، وهو لايزال على صلة وثيقة بمراكز الأبحاث التي يشرف عليها البنتاغون[3]، وكان هذا الخبير العسكري عبر عن مخاوفه بهذا الصدد على مضض مع جيمي غلازوف بتاريخ 2 حزيران 2006 بالقول: "إن هذه الحرب أول حرب تخسرها إسرائيل إعلامياً وعسكرياً"، ويتابع: "إنه لا خيار لإسرائيل سوى تعديل الكفة، ودفع قواتها البرية بأقصى ما تملك للقضاء على حزب الله كلياً، فالمعركة مصيرية وهي مسألة حياة أو موت للكثير من الرهانات في المنطقة".

فحكومة بوش عملت ما في وسعها لتمنح إسرائيل الوقت الكافي لإكمال المهمة وتحقيق الأهداف، لكن صلابة المقاومة اللبنانية أثبتت أن حكومة أولمرت تعد الأضعف في تاريخ إسرائيل عسكرياً، وبيت القصيد في هذا الحوار هو أن تستمر الحرب على نحو لا يجب إيقافها أبداً.

1- المفصل في الرد على الحضارة الغربية, علي بن نايف الشحود، ص 286/7.

ثالثاً: أهمية مشروع الشرق الأوسط الجديد وملامح خريطته:

1. أهمية مشروع الشرق الأوسط الجديد استراتيجياً[4]:

يكشف التقرير أن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بهذه المنطقة عما عداها لا يعدم تبريراً وأهميته للآتي:

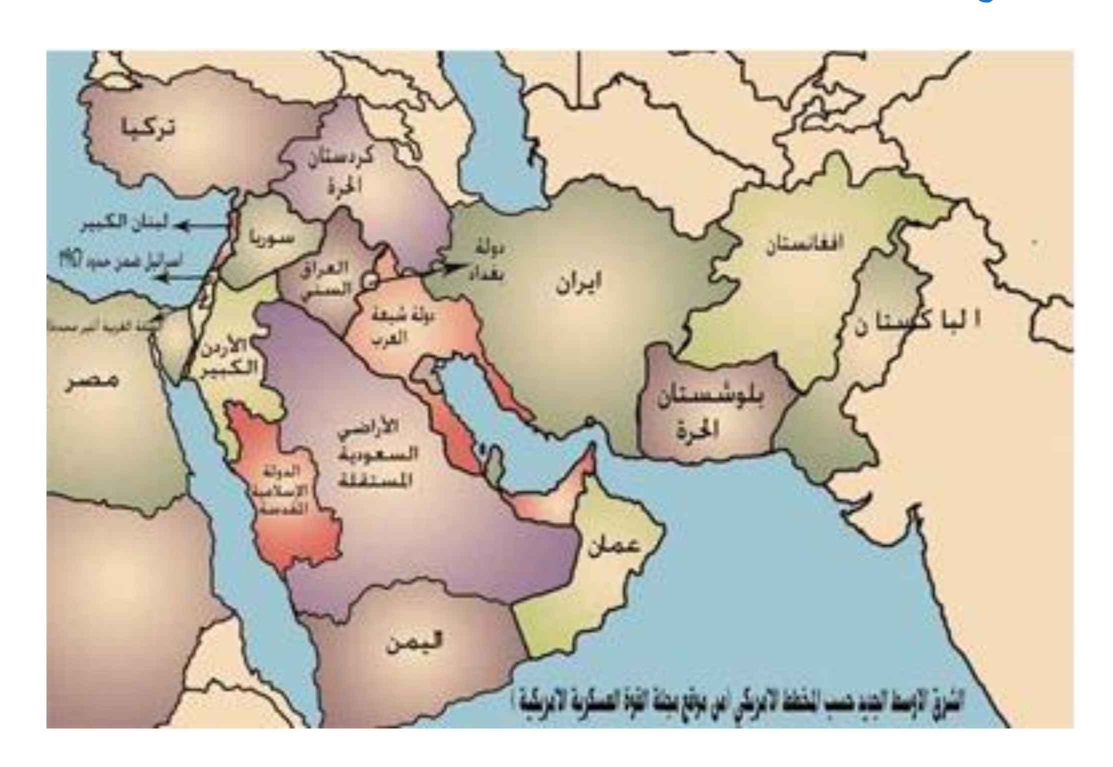
1. لأن المنطقة تقع على خطوط الممرات الجوية والبرية والبحرية ذات الأهمية الكبرى لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، علاوة على أنها شريان الطاقة العالمي بامتياز طوال خمسين سنة المقبلة.
2. إن هذه المنطقة تحفل بتهديدات شتى، سواء تلك التي بررت رفض شعوب المنطقة للمشروع الأمريكي أم تلك التي ستظهر مع تعاظم دول الشرق الأقصى والصين والهند العملاقان المقبلان.
3. إن تكسير الجدار العربي مقدمة لتكسير هويات قومية وثقافية أخرى للاستفراد بالعالم وإحلال هيمنة الثقافة الواحدة، والنظام السياسي الواحد، وتسييج العولمة بثوب ومقاس الإمبراطورية الجديدة.



---

[4] – مشروع الشرق الأوسط الكبير والسياسة الخارجية الأمريكية، رايق سليم البريزات، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2008، ص 45 فما بعد.

2. ملامح خريطة الشرق الأوسط حالياً:



يبدو أن نشر التقرير كان يعني فيما يعنيه أن الحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان ليست سوى محطة من محطات أخرى للحرب المعلنة والخفية على الشعوب العربية والإسلامية في المنطقة بعامة، والدول والتنظيمات الممانعة بخاصة.

ويقترح التقرير أن يتم تقويض أركان دول وإعادة رسم جديدة لكيانات دول جديدة وابتعاث دول أخرى.

إذ إن الخريطة المقترحة تتضمن تعديلاً وتقسيماً يمس الدول التالية: سورية وإيران والعراق والسعودية وباكستان والإمارات العربية المتحدة وتركيا، وما يتم اقتطاعه يتم إلحاقه بالدول التالية الأردن واليمن وأفغانستان.

كما يلوّح المشروع بـ «دولة كردستان الجديدة»، وبداية يعلن التقرير ضرورة إعادة ورسم حدود وكيان الدول التالية على المدى القصير والمتوسط، بحيث تأتي العراق والسعودية وإيران على قائمة الدول المعرضة للبلقنة والتقسيم على أساس طائفي ومذهبي، وما جرى في العراق أثبت أن الديمقراطية التي بشر بها المسؤولون الأمريكيون في مشروعهم الأول، لم تؤدِّ إلى كسب رهان السيطرة على العراق كلياً.

كما تعرِض الخريطة الجديدة ميلاد «دولة كردستان الكبرى»، وتضم شمال العراق –كركوك النفطية – ومحافظات الموصل وديالى والمناطق الكردية التي يتم اقتطاعها من تركيا وسورية وإيران وأرمينيا وأذربيجان، ويتم هذا بدعوى رد حقوق الأقليات التي هُضمت تاريخياً.

ومؤدى هذا المشروع أن ترك الأنظمة العربية كما هو عليه حالها اليوم لن يمنع الولايات المتحدة الأمريكية من أن تتلقى مصالحها ردود فعل شعبية عنيفة في المنطقة، ستكتوي بنارها طال الزمن أم قصر، وبالتالي أصبح الرهان على الديمقراطية مجرد وهم نحن غير جديرين بها على ضوء هذا المشروع الجديد.

3. الإجهاز على ما تبقى من لحمة جامعة الدول العربية:



الإجهاز على ما تبقى من لجمة جامعة الدول العربية وضم هذه الدول إلى حظيرة "سوق مشتركة في الشرق الأوسط" تضمن من خلالها إسرائيل الاعترافَ والتطبيع والريادة، غير أن اندلاع الانتفاضة الفلسطينية وفشلَ محاولات كلينتون في "الشرق الأوسط" قبر المشروع في ذلك الوقت، لكن يبدو أن الوقت حان للبدء بمحاولات جديدة لمشروع "الشرق الأوسط الجديد"، كما صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية.

وصدق الله تعالى حيث يقول: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"، ويقول تعالى: "لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا"[5].

إن هذا المكر الغربي الخادع بهذه المشاريع التقسيمية الإحتلالية وغيرها هو بحاجة ماسة من كل مؤمن غيور إلى أن يدفعه بقوة مشروع مضاد له يجمع الأمتين العربية والإسلامية ويشد من قوتهما، ويستوعب طموحاتهما.

2- سورة البقرة, آية 217.

رابعاً: ما هو مشروع الشرق الأوسط الجديد[6]:

هناك ثلاثة مصطلحات يجري الترويج لها في الغرب وهي مصطلحات مشبوهة مطاطة تفتقر إلى الدقة لأنها غير مستقرة ومتحركة فإن من الصعب إيجاد تعريف جامع مانع لذلك.

فمصطلح الشرق الأقصى يشمل الصين واليابان والهند الصينية وكوريا وما جاورها، ومصطلح الشرق الأدنى يضم الدول العربية بما فيها تركيا، ومصلح الأوسط يضم إيران وباكستان وأفغانستان ودول آسيا الوسطى ومنها الدول العربية، أما مصطلح الشرق الأوسط الكبير فله خلفية في ذهن أصحابه، ويشمل الشرق الأدنى ودول الشرق الأوسط إضافة إلى دول شمال إفريقية وإسرائيل، وبالتالي فإن الإصرار على استعمال الشرق ليس بريئاً، وإنما له خلفية ومرامٍ سيئة، والغرض من ذلك يعود إلى السببين التاليين:

الأول: الرغبة في طمس معالم العروبة، وإلغاء كلمة عربي وسلخ الصفات القومية والعربية عن العرب، واعتبار العرب قبائل وطوائف لم تُخلق لتتعارف وتتعاون، ولهذا السبب تطالعنا أدبيات الغرب بمفاهيم خاطئة وهي:

"الشرق الأوسط" أو "منطقة الشرق الأوسط" أو "قضية الشرق الأوسط" بدلاً من تعابير صحيحة هي "المنطقة العربية" و"الوطن العربي" و"الأمة العربية" و"القضية الفلسطينية"، ولهذا السبب ظهر مشروع الشرق الأوسط الكبير ومفهوم شمال إفريقية للتهرب من استعمال تعبير "المغرب العربي"[7].

الثاني: هو ضم إسرائيل إلى مجموعة الشرق الأوسط ودمجها بصورة فعلية في المشرق العربي، وإدخالها في النسيج العربي، وجعل هذا الكيان جزءاً عضوياً وأساسياً من كتلة دول المنطقة العربية دون أن يضطر إلى إبراز اسمه، ومن ثم التمهيد في المحصلة النهائية[8] إلى انتزاع الاعتراف العربي الجماعي، وفرض التعامل الطبيعي معه، وإقناع النظام العربي بجميع أطرافه

---

[6] – مشروع الشرق الأوسط الكبير، نعيم الأشهب ومازن الحسيني، دار الشروق، عمان، 2005، ص 77.

[7] – مشروع الشرق الأوسط الكبير, عبد القادر زريق المخادمي, الدار العربية للعلوم, بيروت, ط1, 1426/2005م, ص 41 فما بعد.

[8] – النظام الدولي الجديد, عبد القادر زريق المخادمي, ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط2، 2003م، ص 65.

بـأن الطريـق الوحيـد إلــى البقـاء فـي الحكـم تجديـداً أو تحديـداً أو توريثــاً يمـر حتمــاً بالكيـان الصهيوني[9].

خامساً: تأسيس شراكة الشرق الأوسط





إن مشــروع شــراكة الشــرق الأوســط التــابع للخارجيـة الأمريكيـة يـدفع عـدد مـن برامجـه بضـــعة ملايـــين مـــن الـــدولارات لـــبعض منظمـات فـي الشـرق الأوسـط تحـت دعـوى دعـم دور تلـك المنظمـات فـي السـعي نحـو الإصـلاح، وقـد تـم تصـوير المشـروع علـى أنه بارقة أمل للعالم العربي، وعدّ البنتاغون أن الحـرب علـى العـراق مـا هـي إلا الحلقـة الأولى من مسلسل تشكيل الشرق الأوسط.

ومشروع شراكة الشرق الأوسط الذي يمهد لمشروع الشرق الأوسط الكبير يرتكز إلى أربعة أهداف:

- الهـدف الاقتصـادي: ويتمحـور حـول المسـاعدة فـي تحسـين الجـودة وتشـجيع الاسـتثمار، وتسهيل إيجاد المؤسسات.
- الهـدف السياسـي: ويـدور حـول ترقيـة المجتمـع المـدني، وتعزيـز دولـة القـانون، وتعزيـز التعددية الإعلامية.
- الهـدف التربـوي: ويتمثـل فـي تمكـين الجميـع مـن التمـرس، وتحسـين البـرامج الدراسـية، وتأهيل الطاقات البشرية كخوض وظائف التجارة والسوق.
- الهدف الخاص بالمرأة.

---

[9] – المرجع السابق، ص 70.

وتم الإعلان عن مشروع الشرق الأوسط الكبير في 6 تشرين الثاني 2003م من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن خلال حديثه عن "الهيئة الوطنية للديمقراطية"[10].


Plans for Redrawing the Middle East: The Project for a "New Middle East"

وكانت دعوة الإصلاح المتمثلة في الشرق الأوسط الكبير، والتي قامت الولايات المتحدة بإطلاقها نيابة عن قادة الأمة ومفكريها وفق دوافع إنسانية بحتة، ولكنها اعتمدت في مرتكزاتها الأساسية على الحقائق والأرقام التي أوردها تقرير التنمية الإنسانية العربية، قد أشرف على إعدادهما نخبة من المتخصصين العرب، أي أن المبادرة جاءت بناءً على تشخيص عربي لمظاهر الأزمة العربية التي تتمحور في جوهرها حول[11]:

– نقص الحريات الذي يعانيه المواطن العربي.

– الحرية السياسية التي تمنع مشاركته الفعالة في نظام الحكم، وبناء مجتمع معرفي وتوسيع الفرص الاقتصادية، وإعطاء مجال أوسع للمرأة.

لكن المبادرة الأمريكية كما تسربت، وكما حاول أن يبلورها الرئيس بوش في خطابه تجاهلت أهم المحاور التي ركز عليها تقرير التنمية الإنسانية، وهو التأثير السلبي للصراع العربي الإسرائيلي

---

[10] – جريدة الحياة اللندنية 13 شباط 2004, نقلاً عن مشروع الشرق الأوسط الكبير، ص 115.

[11] – الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية, وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية, تقرير حول التنمية البشرية العربية 2003/2002، ص 52, مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي, د.عبد الوهاب المستيري, دار الفكر بدمشق, ط1, 2002م.

على التنمية العربية، بل إن التقرير عدّ وجود إسرائيل هو العقبة لفشل جهود الإصلاح والتنمية، وعلى العكس من ذلك ترى المبادرة الأمريكية أن النتيجة الطبيعية للإصلاح العربي يجب أن تكون في اتجاه الصلح مع إسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها في إطار ما يسمى مشروع الشرق الأوسط الكبير، ولهذا جاء الرفض العربي للمبادرة جملة وتفصيلاً لأن المبادرة تجاهلت قضية العرب المركزية وهي القضية الفلسطينية[12].

سادساً: مصير الشعوب العربية في مشروع الشرق الأوسط الكبير[13]



إن مصير الشعوب العربية في مخطط الاستعمار الأمريكي الجديد لمنطقة الشرق الأوسط يتلخص في كلمات مختصرة وقليلة وهي:

التدمير ونشر الفوضى وتعزيز التفرقة والتقسيم لشعوب المنطقة بواسطة فتنة الاقتتال الطائفي، وحرب أهلية بين الطوائف والإثنيات المختلفة وهدم لحضاراتها القديمة لأهداف تتعلق بالمشروع الأصولي الديني المتطرف والحاكم والمسيطر الآن من خلال الحكومة الأمريكية، إنه احتلال سافر للإراضي العربية ومشبوه لا بد من كشف أسبابه وخفاياه وأسراره، كما أنه تدمير للشعوب العربية والهيمنة على مواردها.

إضافة إلى ذلك سيتم تفتيت وتقسيم الأراضي العربية وشعوبها على أسس طائفية حزبية سياسية ودينية أو إثنية متناحرة بواسطة نشر الفتنة بينها، وذلك مع غياب كامل لمشروع تأسيس وفاق

---

[12] – صوت الأحرار, صحيفة جزائرية, العدد 1905/ 7 حزيران 2004, الشرق الأوسط منطقة آمنة لإسرائيل، نبيل زكي، مركز الشرق العربي للدراسات الاستراتيجية، 2006م، ص 90.

[13] – الشرق الأوسط الجديد، إسماعيل آغا، دار سراج، بيروت، 2003م، ص 94، الصراع على الشرق الأوسط، رفعت مصطفى، دارالعلم، 2006م، 145.

وطني أو قومي بينها، ومع غياب تام لدور دولي أممي فعال من خلال الأمم المتحدة لإزالة الاحتلال أو الإشراف على انتخابات وطنية حرة، تحمي الشعوب العربية وتعيد لها استقلالها وسيادتها ومواردها وكراماتها ضمن المنظومة الدولية المعترف بها في الأمم المتحدة.



إن مثل هذه المخاطر والتفتت والتشتت والتكالب على البلاد العربية كانت في الماضي حاصلة في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي على شكل "حلف بغداد"، وقد كان نتيجتَها استنهاضُ العامل الشعبي التضامني الوطني والقومي العربي،

والذي أدى إلى انحدار فشل مشروع "حلف بغداد" الذي كان يستهدف حرية الشعب العربي واستغلاله واقتصاده، وهذه الفترة الماضية لم تكن أقل سوءاً من الوضع الحالي المتأزم والقاتل للشعب العربي بجميع طوائفه، وإذا لم تستيقظ الشعوب العربية على خطورة المخطط الأمريكي الصهيوني والتداعي إلى تضامن وطني قومي سريع فإن المد الأمريكي الصهيوني الأصولي سيفوق ويزداد في تدميره ويتعاظم في تخريبه ما أحدثته الكوارث الطبيعية، ولكن سيكون في هذه الآونة بأيدٍ بشرية غربية ملوثة على شكل تدمير شامل لمعقل الأديان الثلاثة في مركز الشرق الأسط، ولن يرحم أحداً من الشعوب مهما كانت طوائفه ومذاهبه، والهدف من هذا كله استقرار الولايات المتحدة الأمريكية وهيمنتها على منطقة الشرق الأوسط بما فيها تغيير الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المنطقة، وذلك على حساب الشعوب العربية وحضاراتها الإنسانية التاريخية العريقة ومواردها الطبيعية الغزيرة سواء كانت نفطاً أم ماءً وذلك في صراع ديني تعصبي مزمن يتخطى حدود الزمان والمكان، ويتفجر على شكل فوضى وكراهية وقتال طائفي وسياسي لإضعاف الشعوب العربية[14].

[14] – الصراع على الشرق الأوسط الكبير, د.مفيد محي الدين الصواف, ط1, 2006م, ص 53 فما بعد.

سابعاً: أهداف مشروع الشرق الأوسط الكبير



جاء مشروع الشرق الأوسط للمنطقة بثوب براق ظاهره خير لها، ولكنه في واقع الأمر يحمل في طياته مفارقة واضحة، فبينما نجده يدعو إلى نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط بالتشاور مع شعوب المنطقة وحكامها إلا أن جوهره هو ضم دولة إسرائيل ككيان سياسي مقبول من قبل جميع الدول إلى مجموعة دول الشرق الأوسط ودمجها بصورة فعلية في المشرق العربي وجعلها جزءاً عضوياً وأساسياً في كتلة دول المنطقة العربية، وبالتالي يؤدي هذا إلى انتزاع الاعتراف العربي الجماعي بدولة إسرائيل وحقها في العيش في المنطقة شاءت الدول العربية أم أبت وفرض التعامل الطبيعي معها، وإقناع النظام العربي بكل دوله بأن الطريق الوحيد للبقاء هو التمتع برضا الولايات المتحدة الذي يمر حتماً بإسرائيل، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس الهيمنة على المنطقة وأهلها من خلال الأنظمة العربية وما على هذه الأنظمة إلا تنفيذ ما تراه الولايات المتحدة الأمريكية مناسباً لأن لها الفضل الكبير في دعمها وهذا ما يسهل الطريق للولايات المتحدة على إحداث التغيير الذي ترتئيه والذي يدخل في دائرة تغيير المجتمعات العربية على اعتبارها مجتمعات متأخرة عن ركب المجتمعات البشرية الأخرى، ولا بد من مواكبة هذه المجتمعات لتلك المتقدمة وهذا لا يتم وفق الرؤية الأمريكية إلا ببناء المجتمع العربي المثالي، والمثالية وفق الرؤية الأمريكية خلاف تلك المثالية المترسخة في ذهنية الآخر، والمجتمع المثالي هذا لا بد من توفير كل أسباب الرخاء له ومن أهمها بناء المجتمع المثالي وزيادة الفرص الاقتصادية[15].

---

[15] – مشروع الشرق الأوسط الكبير والسياسة الخارجية الأمريكية, رايق سليم البريزات, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط، 2008م، ص 39, الشرق الأوسط منطقة آمنة لإسرائيل, نبيل زكي, مركز الشرق للدراسات الاستراتيجية، 2006م, ص 90.

خلاصة:

إن مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير يخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وربيبتها إسرائيل، فلا بد من إلقاء الضوء على المكر الغربي الخادع بهذه المشاريع التقسيمية الاحتلالية، ولا بد من مواجهتها بمشروع مضاد له يجمع الأمتين العربية والإسلامية.

وقد روج لهذا المشروع الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، وأركان حربه وعلى رأسهم وزيرة الخارجية كونداليزا رايس، ونائب الرئيس ديك تشيني، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وغيرهم من الإدارة الأمريكية.

والهدف الأساسي من هذا المشروع هو ضم الدول العربية إلى سوق مشتركة في الشرق الأوسط تضمن من خلالها إسرائيل الاعتراف والتطبيع والريادة.

تمارين:

1. بين بالتفصيل فحوى مشروع الشرق الأوسط الجديد.
2. اذكر ملامح خريطة الشرق الأوسط الجديد.
3. تحدث عن الأهمية الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الجديد.
4. اختر الإجابة الصحيحة:

صاحب امتياز مشروع الشرق الأوسط الجديد هو:

A.جورج بوش.

B.شيمون بيريز.

C. باراك أوباما.

الإجابة الصحيحة: **B** شيمون بيريز.

5. اختر الإجابة الخاطئة:

اتفاق أوسلو الموقع بين ياسر عرفات:

A. إسحق رابين.

B. آريل شارون.

C. بينيامين نتنياهو.

الإجابة الصحيحة: **C** بينيامين نتنياهو.

المراجع:

1. المفصل في الرد على الحضارة الغربية، علي بن نايف الشحود، من دون معلومات.
2. مشروع الشرق الأوسط الكبير، عبد القادر زريق المخادمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005م.
3. النظام العالمي الجديد، عبد القادر زريق المخادمي، ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر، ط2، 2003م.
4. الشرق الأوسط الجديد، شيمون بيريز، دار الجيل، عمان، 1994م.
5. الصراع على الشرق الأوسط الكبير، د.مفيد محي الدين الصواف، ط1، 2006م.
6. مخطط الشرق الأوسط الجديد، د.علي عيد داوود الزكي، موقع ساحرة الأجفان.
7. كتاب الشرق الأوسط الجديد، محمد الخولي، دار الهلال، 2008م.
8. مشروع الشرق الأوسط الكبير والسياسة الخارجية الأمريكية، رايق سليم البريزات، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2008م.
9. الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والأمبريالية الأمريكية، غازي حسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2005م.
10. الشرق الأوسط الجديد، إسماعيل آغا، دار سراج، بيروت، 2003م.
11. مشروع الشرق الأوسط الكبير، نعيم الأشهب ومازن الحسين، دار الشروق عمان، 2005م.

الوحدة التعليمية الرابعة

الإرهاب

حقيقته –نشأته –أسبابه –أهدافه

أهمية الوحدة الرابعة:

لما كان الإرهاب اعتداء على نفوس الناس وأموالهم بغير حق وانتهاكاً لحرماتهم وأمنهم كان لا بد من القضاء عليه واجتثاثه من جذوره صيانة لأمن البشرية وهو أهم ما تسعى إليه.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرّف الإرهاب.
2. يبين حقيقة الإرهاب.
3. يعدد أسباب الإرهاب وأنواعه وأشكاله.
4. يعدد الآثار الاقتصادية للإرهاب على المستوى الدولي.
5. يحدد مفهوم الإرهاب في الإسلام وموقف الإسلام منه.

الكلمات المفتاحية:

الإرهاب – رهب – العدوان – العنف – المشروع – القانون – نشأة – الخوارج – القرامطة – أسباب – التربوية – الثقافية – الاجتماعية – السياسية – الدولي – الاتفاق – الحركات – وسائل تخريب – الاغتيالات – الطائرات – مباشرة – أنواع – السلم – النزاعات – البطالة – التضخم – المنظور – المستأمَنون.

اولاً: مقدمة



جاء الإسلام بتعاليمه السمحة ومبادئه القويمة ومقاصده العظيمة ليحفظ للناس دينهم، ويوفر كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم وضروراتهم، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ولما كان الإرهاب اعتداء على نفوس الناس وأموالهم بغير حق وانتهاكاً لحرماتهم وأمنهم ومصالحهم، كان لزاماً أن تتضافر الجهود لمدافعته والقضاء عليه، صيانةً لضرورات الناس وأمنهم ومصالحهم، وحماية لهم من تبعات الإرهاب وآلامه وشروره.

ويعد الإرهاب من الظواهر الاجتماعية التي تنشأ وتترعرع في ظل عوامل نفسية واجتماعية خاصة، وتحت ظروف سياسية واقتصادية وثقافية معينة، وتشترك جميع هذه الظروف والعوامل بشكل أو بآخر في إفراز ظاهرة الإرهاب واجتثاث جذوره من أي مجتمع، وتتطلب فهماً جيداً لهذه الظاهرة من جميع جوانبها والوقوف على أسبابها، حتى يكون التعامل معها مبنياً على أسس علمية صحيحة.

وإن إدراكنا للظروف التي ينمو فيها الإرهاب يجعلنا نصل إلى قناعة بأن الالتزام بمتطلبات الإصلاح السياسي والاقتصادي والثقافي هو البوابة الرئيسة الأولى لإنهاء هذه الظاهرة من مجتمعاتنا.

ثانياً: تعريف الإرهاب وحقيقته:

1. تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً:

تعريف الإرهاب في اللغة:



كلمة الإرهاب مشتقة من "رهِب": بالكسر، يرهَب، رهْبة.

وترهّب غيره: إذا توعده، وأرهبه ورهّبه: أخافه وفزّعه، ورهِب الشيء رهباً، ورهِبه: خافه[1].

ويقل وجود صيغة "الإرهاب" في المصادر الأصلية في اللغة العربية، وقد ذكر الزبيدي في كتابه تاج العروس: الإرهاب بالكسر: الإزعاج والإخافة[2].

كما ذكر أصحاب المعجم الوسيط كلمة "الإرهابيون" وفسروها بأنها: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[3].

وقال ابن فارس في معجمه: رهِب: الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على الخوف، والآخر على دقة وخفة، فالأول: الرهبة، تقول: رهِبت الشيء رُهباً ورَهباً ورهبةً، والترهيب التعبد، والأصل الآخر: الرهْب: الناقة المهزولة[4].

– لسان العرب, ابن منظور, 436/1، مادة "رهب".[1]

– تاج العروس, محمد مرتض الزبيدي، 537/2، مادة "رهب".[2]

– المعجم الوسيط, مادة: رهب.[3]

– معجم مقاييس اللغة 427/2.[4]

تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

إن مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية فإنه يعني: التخويف لأعداء الله وأعداء المسلمين، وإحداث الخوف والرهبة في نفوسهم ليمتنعوا من إيقاد نار الحرب والإفساد في الأرض، والاعتداء على بلاد المسلمين، وانتهاك حرماتهم، وهذا يختلف تماماً عن معنى الإرهاب الشائع في الوقت الحاضر، وعلى الرغم من عدم الاتفاق على تعريف الإرهاب دولياً، بحيث يضبط مضمونه ويحدد مدلوله، فهناك تعاريف عدة للإرهاب سأذكر بعضها، منها:

- تعريف المَجْمع الفقهي بجدة الذي جاء فيه: "هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه، أو دمه أو عرضه أو عقله أو ماله، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر"[5].
- ومن التعاريف المهمة تعريف مجلسي وزراء الداخلية والعدل العرب حيث عرّف الإرهاب بأنه: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أياً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق، أو الأملاك العامة والخاصة، أو اختلاسها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"[6].
- تعريف قاموس أكسفورد للإرهاب: "سياسة أو أسلوب يُعد لإرهاب وإفزاع المناوئين أو المعارضين لحكومة ما، كما أن كلمة "إرهابي" تشير بوجه عام إلى أي شخص يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو الترويع"[7].

إن قضية الإرهاب يجب أن تُجعل لها مرجعية معيارية ثابتة تشمل جوانب المشكلة كلها، ففي تحديد حقيقة الإرهاب وماهيته لا بد من مرجع، وفي الحكم على عمل من الأعمال أو قول بأنه مظهر من

---

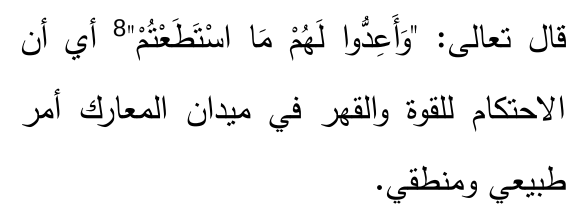
[5] – القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب, د.محمد عبد الله السلومي، دارابن حزم، بيروت، ط1، 2000م، ص 114.

[6] – حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب, د.سليمان الحقيل، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2001م، ص 77.

[7] – التعاون العربي في مكافحة الإرهاب, فايز الجنحي، دار السلام، ط1، 1998م، ص 181.

مظاهر الإرهاب لا بد له من مرجع يُرجع إليه، وفي تحديد الأسباب السائقة إلى الإرهاب لا بد من مرجع يرجع إليه.

2. حقيقة الإرهاب:



قال تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ"[8] أي أن الاحتكام للقوة والقهر في ميدان المعارك أمر طبيعي ومنطقي.



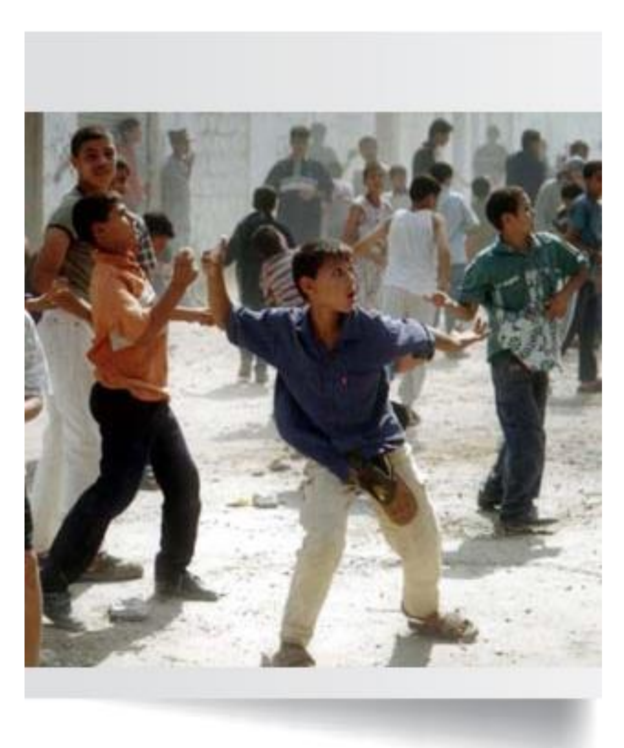
وهذا المعنى هو الذي يحمل الدول المعاصرة على تكوين جيوش قوية، وامتلاك مختلف الأسلحة المتطورة لردع العدو، وإهابة الآخرين.

ومن أهم شرائط الجهاد المشروع في الإسلام أن يكون معلناً من قيادة الدولة المسلمة لا من الأفراد، أما المفهوم المعاصر للإرهاب فهو كل اعتداء أو تخويف أو تدمير أو مساس بمصالح الدول من دون حق.

وحينئذ يختلف الإرهاب بمفهومه الشائع الآن عن الجهاد الذي هو حرب مشروعة، ولا يكون إلا بحق، فالجهاد يلازم وجود الحق، أما الإرهاب فليس بحق[9].

– الأنفال, آية 60.[8]

– قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط1، 2006م، ص 419.[9]



لكن بعض الدول الحديثة ولاسيما الدول الكبرى تجعل الإرهاب غير مشروع سواء كان بحق أم بغير حق في حال المقاومة والدفاع أو غير ذلك.

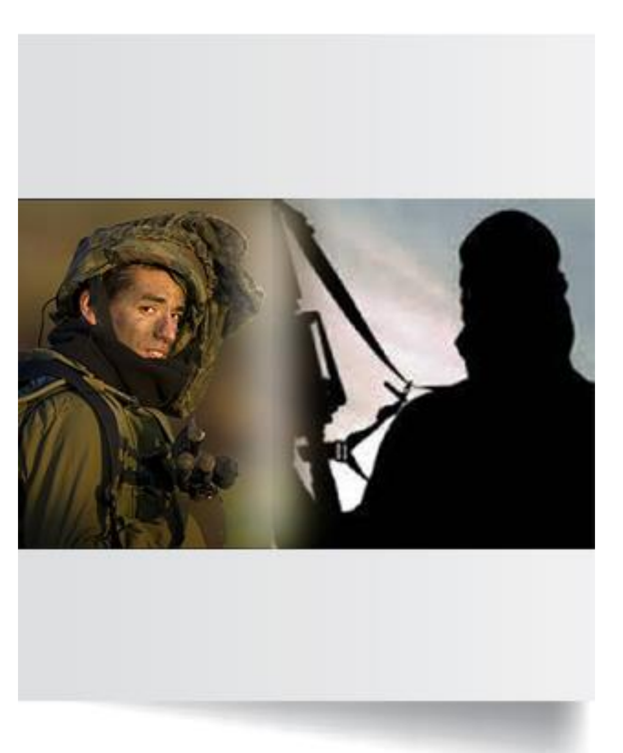
وحينئذ يختلف معنى الإرهاب عند الأقوياء الحاليين عن معناه الصحيح في الإسلام، وفي المنطق والعقل، ولدى فقهاء القانون الدولي، فالإسلام والمنطق والقانون الدولي يقر كل منها فكرة الإرهاب في حال الدفاع المشروع عن الحقوق والحدود والبلاد المغتصبة أو المعتـدى عليها فتكون مقاومة العدوان مشروعة، أما

الاعتداء بغير حق فليس مشروعاً.

ويؤيده أن الإرهاب في مصطلح فقهاء القانون الدولي العام هو: عمل عنيف وراءه دافع سياسي، أياً كانت وسيلته، يؤدي إلى نشر الرعب والهلع في قطاع معين من الناس، شريطة أن يتعدى العمل الموصوف حدود دولة واحدة أو دول أخرى، سواء ارتُكب العمل الموصوف في زمن السلم أم في النزاع المسلح[10].

أي أن الإرهاب في المفهوم الدولي المحايد يشمل مختلف أنواع الإرهاب المنظم: الفردي والدولي، والسياسي والمصلحي والاقتصادي.

[10] – الإرهاب الدولي, د.عزيز شكري، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1998م، ص 204 فما بعد.



وقد يكون له أكثر من سبب ونتيجة واحدة هي: إحداث الذعر والخوف في بعض الأوساط أو التخريب، سواء كان مبتدأ أم إرهاباً مضاداً إذا لم يكن دفاعاً عن النفس أو المال أو الوطن أو الكرامة، لأن المدافع محق في فعله، ومعذور في رد عمله، وهذا يعني أن الإرهاب عمل غير مشروع في دوافعه ومناهجه وأساليبه وغاياته، وأما المقاومة فهي: حق مشروع للدفاع عن الوجود والنفس والوطن والكرامة والمال، وسائر الحقوق المقررة[11].

وهذا المعنى هو الذي يقره الإسلام، وهو يلتقي مع مفهومه عند العقلاء، وعند المعتدلين من فقهاء القانون الدولي، لأن الشرعة الدولية أو ميثاقَ الأمم المتحدة الحالي يقر كلاهما مبدأ الدفاع عن النفس والوطن.

وبراهين ذلك من وجهة النظر الإسلامية كثيرة، منها قول الله تعالى في بيان ضابط الجهاد المشروع وهو رد العدوان: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[12].

أي أن القتال مشروع للدفاع، ورد الاعتداء غير مشروع في حال بدء العدوان، أي إلحاق الظلم والجور أو الأذى بالآخرين دون وجه حق.

---

[11] – قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 420.

[12] – سورة البقرة, آية 190.

ثالثاً: نشأة الإرهاب وأسبابه:

1. نشأة الإرهاب:



يرى كثير من الباحثين والمؤرخين أن الإرهاب ظاهرة قديمة قدم العلاقات الإنسانية على وجه الأرض، فهي ترتبط بوجود علاقات اجتماعية بين بني البشر، كما ترتبط بمدى التمسك بمنظومة القيم والأخلاق والتعاليم النبيلة، فكلما ازداد تمسك أفراد المجتمع والتعاليم النبيلة قلّت هذه المظاهر في المجتمع، وكلما نقص تمسك أفراد المجتمع بتلك المنظومة ازدادت هذه الظاهرة، وذلك لأنها ظاهرة سلبية وشاذة وغير سوية، ويعد الظلم وتسلط القوي على الضعيف من أهم ما ينشر الإرهاب ويسببه[13].

وعلى هذا الاعتبار، فإن هذه الظاهرة ليست نشاطاً طارئاً أو ظاهرة مفاجئة بل قديمة قدم الإنسان وسلوكه فرداً كان أم جماعة، بل وجد من يتمرد على السلطة ويعتدي على الإنسان من الناقمين على المجتمع الذي يعيشون فيه، وذلك بالخروج على نظمه وقوانينه لأسباب شتى وأهداف متعددة تسوغ لهم من وجه نظرهم ما يقولون وما يفعلون.

لذا أقول إن ظاهرة الإرهاب عاشت في أقدم الحضارات في العالم وحتى الآن، وإن أقدم حادثة إرهابية وقعت على وجه الأرض هي قتل قابيل لأخيه هابيل، وقد ذكر القرآن هذه الحادثة فقال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

---

[13] – نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام, د.عبد الرحمن بن سليمان المطرودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1420، ص 20 فما بعد.

رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[14].



كما أن نبي الرحمة والسلام صلى الله عليه وسلم لم يسلم من إرهاب من لم يؤمن برسالته، كذلك لم يسلم من آمن به واتبعه من الأذى، فتعرضوا لأنواع من العذاب والاضطهاد من قبل قومهم مما اضطرهم ذلك إلى الهجرة مرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، تاركين الأموال والأملاك والديار والأهل والعشيرة.

وبالرغم من أن الإسلام لم يدعُ إلى قطيعة رحم أو حرب على الناس وسلب ممتلكاتهم، بل هو دين الرحمة والسلام والمحبة والأمن والأمان، ومع هذا لم يسلم هذا الدين من ظهور فئات تخالف تلك التعاليم السمحة من تلك الفئات الخارجة عن الدين، والبعد عن الدين، والبعد عن رحمته وعدله ووسطيته.

ومن تلك الفئات[15]:

- الخوارج: حركة ظهرت بعد موقعة صفين عام 37 هـ بسبب موقفهم من التحكيم الذي تم بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –ومعاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه –، إذ كانوا لا يرون التحكيم، فاعتقدوا كفر كل من خالف رأيهم وعذبوهم.
- القرامطة: أتباع "قرمط" الذي خالف تعاليم الإسلام، فكان له رأيه الخاص حتى في العبادات، وقد كانت هذه الفرقة من أعنف الفرق، حيث حملت السلاح لحمل الناس على اتباع مذهبهم.

---

[14] – سورة المائدة, آية 27–30.

[15] – نظرة في مفهوم الإرهاب, د.عبد الرحمن المطرودي، ص22, ظاهرة الإرهاب المعاصر، مصلح الصالح، ص 15 فما بعد.

هذه بعض الأمثلة التي ظهرت في عصر صدر الإسلام، واستمر بعضها إلى يومنا هذا، ولم يكن هذا في المجتمع الإسلامي فحسب، بل نقل الذين كتبوا عن الديانتين اليهودية والنصرانية أمثلة مما ورد من قصص الإرهاب في الإنجيل والتوراة، سواء منها بين الديانتين أم بين أهل الديانة الواحدة.

تلك كانت لمحة سريعة عن جذور الإرهاب ونشأته التاريخية.



أما في العصر الحديث، فقد تنوع الإرهاب في أشكاله وصوره، فتكونت عصابات وحركات منظمة ومسلحة ذات أهداف ومعتقدات ومناهج وأفكار تعلنها للمجتمع الدولي، وترتكب أفظع الجرائم وأشدها، وبالطريقة التي تراها في سبيل تحقيق أهدافها، أو نشر أفكارها في العالم، ولكن ليس بمقدور الإنسان أن يستعرض التاريخ الحديث للإرهاب، وخصوصاً في هذا الجزء من العالم من دون أن يشير إلى شكلين بارزين من أشكاله وهما:

1. الهجوم على الأشخاص المتمتعين بحماية دولية.
2. إبادة الجنس.

وقد ارتُكب هذان الشكلان كلاهما للمرة الأولى من قبل الصهاينة، وبأسلوب مؤسساتي.

ويتمثل الشكل الأول في اغتيال أول وسيط للأمم المتحدة في فلسطين، وهو "الكونت فولك برنادوت".

ويتمثل الشكل الآخر في المذبحة التي ارتُكبت في دير ياسين، وهي صحيفة شائنة أخرى في تاريخ الحركة الصهيونية يجب أن يشار إليها بالبنان حينما تثار مسألة الرهبة والإرهاب، أما استئصال شأفة المسلمين في البوسنة والهرسك فلا تزال في الذاكرة[16].

---

[16] – الإرهاب الدولي والنظام العالمي الجديد, د.محمد عزيز شكري، ص 87–89.

2. أسباب الإرهاب:

تعددت الاتجاهات والمدارس الفكرية التي تناولت دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب، ولكنها تتفق في القول إن ظاهرة الإرهاب مركبة معقدة ولها أسباب كثيرة ومتداخلة، بعضها واضح وطافٍ فوق السطح، والبعض الآخر خفي غائص في الأعماق، وبعضها عام على المستوى الدولي، والآخر على المستوى المحلي في كل دولة.

ولكن الأكثر تعقيداً أولئك الذين يردون أسباب الإرهاب إلى أسباب دينية وثقافية فقط، وعلى الرغم من خطأ هؤلاء في توجههم وتصورهم، فقد تبنت بعض المنظمات هذا التوجه، وجعلت دين المتهمين بالإرهاب وثقافتهم عدوَّيْن لتلك الدولة أو ذلك المجتمع، وصنفوا معتنقي ذلك الدين من الأعداء والإرهابيين، ومع الأخذ في الحسبان كل ما ذُكر، فإني سأجمل الأسباب التي ذكرها بعض الباحثين في هذا المجال منطلقاً في ذلك من بعدين هما:

- البعد المحلي للدول، وهو المستوى الداخلي لكل دولة.
- البعد العام، وهو المستوى الدولي.

1) البعد المحلي (المستوى الداخلي):

يعزو بعض الباحثين أسباب الإرهاب إلى البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والمؤثرات التي تتدخل في تكوين نمط حياته أو تأثره فيها، وأهم هذه الأسباب هي:

أ. الأسباب التربوية والثقافية[17]:

التربية والتعليم هما أساس تثبيت التكوين الفطري عند الإنسان "كل مولود يولد على الفطرة"[18] فأي انحراف أو قصور في التربية يكون الشرارة الأولى التي ينطلق منها انحراف المسار عند الإنسان، والفهم الخاطئ للدين إلى صورة من الجهل المركب، ويجعل الفرد عرضة للانحراف الفكري والتطرف في السلوك، ويقع عبء هذا الأمر ومسؤوليته على المؤسسات التي تتولى

---

[17] – نظرة في مفهوم التطرف, د.عبد الرحمن المطرودي، ص 23-24.

[18] – رواه البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، 100/2 رقم 1385.

تربية الأفراد وتعليمهم وتثقيفهم في جوانب التكوين التربوي العام أو التربوي الخاص كالتعليم الديني، فحينما يتدنى مستوى الأداء في تلك المؤسسات، فإن ذلك يؤثر على صدور المعتدلين، ويدفعهم إلى تبني مواقف متشددة وآراء متطرفة، واحتضان الانحراف الذي يقود إلى الإرهاب.

ب. الأسباب الاجتماعية:

إن انتشار المشكلات الاجتماعية ومعاناة المواطنين دوافع إلى انحراف سلوكهم، وتطرف آرائهم وغلوهم في أفكارهم، بل ويجعل المجتمع أرضاً خصبة لنمو الظواهر الخارجة على نواميس الطبيعة البشرية المتعارف عليها في ذلك المجتمع.

فعلى سبيل المثال: حينما لا تتكافأ الفرص بين المواطنين فيها، أو عندما لا يكون العدل مقياساً للجميع بين المتساوين والتفريق بين المتفرقين، أو حينما يتسلط القوي على الضعيف، وغير ذلك من الأخطاء الاجتماعية.

ج. الأسباب الاقتصادية:

كلما كان دخل الفرد يفي بمتطلباته ومتطلبات أسرته كان رضاه واستقراره الاجتماعي ثابتاً، وكلما كان دخل الفرد قليلاً لا يسد حاجاته كان مضطرباً غير راض عن مجتمعه، بل يتحول عدم الرضا إلى كراهية تقوى إلى نقمة على المجتمع، إضافة إلى التدني في مستوى المعيشة والسكن والتعليم والصحة التي يرى الفرد أن سبب حدوثها هو إخفاق الدولة في توفيرها له بسبب فشل الفساد الإداري، وعدم العدل بين أفراد المجتمع. هذه الحالة من الإحباط والشعور تجاه المجتمع يولّد عند الإنسان حالة من التخلي عن الانتماء الوطني، وعدم احترام الوطن والمواطن.

د. الأسباب السياسية:

إن الغموض في النهج السياسي والتخبط في العمل، وعدم الاستقرار في المسير يزعزع الثقة، ويقوض البناء السياسي للمجتمع، ويخلف حالة من الصدام بين المواطنين والقيادة السياسية وتتكون ولاءات متنوعة، وتقوم جماعات وأحزاب، وهذا وجه من وجوه انتشار الإرهاب بسبب المنهج السياسي.

أما الوجه الآخر، فهو البحث عن المكاسب السياسية من خلال إيجاد الضغوط مثل إقدام بعض الدول على احتضان بعض الجماعات أو الأفراد الخارجين على قوانين بلادهم وتشجيعهم، ومساعدتهم مادياً ومعنوياً، وذلك تحقيقاً لمكاسب سياسية، واستخدامهم ورقة ضغط تلوح بها الدولة الحاضنة في وجه الدولة الأخرى متى ما أرادت، لتحصل الدولة الحاضنة على

تنازلات سياسية أو مكاسب اقتصادية من الدول الاخرى، بل يصل الأمر ببعض الدول في بعض الحالات إلى تدريب عصابات التخريب والإرهاب تحقيقاً لأغراضها.

2) البعد العام (المستوى الدولي):

إن شيوع الإرهاب الدولي يرجع إلى افتقار النظام السياسي الدولي إلى الحزم والقوة في الرد على الانتهاكات والمخالفات التي تتعرض لها مواثيقه ومبادئه من خلال عقوبات رادعة لكل مظاهر الإرهاب الدولي.

وبالجملة فإن أبرز أسباب الإرهاب على المستوى الدولي تتلخص فيما يلي[19]:

1. عدم الاتفاق الدولي على تعريف محدد للإرهاب يحدد مظاهره وصوره وأسبابه: هذه الضبابية وعدم الوضوح أفسحت المجال لبعض الحكومات لاحتضان ما ترى أنه ليس من الإرهاب في مفهومها، بينما قد تشن دول أخرى حرباً على ما تسميه إرهاباً في مفهومها وهو ليس كذلك، وهذا الوضع مكّن بعض المنظمات التي تمارس الإرهاب من الحركة والتنقل تحت غطاء شرعية وجودها.
2. التقدم العلمي والتقني في مجال شبكات الاتصال: والذي مكن أعضاء تلك الخلايا والشبكات الإرهابية من الحصول على معدات وأجهزة فنية متطورة جداً تيسر لهم الاتصال، وتساعدهم على تنفيذ مهماتهم بدرجة كبيرة من الدقة والإتقان.
3. تغطية وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وقنوات فضائية وشبكات الاتصال العالمية "الإنترنت" للأعمال الإرهابية، وهذا يعطي فرصاً واسعة أمام الإرهابيين الذين يسعون وراء الدعاية لأهدافهم ونشر فكرهم، ويميل بعض المحللين إلى اعتبار هذه التغطية دعاية مكثفة لمناشط الإرهاب الدولي وعملياته، ومن بين الأسباب المهمة التي تحفز الإرهابيين باتجاه التوسع في أعمالهم لأنها تحقق لهم أهدافهم المتمثلة في الحصول على حضور إعلامي أمام الرأي العام العالمي من دون أن يتكلفوا شيئاً في سبيل الإنفاق على تلك الدعاية.
4. قدرة الحركات الإرهابية على الحصول على معلومات دقيقة وحساسة بطرق واضحة أو ملتوية، وهذا يساعدها في تنفيذ برامجها الإرهابية داخل تلك الدول أو خارجها.

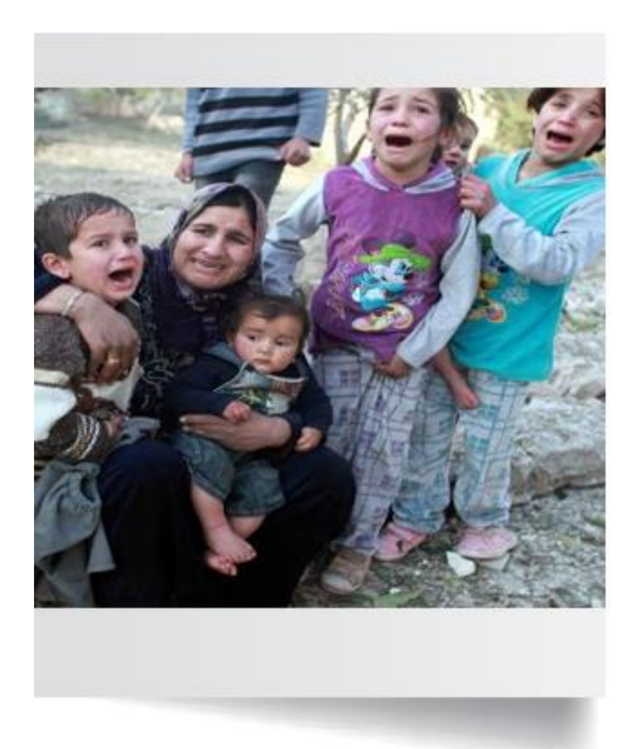
---

[19] – الإرهاب الدولي, د.عزيز شكري، ص 23 فما بعد, نظرة في مفهوم الإرهاب, د.عبد الرحمن المطرودي ص 28-31.

5. وجود ما يسمى بحركات المقاومة للفكر السائد في بعض الدول أو النظام الحاكم فيها، ومساعدة بعض الدول لتلك الحركات، وذلك بحجج عدم توافر الحرية أو الديمقراطية لها في بلادها.

6. ظهور ظاهرة الكيل بمكيالين في سياسة بعض الدول ضد دول أو شعوب أخرى مما دفع بعض المنظمات إلى استغلال هذه الظاهرة في نشر الفكر المضاد لذلك الظلم السياسي في المواقف والانتصار للحقوق[20].

رابعاً: وسائل الإرهاب وأهدافه:



تتعدد ووسائل الإرهاب وتختلف مظاهره، وبعض الأعمال الإرهابية تستعمل تقنيات العلم الحديث المتقدمة في سبيل تحقيق أهدافها للاعتداء على الأشخاص أو وسائل النقل، أو الاعتداء على الأموال، إلا أن العامل الرئيسي للعمل الإرهابي هو الفزع أو الرعب، وكل هذه المظاهر والأشكال تضمنتها الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي صدرت عام 1998.

---

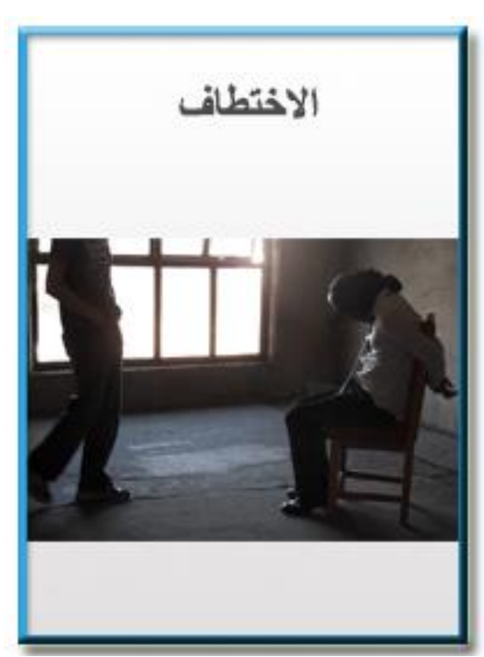
[20] – ظاهرة الإرهاب المعاصر، مصلح الصالح، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2002/1423م، ص 80.

1. أشكال الإرهاب:

من أهم أشكال الجرائم الإرهابية هي[21]:



1- **عمليات التفجير**: وتعد الأسلوب الأكثر شيوعاً واستخداماً وانتشاراً في معظم الجرائم الإرهابية في العالم، وذلك لأسباب عدة منها: أنه الأسلوب الذي يمنح الفرصة الكافية للإرهابي لإكمال العملية الإرهابية، وإمكانية الانسحاب من مسرح الجريمة دون القبض عليه، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يُحدث في حال وقوعه قدرة عالية في جذب انتباه الجماهير ووسائل الإعلام، أي أنه حقق الغاية المرجوة وهي الرعب والإثارة.



2- **الاختطاف**: وهو شكل من الجرائم الإرهابية يوجه حيال الشخصيات السياسية، ويعد من الأشكال التي انتشرت وبشكل مذهل في الآونة الأخيرة، والاختطاف لا يستثني المواطنين خصوصاً الأغنياء منهم بغية الحصول على الأموال منهم أو من عائلاتهم كفدية مقابل حياتهم.

– الإرهاب والقانون الدولي, إسماعيل غزال, المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 1990م، ص 60.[21]

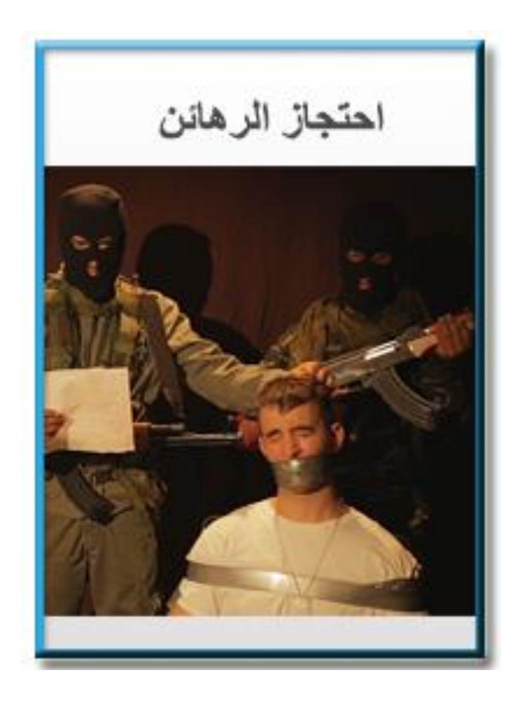


3- **تخريب المنشآت المهمة وتدميرها:** وهي شكل من أشكال الجرائم الإرهابية، ويتم ذلك عن طريق تخريب وتدمير تلك المنشآت أو مراكز المعلومات المهمة من خلال سرقة تلك المعلومات أو تدميرها أو تخريبها.

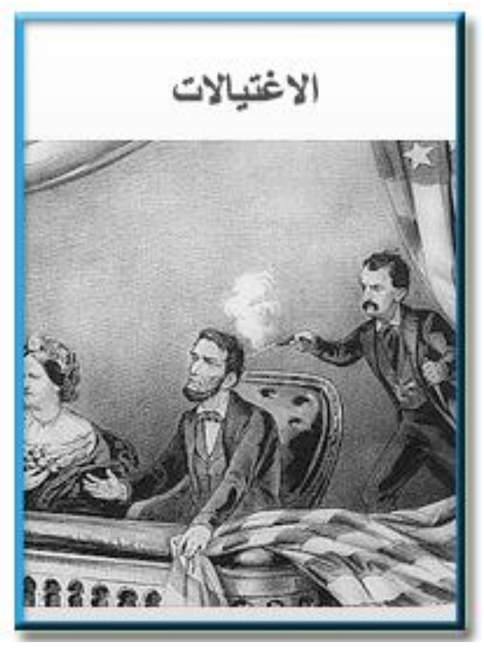


4- **المصادرة والابتزاز:** وهما من الأشكال الشائعة التي تُستخدم من أجل الحصول على مكاسب عن طريق السطو المسلح ومصادرة الأموال، أو ابتزاز الأشخاص أو الشركات، وقيام التنظيمات بالابتزاز يعد من وجهة نظرها ضرورة قصوى تدعوها الحاجة لكي تتمكن من تحقيق أهدافها.

5- احتجاز الرهائن: وهو من الأشكال التي تستخدم من قبل الجماعات الإرهابية للحصول على مكاسب سياسية تتعلق بمطالب التنظيمات التي يتبعونها، والضغط على الحكومات السياسية الحاكمة لتحقيق مطالبها.



6- الاغتيالات: وتوجه حيال الشخصيات المهمة والسياسية في النظام السياسي الحاكم، والتي يعمل الإرهابيون على التخطيط لاغتيالهم من أجل تحقيق شيء من الأهداف التي حددها التنظيم.



7- **خطف الطائرات:** ويعد من أهم أساليب الإرهاب منذ سبعينيات القرن الماضي، وأدى إلى زيادة اهتمام السلطات على مستوى العالم بتأمين سلامة الطيران المدني، واتخاذ إجراءات مشددة لتفتيش الركاب[22].



2. أهداف الإرهاب:

اتفق معظم الباحثين في مجال الإرهاب الدولي على تحديد نوعين من الأهداف تسعى القوى الإرهابية إلى تحقيقهما ويتمثلان في الآتي[23]:

1. **الأهداف المباشرة:** وهي التي تعلنها المنظمة الإرهابية في أثناء تنفيذ العملية الإرهابية وتتمثل في:

أ. الحصول على الأموال لتمويل نشاط المنظمة وتجنيد أفراد جدد للعمل فيها.

ب. إطلاق سراح المعتقلين من السجون سواء كانوا سياسيين أم أفراد المنظمة الذين ألقي القبض عليهم في عمليات سابقة.

ج. اغتيال الخصوم بعمليات مكشوفة أو مستترة.

د. تأمين خروج الأفراد القائمين بتنفيذ العملية الإرهابية بعد الانتهاء من التنفيذ.

---

[22] - الإرهاب مظاهره وأشكاله, محمد الحسين، موقع الإسلام، ص 30 فما بعد, الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.محمد عزيز شكري ود.أمل يازجي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م، ص 52 فما بعد.

[23] - الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة, د.محمد عزيز شكري، ص 170, الإرهاب ومظاهره وأشكاله, محمد الحسين، ص 70 فما بعد.

هـ. عملية الدعاية اللازمة للمنظمة الإرهابية.

2. **الأهداف غير المباشرة:** أي الأهداف التي لا تعلنها المنظمات الإرهابية ولكنها تسعى إلى تحقيقها، وتشمل هذه الأهداف الأمور الآتية[24]:

أ. إضعاف سلطة الحكومة أو إظهارها بالعجز نظراً لعدم نجاح الحكومة في الكشف عن العملية قبل تنفيذها، وعدم القدرة على مجابهة الموقف الناجم عن العملية الإرهابية.

ب. الحصول على اعتراف رسمي من الدولة بوجود المنظمة، أو الحصول على اعتراف دولي بوجودها نتيجة لإعلان بيانات تفرض المنظمة الإرهابية إعلانها وإذاعتها.

ج. إجبار الدولة على القيام بأعمال موجهة ضد المواطنين، بما يؤدي إلى فقدان الثقة في الحكومة نظراً لعدم قدراتها على تحقيق الأمان للمواطنين.

د. إيجاد متعاطفين مع المنظمة الإرهابية من رعايا الدولة.

هـ. ضرب السياحة واقتصاديات الدول والأمن فيها، ويمتد إلى مرتكزات القوة وعواملها لدى الدول التي تمنحها الشرعية.

[24] – ظاهرة الإرهاب المعاصر, مصلح الصالح, ص 75 فما بعد, الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.أمل يازجي، ود.عزيز شكري، ص 125, والإرهاب مظاهره وأشكاله, محمد الحسين، ص 78 فما بعد.

خامساً: أنواع الإرهاب:

إن استخدام المعيار الزماني للتمييز بين أنواع الإرهاب يفرز لنا طائفتين من أنواع الإرهاب: إرهاب زمن السلم، وإرهاب زمن النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

أما استخدام المعيار الجغرافي أو المكاني فيجعلنا أمام طائفتين من الإرهاب: إرهاب داخلي وإرهاب دولي.

أنواع الإرهاب بحسب المعيار الزماني:

1. الإرهاب زمن السلم:

تقع معظم أعمال الإرهاب زمن السلم، وذلك عائد إلى أحد الأسباب الآتية:



1. فشل جماعة ما في أن تطرح أفكارها بصورة مقنعة للمحيط، لكي يلتف الناس حول هذه المبادئ، ويطالبون أن تصبح عقيدة لهم أو نهجاً للتحرير أو غيره، ويصبح هذا الفشل عاملاً للتراجع والانحسار والتقوقع على الذات للسقوط في إيديولوجية الإرهاب.
2. الضغط الذي تمارسه سلطات الحاكمة بحق بعض الجماعات والذي يقمع أي عمل ديمقراطي حر ومنظم ومشروع.
3. ما تلجأ إليه الدول عادة من إرهاب، ويكون عادة إما عن طريق أجهزة استخباراتها، أو عن طريق منظمات صورية داخل وخارج إطارها الجغرافي وحدودها، أي أن الإرهاب هنا غالباً ما يكون مؤثراً على طبيعة العلاقة بين الدول التي تعكس الكثير من التوتر أو بعضاً منه.

ويعد الإرهاب زمن السلم أحد المؤشرات على أن المجتمع الذي يعاني منه لا يعيش حالة استقرار[25].

– الإرهاب الدولي والنظام العالمي الجديد، د.عزيز شكري, ود.أمل يازجي، ص 21–22.[25]

2. الإرهاب زمن النزاعات المسلحة:

ميز فقهاء القانون الدولي بين ثلاثة أنواع من النزاعات المسلحة: دولية –غير دولية –داخلية أو الحروب الأهلية.

أ. النزاعات الدولية المسلحة: إن قانون النزاعات المسلحة "قانون لاهاي"، والقانون الدولي الإنساني "قانون جنيف" نظما طرق ووسائل سير العمليات القتالية، وقد حرّما اللجوء إلى الإرهاب كوسيلة من وسائل الاقتتال.

وما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن أعمال الإرهاب زمن النزاعات المسلحة الدولية هي فئة إضافية ومحددة تختلف عن الانتهاكات الأخرى التي حددها كل من القانونين السابقين الذكر، والتي يمكن تصنيفها في ثلاث طوائف من الجرائم: جرائم الحرب –والجرائم ضد الإنسانية –وجريمة إبادة الجنس البشري.

ب. النزاعات المسلحة غير الدولية والإرهاب: ويقصد بهذه الفئة النزاعات التي تقوم عادة بين جيش نظامي أو أكثر في مواجهة حركات تحرر وطني، أو حركات ثورية موجودة خارج إقليم الدولة أو داخله.

والمنازعات الدولية التي تناضل بها الشعوب ضد التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي، وضد الأنظمة العنصرية تبقى تحت حماية وسلطان القانون الدولي، كما استقر عليها العرف ومبادئ الإنسانية، وهي تعد جزءاً من النزاعات الدولية، ويسري عليها ما يسري على هذه الأخيرة من أحكام.

مما يعني أن تحريم اللجوء إلى الإرهاب هو حكم يسري على حرب العصابات تماماً كما يسري على الحروب بين الدول، والأعمال الإرهابية فئة مستقلة عن جرائم الحرب التي عددتها المادة الثامنة من النظام الأساسي لإنشاء المحكمة الجنائية الدولية والتي بلغ عددها (16) انتهاكاً، كما تختلف عما ورد في المادة السابعة من جرائم ضد الإنسانية، والمادة (6) المتعلقة بجريمة الإبادة الجماعية.

ج. النزاعات المسلحة الداخلية والإرهاب: ويُقصد بها الحروب الأهلية، وكانت المادة الرابعة – الفقرة الثانية من البروتوكول الثاني لعام 1977م، الملحق باتفاقات جنيف لعام 1949والمتعلق بضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية، قد منع أعمال الإرهاب ضد الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة أو الذين يكفون عن الاشتراك في العمليات العدائية، وتعد الحروب الأهلية

اللبنانية التي بدأت عام 1975 حتى 1990م من أطول الحروب الأهلية في القرن العشرين، وقد عرفت هذه الحرب كل فنون الإرهاب من أخذ رهائن، والتعدي على أشخاص محميين دولياً وغيرها من عمليات تصفية وتخريب[26].

أنواع الإرهاب بحسب المعيار الجغرافي:

1. الإرهاب الداخلي:

لا يكاد يكون هناك دولة واحدة نجت من الإرهاب الداخلي من الشرق الأوسط حتى أوروبا واليابان، وانتهاءً بالولايات المتحدة الأمريكية.

لذا أقول: إن أي مجتمع من المجتمعات قد يتعرض للإرهاب إذا انقطعت صلة الوصل بين المعارضة والحكم القائم، أو بين الشعب والسلطة، أياً كانت أسباب الانقطاع.

وقد حاولت كثير من الدول الرد على الإرهاب بتبني تشريعات داخلية، إضافة إلى جهد دولي مشترك لمواجهة هذه الظاهرة، ففي أوروبا مثلاً: انضمت جميع الدول الغربية إلى الاتفاقات التي تتعلق بصورة من صور الإرهاب، كما وقعت اتفاقية لقمع الإرهاب عام 1977م.

2. الإرهاب الدولي:

يأخذ هذا النوع من الإرهاب حيزاً كبيراً من الاهتمام الدولي، وكان للإعلام العالمي وبخاصة الغربي دور مهم في إبراز هذه الظاهرة وإعطائها في بعض الأحيان أبعاداً خبيثة لم تكن في الحسبان، وبدأ الأمريكيون بعد أحداث نيويورك وواشنطن يعانون من أمراض بكتريا الجمرة الخبيثة من دون أن يعرف أحد أي شيء عن مرسلي الطرود المجرثمة[27].

---

[26] – الإرهاب الدولي والنظام العالمي الجديد, د.محمد عزيز شكري, د.أمل يازجي، ص 23-25.

[27] – نظرة في مفهوم الإرهاب, د.عبد الرحمن المطرودي، ص 51, الإرهاب الدولي, د.محمد عزيز شكري، ود.أمل يازجي، ص 33.

سادساً: الآثار الاقتصادية للإرهاب على المستوى الدولي:

يعد الاستقرار السياسي والاجتماعي أحد أهم المقومات البدهية للتنمية الاقتصادية، وفي هذا المبحث سنذكر أهم الآثار الاقتصادية التي انعكست على المستوى الدولي.

1. أثر الإرهاب على البطالة:

لقد كان لفقدان الأمن الاقتصادي الدولي وآثار الإرهاب ومكافحته، أثر واضح في تزايد معدلات البطالة في معظم دول العالم، وتشير التقديرات الأولية إلى توقع استمرار ارتفاع هذه المعدلات في معظم الاقتصادات العالمية.

ولعل من أبرز الآثار الاقتصادية التي تنتج عن البطالة:

- توقع المزيد من الانخفاض في الإنفاق الاستهلاكي.
- انخفاض معدلات الإنفاق الاستثماري.
- العديد من المشكلات السياسية والاقتصادية[28].

2. أثر الإرهاب على التضخم:

في حالات الاستقرار السياسي والاقتصادي ينشط الطلب نتيجة لزيادة الإنفاق الاستهلاكي، ويكون لهذا الارتفاع آثار إيجابية على حفز الاستثمار وزيادة التوظف، وقد يكون التضخم كبيراً بحيث تنتج عنه آثار سلبية في الاقتصاد والمجتمع، ولكن في حالات انعدام الأمن أو زيادة المخاوف فإن الطلب يتضاءل، ويترتب على ذلك ركود في الأسواق وكساد للمنتجات، لذا فإن معدلات التضخم تزداد تبعاً للوضع السياسي الدولي وانتشار خطر الإرهاب[29].

3. أثر الإرهاب على الاستثمار:

انخفضت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر عام 2002 بنحو 27% عن مستواها 2001م، وشهدت الولايات المتحدة وبريطانيا النسبة الأكبر من هذا الانخفاض حيث بينت إحصائية لوزارة

– الآثار الاقتصادية لهجمات 11 أيلول, أيمن محروس, موقع الإسلام اليوم.[28]

– اقتصاديات النقود, د.عبد الرحمن يسري أحمد، دار الجامعات المصرية، ط1، 1981م.[29]

التجارة الأمريكية في 2003/6/26 أن الاستثمارات الأجنبية تراجعت للعام الثاني على التوالي بنسبة تزيد على النصف، وذكرت الإحصائية أن التراجع في الإنفاق الاستثماري عام 2002 يمكن إرجاعه إلى عدد من العوامل التالية:

- التراجع في عمليات الاندماج والشراء في مختلف أنحاء العالم.
- تباطؤ النحو الاقتصادي العالمي.
- تراجع أسعار الأسهم في الأسواق المالية العالمية.

وقد قامت إحدى الدراسات التطبيقية بإجراء دراسة تحليلية لآثار النزاعات في المتغيرات الاقتصادية الرئيسة، وكان من أهم النتائج التي تم التوصل إليها ما يلي:

- تدهور معدلات النمو الاقتصادي.
- انخفاض معدلات الاستثمار.
- زيادة الإنفاق على الدفاع على حساب القطاعات التنموية الأخرى[30].
- وقد كان من أهم الآثار التي نتجت عن الإرهاب التوجه الكبير إلى إحلال السياحة المحلية محل السياحة الدولية.

وأخيراً نقول إن للإرهاب الدولي بصفته أوضح صور انعدام الأمن الاقتصادي آثاراً سلبية متعددة تتجاوز الحدود الدولية حيث تمتد آثاره لتتجاوز الدولة المستهدفة بالإرهاب إلى دول أخرى كثيرة، مما ينعكس على الكثير من المتغيرات الاقتصادية الرئيسة مثل: التضخم والبطالة، والاستثمار وغيرها.

[30] – الآثار المالية للإضرابات المسلحة, هشام محمد الحراك، ص 15-16.

سابعاً: الإرهاب في المنظور الإسلامي



تعرض الإسلام والمسلمون إلى الاتهام بالإرهاب والعنف والتطرف، بل إن بعض الوسائل الإعلام اليوم أصبحت تبرز الإرهاب وكأنه صفة ملازمة لهذا الدين ومعتنقيه، وقد نسبت بعض وسائل الإعلام وبعض الكتاب الإرهاب إلى الإسلام زعماً أن تعاليم الإسلام وأحكامَه وبعضَ آيات القرآن الكريم تدعو إلى الإرهاب، وتوجه المسلمين إلى سلوك طريقه، ويزعمون اشتمال آيات القرآن والأحاديث النبوية ودلالتها على ذلك إما بالنص أو بالمعنى.

وحتى يكون نفي ذلك عن الإسلام قائماً على أساس علمي، فإني سأوضح ذلك من منطلقين:

أولهما: الدلالة اللفظية في الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة إرهاب.

ثانيهما: التوجيه الإسلامي في مكافحة الإرهاب ومعالجة أسبابه.

الأول: الدلالة اللفظية في الآيات القرآنية:

وردت كلمة رهب وما اشتق منها في اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم منها: "وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"[31] ، "تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"[32].

وقد اتفق المفسرون لتلك الآيات على أمرين: أن الدلالة اللفظية في كل تلك المواضع تعني الخوف أو الخشية وما اشتق منهما، وليس من دلالة تلك الآيات ما يفيد إباحة القيام بالقتل والتخريب والإفساد والاعتداء على الآخرين، أما معنى الإرهاب الوارد في قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم" يعني دفع الاعتداء والوقاية منه.

فالمقصود أن وجود القوة المادية عامل مهم في حفظ التوازن وعدم الاعتداء، فمتى علم العدو بوجود قوة تستطيع مقابلته وردعه بها، فإنه سيرتدع عن الاعتداء[33].

وعليه يكون المعنى المقصود بكلمة "ترهبون" الواردة في الآية السابقة المعنى الإيجابي أي سد باب الاعتداء والقتل والخراب والفساد الذي يلحق بالمجتمع ضرراً كبيراً، فهو إرهاب وقاية ودفع للشر، لا إرهاب اعتداء.

---

[31] – سورة البقرة, آية 40.

[32] – سورة الأنفال, آية 60.

[33] – انظر تفسير الطبري 21/4, وتفسير البغوي 370/3, وتفسير القرطبي 35/1.

الثاني: توجهات الإسلام في مكافحة أسباب الإرهاب والاعتداء ومعالجتها:

إن الشريعة الإسلامية تعاملت مع ظاهرة الإرهاب في اتجاهايين متوازيين هما:[34]

- الاتجاه الوقائي التربوي: ويقصد به بناء المناعة الذاتية المدافعة للعوامل المسببة لخروج السلوك البشري عن جادة الصواب، وقد يطلق على هذا الاتجاه تجفيف المنابع التي تولّد الإرهاب، ويتمثل في غرس الفضائل وتربية النفس على الآداب الخيّرة، والالتزام بالأحكام الشرعية، ودعوة الإسلام إلى السلم وإشاعة العدل في كل شيء، ودعوة الإسلام إلى التراحم بين الناس، وإيجاد التعامل مع غير المسلمين، والدعوة إلى الوسطية والاعتدال وعدم الغلو في الدين.
- أما الاتجاه الثاني: فهو اتجاه المعالجة، ويتمثل فيما شرعه الله من أحكام وتشريعات عقابية رادعة، وهذه الأحكام تتضمن بعدين أساسيين: البعد الأول تطهير النفس البشرية وتخليصها من عقدة ارتكاب الذنب، أما البعد الآخر فيتمثل في ردع من يرتكب جريمة من العودة إلى مثلها وزجر الآخرين من الوقوع في ذلك الخطأ، وهذا بعد وقائي كما في قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون"[35]، أي أن تطبيق حكم القصاص يمنع بعضكم من قتل بعض مخافة أن يقتص منه، فيحيا معاً[36].

لذلك فإن موقف الإسلام من الإرهاب موقف أزلي يجمع بين الوقاية والمعالجة للمخالفات التي قد تكون سبباً في مزيد من الإرهاب والعنف.

---

[34] – نظرة في مفهوم الإرهاب وموقف الإسلام منه, د.عبد الرحمن المطرودي، ص 27 فما بعد.

[35] – سورة البقرة, آية 179.

[36] – انظر تفسير الطبري 121/2, تفسير ابن أبي حاتم 297/1, تفسير البغوي 42/2.

ثامناً: إرهاب المستأمَنين وموقف الإسلام منه

إن كل عمل تخريبي يستهدف الآمنين مخالف لأحكام شريعة رب العالمين والتي جاءت بعصمة دماء المسلمين والمعاهِدين، إنه يخطئ من يعتقد أو يظن بأن المسلمين لا يقبلون دخول غير المسلمين إلى بلادهم إلا إذا كانوا يرغبون في الإسلام، كما يخطئ أيضاً من يرمي المسلمين بأنهم يحملون سيوفهم في أيديهم ليسلّوها في وجه كل من لا يدين بدينهم مما يجعل غير المسلمين لا يأمنون على أنفسهم ولا يثقون بأن تطأ أرجلهم بلادهم، لكن الحقيقة تخالف هذا الاعتقاد، فالجوار بين العرب قبل الإسلام كان له شأن كبير، وكانت الدماء تسيل من دون حماية المستجير وحفظه، وكانوا يفتخرون بهذا ويعتزون بحمايته.

ثم لما جاء الإسلام أقره ورعاه بذميته وذمة المسلمين، فأمّن الرسل والمعاهدين عهداً مؤبداً أو مؤقتاً، وأمّن أيضاً من يدخل بلاد المسلمين لمصلحة سواء للتجارة أم لطلب الصلح والموادعة أم يحمل رسائل أو مبالغ الجزية أم لسماع القرآن والتعرف على مبادئ الإسلام وتعلم أحكامه والوقوف على غاياته وأهدافه، فيدخل آمناً مطمئناً ويعود إلى بلاده كذلك.

1. تعريف الأمان والمستأمَن:

قال ابن منظور: أستأمن إليه: دخل في أمانه، والآمن: المستجير ليأمن على نفسه.

والأمان يعتمد على ركنين أساسيين هما: المؤمِّن والمستأمَن:

- المؤمّن: هو الذي يعطي الأمان، والأصل في هذا أنه الإمام أو نائبه، لأنه ينظر إليه ما فيه مصلحة المسلمين، ويجوز أن يكون المؤمن من أفراد الرعية من المسلمين المكلفين ذكوراً كانوا أو إناثاً.
- والمستأمَن: هو من طلب الأمان لنفسه ليدخل بلاد المسلمين مدة معلومة[37].

---

[37] – درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو، دار إحياء الكتب العربية، من دون طبعة وتاريخ، 292/1.

2. الأدلة على مشروعية الأمان من الكتاب والسنة:

الأصل في الأمان قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"[38].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ثم أبلغه مأمنه" أي وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه[39].

والدليل من السنة على مشروعية الأمان لغير المسلمين قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[40].

وقوله: "يد المسلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، ويجير عليهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"[41].

ويوجد في بلادنا معاهدون ومستأمَنون، فمن قدم إلى بلادنا من غير المسلمين لعمل أو تجارة أو سياحة أو غير ذلك فهو إما معاهد أو مستأمَن لا يجوز الاعتداء عليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة"[42]، فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخل بذلك فقد أساء إلى الإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه[43].

فهؤلاء ومن شاكلهم مستأمَنون لا يجوز قتالهم ولا التعرض لهم أو أذيتهم.

---

[38] - سورة التوبة, آية 6.

[39] - تفسير ابن كثير، 2/337.

[40] - رواه البخاري 2/20، رقم الحديث 6870.

[41] - رواه أبو داود، رقم الحديث 2751.

[42] - رواه البخاري، رقم الحديث 2995.

[43] - إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه, د.بدر بن ناصر البدر، موقع الإسلام، ص 13.

3. الواجب على المسلمين تجاه المستأمَنين:

أوجب الإسلام في شريعته حقوقاً واجبة للمستأمنين يجب الوفاء بها وأداؤها تجاههم، وأرشد المسلمين إلى كيفية التعامل معهم، ومن هذه الحقوق:

1. العدل معهم وعدم التعدي عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بل ولا يجوز ترويعهم وإخافتهم، ويعاملون بالعدل والقسط.
2. دعوتهم إلى الإسلام وبيان أحكامه بعلم وحكمة وأسلوب حسن قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[44]، ومن سماحة هذا الدين أنه أذن لغير أهله من أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين أن يعيشوا في أرضه مع بقائهم على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، ولم يخلُ عصر من العصور من وجود غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي، يعيشون بين المسلمين، وينعمون بالأمن على أنفسهم وأموالهم.
3. الإحسان إلى المحتاج منهم بالصدقة والصلة: قال تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[45]. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: "قدِمت علي أمي، وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتت رسول الله، فقلت: يا رسول الله إن أمي قدِمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: نعم صليها"[46].

قال النووي: وهذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار، والإحسان إليهم وجواز الهدية إلى غير المسلمين"[47].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن الأنفس المعصومة أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة"[48]، ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصومان لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه لم يرح رائحة الجنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين والمستأمنين.

---

[44] – سورة سبأ, آية 28.

[45] – سورة الممتحنة, آية 8.

[46] – رواه البخاري، رقم الحديث 3012.

[47] – شرح النووي على مسلم، 39/14.

[48] – رواه البخاري، باب إثم من قتل معاهداً 99/4 رقم 3166.

خلاصة:

إن الإرهاب في المفهوم الدولي يشمل مختلف أنواع الإرهاب السياسي والاقتصادي، والمذهبي أو الاعتقادي.

قد يكون للإرهاب أكثر من سبب والنتيجة واحدة هي: إحداث الذعر والخوف في بعض الأوساط أو التخريب، سواء كان مبتدأ أو إرهاباً مضاداً إن لم يكن دفاعاً عن النفس أو المال أو الوطن أو الكرامة، وهذا يعني أن الإرهاب غير مشروع في دوافعه وأساليبه وغاياته، أما المقاومة فهي حق مشروع للدفاع عن الوجود وسائر الحقوق.

يمكن إجمال الأسباب التي ذكرها بعض الباحثين للإرهاب منطلقاين في ذلك من بعدين هما: البعد المحلي للدول، وهو المستوى الداخلي لكل دولة، البعد العام، وهو المستوى الدولي.

من أشكال الإرهاب: عمليات التفجير، الاختطاف، تخريب المنشآت المهمة وتدميرها، المصادرة والابتزاز، احتجاز الرهائن، الاغتيالات، خطف الطائرات.

اتفق معظم الباحثين في مجال الإرهاب الدولي على تحديد نوعين من الأهداف تسعى القوى الإرهابية إلى تحقيقهما ويتمثلان في: الأهداف المباشرة، والأهداف غير المباشرة.

إن استخدام المعيار الزماني للتمييز بين أنواع الإرهاب يفرز لنا طائفتين من أنواع الإرهاب: إرهاب زمن السلم، وإرهاب زمن النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

أما استخدام المعيار الجغرافي أو المكاني فيجعلنا أمام طائفتين من الإرهاب: إرهاب داخلي وإرهاب دولي.

من الآثار الاقتصادية للإهارب على المستوى الدولي: أثر الإرهاب على البطالة، وعلى التضخم والاستثمار.

الإسلام هو دين الرحمة والسلام وهو ضد الإرهاب بجميع أشكاله، كما يطرح طرقاً عديدة لمعالجة هذه الآفة.

تمارين:

1. عرف الإرهاب ثم بين حقيقته.
2. عدد أسباب الإرهاب واشرح واحداً منها.
3. اذكر أشكال الإرهاب بالتفصيل.
4. اختر الإجابة الصحيحة:

أقدم حادثة ارهابية هي قتل:

A. قابيل لأخيه هابيل.

B. عبد الرحمن بن ملجم لعلي بن أبي طالب.

C. زكريا ليحيى.

الإجابة الصحيحة: A قابيل لأخيه هابيل

5. اختر الإجابة الخاطئة:

خطف الطائرات يعد من:

A. أشكال الإرهاب.

B. أهداف الإرهاب.

الإجابة الصحيحة: B أهداف الإرهاب

المراجع:

1. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط1، 1975م.
2. تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الهداية، ط1، 2000م.
3. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ط3، 1998م.
4. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979/1399.
5. حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، د.سليمان الحقيل، دار ابن حزم، ط1، 2001م.
6. التعاون العربي في مكافحة الإرهاب، فايز الجنحي، من دون معلومات.
7. الإرهاب الدولي، د.عزيز شكري، دار العلم للملايين، ط1، 1998م.
8. نظرة في مفهوم الإرهاب، د.عبد الرحمن المطرودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1420هـ.
9. ظاهرة الإرهاب المعاصر، مصلح الصالح، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1423هـ.
10. قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط1، 2006/1427.
11. الإرهاب والقانون الدولي، إسماعيل غزال، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 1990م.
12. الإرهاب مظاهره وأشكاله، موقع الإسلام.
13. الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، د.عزيز شكري، د.أمل اليازجي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م.
14. اقتصاديات النقود، عبد الرحمن يسري أحمد، دار الجامعات المصرية، ط1، 1981م.
15. الآثار الاقتصادية لهجمات 11 أيلول، موقع الإسلام.
16. إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه، د.بدر بن ناصر البدر، موقع الإسلام.
17. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، 1994م.

18. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، ط1، 2003/1423.
19. تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر، ط4، 1997/1417.
20. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار طيبة للنشر، ط2، 1999/1420.
21. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن زكريا النووي، دار الكتاب العربي، ط3، 1987/1407.
22. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422.
23. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط2،

الوحدة التعليمية الخامسة

التطرف

أهمية الوحدة الخامسة:

إن لهذه الوحدة أهمية بالغة في ذاتها فهي تتعلق بعقيدة المسلمين، وفي زمنها حيث ظهرت الأفكار المتطرفة، وفيما يتعلق بمستقبل الدعوة الإسلامية فضلاً عن رد المزاعم العدائية الداعية إلى حصر التطرف في الإسلام.

الأهداف التعليمية:

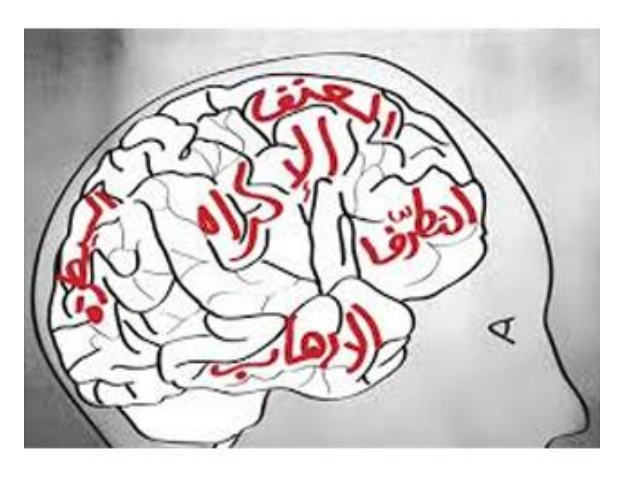
بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف التطرف وأنواعه.
2. يعدد أسباب تنامي ظاهرة التطرف في المجتمع العربي.
3. يبين طرق الوقاية ووسائل العلاج للتطرف.
4. يبين موقف الإسلام من التطرف.
5. يحدد دور الدوائر الغربية وإسرائيل والعلمانيين في تضخم ظاهرة التطرف.

الكلمات المفتاحية:

التطرف – أنواع – الاعتقادي – السياسي – العملي – الدولي – تنامي – ذاتية – خارجية – عوامل – الوقاية – العلاج – الطرق – موقف – الإسلام – الأعداء – الغربية – إسرائيل – العلمانيون.

أولاً: مقدمة



إن آفة الانحراف أو الشذوذ والتطرف تكمن وراء الجهل أو الاستبداد، أو التقليد الأعمى أو التصرفات المرتجلة من دون روية أو تشاور، أو تقدير هادئ لعواقب الأمور، والحكيم هو الذي يتفادى المخاطر أو النتائج المدمرة قبل وقوعها، فإذا ما انزلق في خطر ما صعب عليه بعدئذ التراجع عنه ما لم يؤدب أو يزجر.

وأمام هذه الاحتمالات، كان لا بد لكل مُقدم على شيء أن يكون واعياً تمام الوعي، ليضمن لنفسه السلامة والسمعة الطيبة، وينأى بنفسه عن المخاطر والمزالق، فإن التصلب أو التشدد أو التطرف سبب السقوط والانهيار وتشويه السمعة، وهذا يقتضي ضرورة بحث ظاهرة التطرف ليأمن الشباب من الوقوع في هاوية الضياع والفتنة والفساد.

وسيتبين من هذا البحث أن الإسلام بريء كل البرء مما يلصق به في أجهزة الإعلام الغربي من أوصاف كاذبة وافتراءات مغرضة وهي التزمت أو التعصب والأصولية، والتطرف والإرهاب، وغير ذلك مما يبتكره الأعداء والحاقدون في الحال والمستقبل لأن شذوذ أو تطرف بعض الأفراد أو الفئات لا يعني أساساً أن تشريع الإسلام هو الذي علمهم أو دفعهم إلى هذه الأفعال.القبيحة أو المنكرة.

ثانياً: تعريف التطرف وأنواعه

تعريف التطرف في اللغة والاصطلاح:

- في اللغة: قال ابن فارس: الطاء والراء والفاء أصلان، فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني: يدل على حركة فيه[1].
- وطرف الشيء في اللغة ما يقارب من نهايته، وقيل: ما زاد عن النصف. قال الجصاص: طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه ونهايته، ويبعد أن يكون ما قرُب من الوسط طرفاً[2].
- في الاصطلاح: هو الانحياز إلى أحد الطرفين[3].
- وقد عرّفه الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى بقوله: هو كل عنف أو اعتداء أو إجرام ليس له مسوغ شرعي لأسباب سياسية أو لمحاربة نظام جائر، أو لدوافع اعتقادية أو وطنية[4].
- والمتطرف في الإسلام: هو كل من تجاوز حدود الشرع وأحكامه، وآدابه وهديَه، فخرج عن حد الاعتدال ورأي الجماعة إلى ما يعد شاذاً شرعاً وعرفاً، وقد وردت في السنة النبوية توجيهات رشيدة تمنع الشذوذ، وتهدد المتطرفين المغالين، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون"[5].
- والتنطع المغالاة في الدين والتشدد فيه، والمتنطعون: المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار"[6].

---

[1] - معجم مقاييس اللغة 90/2.
[2] - أحكام القرآن للجصاص 250/3.
[3] - مجلة البيان، العدد 21/65065.
[4] - قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006، ص 398.
[5] - أخرجه مسلم 2055/4، رقم 2670، ورواه أحمد في المسند 6 /167، رقم 3655.
[6] - رواه أحمد في المسند 200/45، رقم 27224، والترمذي 36/4، رقم 2167.

أنواع التطرف:

للتطرف أنواع عديدة بحسب الدوافع التي تؤدي إليه، وأهمها:

1. التطرف الاعتقادي: وهو الاعتقاد بآراء خاصة تعارض صريح القرآن والسنة وجماعة المسلمين، مثل الفِرق الاعتقادية القديمة من الجهمية والقدرية والمرجئة[7]، وبعض الحركات المعاصرة كجماعة التكفير والهجرة في مصر وغيرهما.
التكفير: هو الحكم على الإنسان بالكفر، وقد يشتط هؤلاء فيحكمون على الدولة بالكفر مع أنها شخصية معنوية علماً بأن الدول الإسلامية كلها الآن ديار إسلام فلا يصح أن يحكم بأن إحداهما تحولت إلى دار كفر لأن سكانها مسلمون، ولم يستولِ عليها غير المسلمين ما عدا فلسطين، وأحكام الإسلام لاتزال مطبقة فيها بنسبة تزيد على ستين بالمئة[8].
2. التطرف السياسي: وهو إعلان فئة من الناس العصيان على الدولة القانونية، كالخوارج في الماضي الذين خرجوا في العراق على حكم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستباحوا قتل بقية المسلمين فيما عداهم.
3. التطرف العملي: وهو الخروج عن حد الاعتدال بتعذيب النفس، أو الإفراط في ممارسة العبادات من صيام دائم وصلاة في أغلب الليل وترك التزوج وغير ذلك، وهذا يؤدي إلى تعطيل شؤون

---

[7] – القدرية: هم الذين يقولون: إن الإنسان يخلف أفعال نفسه، والمعاصي لا يريدها الله.
الجهمية: هم الذين يقولون أفعال الإنسان لا إرادة له فيها، وإن أحس وشعر بالإرادة، والإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا الإرادة ولا اختيار.
سياسية: وهم الذين توفقوا في حكم الخلاف الذي وقع بين الصحابة، علي وعثمان، والخلاف الذي كان في العصر الأموي، ويرجئون الحكم في أمورهم إلى الله.
إباحية: وهم الذين يقولون إن الله يعفو عن كل الذنوب ما عدا الكفر، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، ويكفي العمل مع الاعتقاد.

[8] – قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 398.

الحياة العملية ويجافي الفطرة، ويرهق النفس الإنسانية، ويلحق بها ضرراً واضحاً، وكل ذلك منافٍ للسنة النبوية السمحة والمعتدلة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الأمور أوساطها"[9].

4. التطرف الدولي: وهو إحداث الذعر والخوف في أراضي دولة أخرى بأساليب مختلفة، كتفجير القنابل وهدم المنازل، وقطع الأشجار وقصف المنشآت أو المؤسسات العامة، ونحو ذلك من الأضرار، سواء من الأفراد أم الدول، وسواء في زمن السلم أم الحرب[10].

وهذا أمر غير مشروع إذا لم يكن في بلاد محاربة كإسرائيل، حيث إن شعبها كله محارب للعرب والمسلمين، ويرتكب أفظع جرائم التخريب والتقطيع والتدمير والتهجير واحتلال الأراضي المملوكة غصباً وقهراً بل وطرد السكان من منازلهم وإحراقهم في بيوتهم، ومصادرة أراضيهم وإقامة المستوطنات الصهيونية عليها، وحصار مواقع الفلسطينيين وديارهم وضرب مؤسساتهم العامة والخاصة ونحو ذلك من جرائم الإبادة، وهذا أشنع أنواع الإرهاب والتطرف الذي تمارسه الدول نفسها[11].

ولا يقر الإسلام إلحاق الضرر والأذى بمن لا يشارك في قتال أو إمداد برأي أو مال أو تحريض في غير البلاد المحاربة، ولا يحق للأفراد قتل أحد من الأعداء إلا في حال قيام حرب مشروعة تعلنها قيادة الدولة المسلمة، وحينئذ يكون الاحتكام للقوة والقهر في ميدان المعارك أمراً مقرراً وطبيعياً.

---

[9] – رواه البيهقي في شعب الإيمان 518/8، رقم 6176، وابن أبي شيبة في المصنف 179/7، رقم 35128.

[10] – الإرهاب الدولي، د.عزيز شكري، ص 205 فما بعد.

[11] – قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 400-401.

ثالثاً: أسباب تنامي ظاهرة التطرف في المجتمعات العربية







تنشأ ظاهرة التطرف في العادة نتيجة جملة عوامل متشابكة، وليس نتيجة عامل واحد، وقد لوحظ عند تشخيص كثير من الغربيين لظاهرة التطرف في المجتمعات العربية والإسلامية مبالغة دراساتهم في التركيز على أربعة عوامل أساسية من وجهة نظرهم هي:

1. الفقر.
2. الجهل.
3. مناهج التعليم المتشددة التي تؤدي إلى تخريج أفراد مشبعين بأفكار متطرفة وبخاصة ما يتعلق بالدراسات الدينية.
4. وجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف وترعى الجماعات المتطرفة.

ومن أجل فهم الظاهرة وتشخيصها بصورة صحيحة أكثر عمقاً، يمكن تقسيم الدوافع التي تؤدي إلى تطور مظاهر التطرف الفكري والسلوكي ونموها في المجتمعات العربية والإسلامية إلى قسمين:

القسم الأول: عوامل ذاتية من داخل هذه المجتمعات.

القسم الثاني: عوامل خارجية.

القسم الأول: العوامل الذاتية الداخلية

1. ضعف الوعي والفهم الخاطئ لبعض المفاهيم الشرعية مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآلية تنفيذ ذلك المسموح والممنوع في التطبيق.
2. ضعف مؤسسات التوجيه الديني الرسمية في الدول العربية، وعدم استقلال هذه المؤسسات وتبعيتها المطلقة للسلطة السياسية، مما أفقدها ثقة المواطن وجعلها غير مؤثرة في التوجيه والنوعية والترشيد.
3. القناعة لدى قطاعات شعبية وسياسية بأن كثيراً من الحكومات العربية بعيدة من التزام أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها تعمل على تغييب أحكام الدين عن واقع الحياة وهو ما أوجد دافعاً لدى البعض للتسرع في إصدار أحكام تكفير الحكومات وإلى اتخاذ مواقف سياسية إزاء العمل السياسي والممارسة السياسية.
4. تنامي ظاهرة الصحوة الإسلامية والتدين الفطري العام في العالم العربي وفّر فرصة للجميع للاستفادة منها، ولا شك في أن بعض الأفكار المتطرفة استفادت من هذا الإقبال على التدين في كسب مزيد من المؤيدين لأفكارها.
5. محاربة الحكومات للتوجيه الديني غير الرسمي، ووضعها لكل الحركات الإسلامية المتشددة منها والمعتدلة في سلة واحدة، وهو ما أضعف قدرة هذه الحركات على الإسهام بدورها في مواجهة بعض مظاهر التطرف التي باتت تشكل خطراً على الجميع، كما أوجد قناعة لدى قطاعات شعبية واسعة بأن تلك الحكومات تقف موقفاً سلبياً ضد كل ما هو ديني، سواء اتسم بالتشدد أم الاعتدال، ونتيجة هذه القناعة السلبية عن تلك الحكومات لدى شعوبها بدأت تنظر إليها على أنها تقف ضد الدين ذاته، لا ضد توجيهات دينية معينة، كما أن المساواة بين المعتدلين والمتشددين، ومعاملتهم جميعاً كمتطرفين وخارجين على القانون قد يحول بالنتيجة بعض المجموعات المعتدلة إلى مجموعات متطرفة مادامت تشعر أنها مستهدفة.
6. المبالغة في الاستخفاف بالدين والمقدسات الدينية أو فرض توجيهات فكرية من قبل بعض الجهات الرسمية يشكل نوعاً من الاستفزاز، ويؤدي إلى ردة فعل معاكسة نحو مزيد من التشدد.

القسم الثاني: العوامل الخارجية

1. عوامل سياسية:

التفرد بالسلطة وعدم تداولها وغياب الديمقراطية في المجتمعات العربية والإسلامية وانسداد أفق التغيير السلمي أمام الحركات والأحزاب السياسية، وفي هذا السياق يرى الدكتور الجابري أن: من أسباب ظهور التطرف سواء باسم الإسلام أو العرق أم باسم الطائفة أم باسم أي إيديولوجية ما، هو أولاً وقبل كل شيء غياب الديمقراطية، إضافة إلى الظروف الاقتصادية.

كثيراً ما يكون التطرف الديني أو السياسي من قبل الأفراد والجماعات رد فعل على تطرف فكري أو سلوكي تمارسه السلطة حسين ترفض الحوار مع الآخر وتصر على مواجهته بالعنف والقمع فقط.

- نظرة بعض القطاعات إلى بعض الحكومات العربية والإسلامية على أنها غير وطنية وعميلة ومرتبطة بقوى معادية للأمة دفع تلك القطاعات إلى القناعة بعدم جدوى الحوار مع تلك الحكومات، وبأن استخدام العنف هو الخيار الوحيد المجدي للتعامل معها.
- توقيع اتفاقيات ومعاهدات تسوية بين أطراف عربية رسمية وبين إسرائيل أوجد حالة غضب شعبي تجاه تلك الحكومات المؤيدة لتلك الاتفاقيات.

2. عوامل اجتماعية واقتصادية:

- الفقر والتفاوت الاجتماعي، وشعور بعض الشرائح بالظلم وغياب العدالة يؤدي إلى حالات نقمة وإحباط تشكل مرتعاً خصباً لنشوء توجهات متطرفة ليست متعلقة ببعد ديني.
- التطرف في الانحلال الأخلاقي والسكوت الرسمي على المظاهر الصارخة للفساد الخلقي يولّد ردات فعل مضادة ضد مواطنين عاديين وأصحاب توجهات وقناعات دينية.

3. عوامل نفسية:

وهي تنجم في العادة عن جملة العوامل السابقة، فالتوجه للعنف الفكري والسلوكي يكون في العادة ناتجاً عن إحباط سياسي بسبب اليأس على التغيير السياسي والتمتع بالحريات في التعبير والقول والممارسة، ويكون ناتجاً كذلك عن إحباط اجتماعي واقتصادي من إمكانية تحسين الوضع القائم نتيجة اختلالات اجتماعية واقتصادية كبيرة.

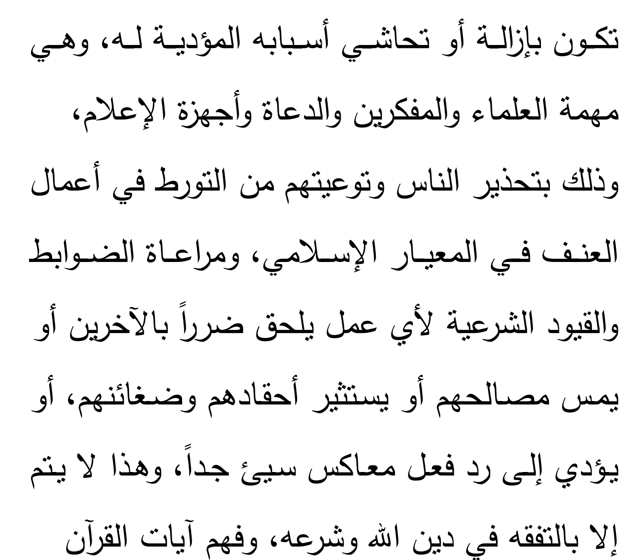
كما أن مبالغة المقترحات العربية والإسلامية في الخوف من أخطار وانعكاسات العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية التي تم النظر إليها كسلعة غربية يجري تصديرها إلى العالم الإسلامي، وخشية أواسط إسلامية من أن تؤدي عملية الانفتاح وفتح الحدود وإزالة الحواجز السياسية والثقافية إلى اختراق الثقافة والقيم والعادات الغربية للمنطقة على حساب ثقافتها وهويتها الحضارية، دفعت إلى تنامي بعض دعوات الانغلاق والتشدد وإغلاق الحدود والمنافذ لاتقاء شرور العولمة.

هذه العوامل –إضافة إلى الاحتقانات السياسية والثقافية والنفسية التي تمر بها المنطقة –وما ينطوي عليه واقع الأمة العربية من كثير من مظاهر الضعف والعجز والتمزق، أدت إلى توفير أجواء مواتية لتنافي نزعات التشدد والتطرف.

رابعاً: طرق الوقاية من التطرف ووسائل العلاج

هناك طرق وقائية وأخرى علاجية من الوقوع في التطرف:

1. الطرق الوقائية من وقوع التطرف:



تكون بإزالة أو تحاشي أسبابه المؤدية له، وهي مهمة العلماء والمفكرين والدعاة وأجهزة الإعلام، وذلك بتحذير الناس وتوعيتهم من التورط في أعمال العنف في المعيار الإسلامي، ومراعاة الضوابط والقيود الشرعية لأي عمل يلحق ضرراً بالآخرين أو يمس مصالحهم أو يستثير أحقادهم وضغائنهم، أو يؤدي إلى رد فعل معاكس سيئ جداً، وهذا لا يتم إلا بالتفقه في دين الله وشرعه، وفهم آيات القرآن



الكريم والأحاديث النبوية الواردة في الجهاد وأحوال مشروعيته، ومراعاة ممارسة حق المقاومة أو الدفاع.

وإن آفته تكمن في أسباب عديدة أهمها: آفة الجهل وآفة تكفير الآخرين[12].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذين السببين بقوله عن قوم لا يفهمون القراءة "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم" أي أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه وهم لا يتفهمون فيه ولا يعرفون مقاصده[13].

وأما تكفير المؤمنين: فقد قال العلماء في شأن الغلاة: إنهم يكفرون بالذنب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار كفر، ودارهم دار إيمان[14].

فالغلاة والمتطرفون يتصفون بكلتا الصفتين: الجهل بدين الله وأحكامه، وظلم عباده وتكفيرهم.

---

[12] – عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها، خالد العك، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1997م، ص 120 فما بعد.

[13] – فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: 293/12.

[14] – انظر الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سليمان، دار التوحيد، 1423، 226/2.

2. الطرق العلاجية للتطرف:

هناك طرق كثيرة لعلاج التطرف منها:

1. تصحيح الاعتقاد: على النحو المذكور في الكتاب والسنة والذي عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.
2. الاحتكام إلى شرع الله وتطبيق الشريعة في قوانين الحياة: هذا فرض وواجب، فإذا تحقق ذلك سقطت جميع ذرائع المتطرفين والغلاة الذين أعطوا لأنفسهم الحق في المطالبة بهذا الواجب، وإلا وقع المقصرون أو المهملون في دائرة الكفر، وينجو الحكام من الاتهام بالكفر والظلم والفسق، وتنتهي فتنة التطرف والفساد.
3. التفقه في الدين بحسب منهج السلف الصالح وأئمة الاجتهاد الذين كانت نظرتهم للشريعة قائمة على الاعتدال والتسامح والتماس الأعذار للمخطئين، والعمل مباشرة بفقه الكتاب والسنة على منهج أهل الحق والاجتهاد، وهذا المنهج هو المفقود عملياً لدى حركات التطرف[15].
4. التوعية اللازمة لفهم علم مقاصد الشريعة ومعايير الفتوى الأساسية: فإنه العلم الذي يوسع الأفق والمدارك، ويرشد إلى مراعاة المصالح ودرء المفاسد، ويحقق التوازن والمرونة والاعتدال، وينير آفاق المستقبل، ويغطي حاجات الناس.
5. بناء الشخصية الإسلامية لدى الرجال والنساء على نحو متكامل وواقعي وجدية ليتحقق العطاء، والتنمية والتفتح، وتصفية رواسب الماضي والتخلص من آفة الجهل في الدين، ويظهر بناء الأسرة المسلمة على نحو لائق ومنسجم وتكافل اجتماعي دون أي شذوذ أو تقصير أو إهمال لشيء من أحكام الدين، كما كان عليه حال الأسرة المسلمة في صدور الإسلام، وحينئذ لا يظهر وجه النقد أو القصور في تكوين الأسرة وممارسة نشاطها، مما يستغله أصحاب الغلو، ودعاة التطرف، والعودة إلى تفعيل العمل بأحكام القرآن[16].

إن التخلي عن منهاج فصل الدين عن الحياة والمجتمع، والعمل على إحياء أحكام الشرعية في شؤون الدنيا والدين والتوجه نحو نهضة اقتصادية لإقامة مجتمع إسلامي فاضل هو الذي يسد

---

[15] - عوامل التطرف والإرهاب وعلاجها، خالد العك، ص 130 فما بعد.

[16] - قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، 2006م، ص 411-413.

الطريق أمام حركات التطرف، ويحقق الأمل في العودة الرشيدة إلى شرع الله على نحو آمن ومستقر.

خامساً: موقف الإسلام من التطرف



الإسلام دين لا إفراط فيه ولا تفريط، فهو من ناحية يوجب على أتباعه نشر رسالته في أنحاء العالم بالحجة والمنطق والإقناع، ومن ناحية أخرى لا يقر الإكراه أو القهر أو المذلة والهوان.

ومن خلال هذا التوجه الحكيم يرفض الإسلام نزعة التطرف أو الغلو الذي ينشر الذعر والخوف، ويشيع القلق بسبب بعض الحوادث الإرهابية على بعض الأشخاص الأبرياء أو الآمنين، أو الممتلكات أو المؤسسات الصناعية أو التجارية، ويمقت كل أوضاع التخريب أو التدمير أو الإساءة بغير حق للأشخاص مسلمين أو غير مسلمين، لأن الإسلام دعوة حضارية إنسانية خالدة وحكيمة.

والإسلام لا يفرق في دعوته بين إصلاح العقيدة وتصحيح العبادة، والتزام الأخلاق الفاضلة القائمة على الأمر بالمعروف والإصلاح، والنهي عن المنكر والفساد حتى يتحقق في المسلمين وصف الله لهم "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه"[17].



إن دعوة الإسلام للسلام وقمع الإرهاب والتطرف واضحة المعالم لكل إنسان من خلال نصوص شرعية كثيرة منها:

---

[17] – سورة آل عمران، آية 110.

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين"[18].

ومنها "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم"[19].

كما وردت أحاديث نبوية تضع حداً للتطرف منها قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يحل لرجل أن يروع مسلماً"[20] أي وغير مسلم، لأن حق الحياة محترم في الإسلام لكل إنسان.

تبين مما سبق أن الإسلام يدين الإرهاب ويشجب أعمال التطرف، وقد أصدر الفقهاء وعلماء الدول الإسلامية في مجمع الفقه الإسلامي الدولي بياناً واضحاً حول هذا الموضوع في دورته الثالثة عشرة المنعقدة في دولة الكويت في أيلول عام 1422هـ/2001م جاء في الفقرة الثالثة تحريم العدوان في الإسلام "إن الإسلام يحرم الاعتداء بغير حق، ومن ذلك ترويع قلوب الأبرياء الآمنين ممن عُصمت دماؤهم، فأي عدوان من هذا النوع هو إرهاب محرم"[21].

[18] – سورة البقرة، آية 208.

[19] – سورة الأنفال، آية 61.

[20] – رواه أحمد في المسند 163/28، رقم 23064، وأبو داود 201/4، رقم 5004.

[21] – قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 414.

سادساً: دور الأعداء في تضخيم ظاهرة التطرف لدى المسلمين



من الصعب أن تدرس ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي دون الوقوف على حقيقة أعداء الإسلام والمسلمين في تأجيج هذه الظاهرة وتسييسها بشكل ظاهر لتشويه حقيقة الإسلام والمسلمين.

ولعل أبرز الذين لهم دور في تضخيم ظاهرة التطرف هم بشكل عام:

أولاً: الدوائر الغربية.

ثانياً: إسرائيل.

ثالثاً: العلمانيون.

1. الدوائر الغربية:



لقد ساهمت صحف الغرب في تضخيم ظاهرة التطرف، حتى أخافت العالم من خطر الزحف الأصولي عليه، وها هي وسائل إعلامهم في أوروبا وأمريكا لاتزال تدق نواقيس الخطر لتخنق الصحوة الإسلامية، وتحارب عودة المسلمين إلى دينهم الحنيف[22].

لقد استخدم الغرب مصطلح الأصولية للنيل من الصحوة الإسلامية عموماً وأهل الغلو بخاصة[23].

لقد نقل الغربيون هذا المصطلح، ووصموا به طائفة من المسلمين اعتباراً من عام 1975م،

إذ شهدت هذه الفترة تنامي الصحوة الإسلامية، وظهور مظاهر التدين، مما جعل الغرب يعيش في حالة من القلق إلى درجة دفعت بعض الباحثين إلى وصفها بأنها حالة مرضية[24].

ويتلخص مفهوم التطرف –أو ما يسمى بالأصولية الإسلامية – عندهم فيما يأتي:

1- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م، ص 172 فما بعد.

2- معجم مقارنة الأديان، ص 292.

3- الإسلام والقوى الدولية، د.حامد ربيع، دار الوفاء، ط1، 1999م، ص 7.

1. ن الجانب السياسي للتطرف هو الأكثر استئثاراً بالبحث في موضوع التطرف.



2. إن تطبيق الشريعة والدعوة إليها يعد من أبرز ملامح التطرف عندهم، سواء كان ذلك التطبيق في الجانب السلوكي للأفراد أم في الجانب الاجتماعي للأمة كلها.
3. إن الدعوة إلى عدم فصل الدين عن الحياة من التطرف والغلو.
4. إن الأخذ الحرفي بأوامر القرآن والالتزام بها من التطرف والغلو.
5. إن من أظهر أعمال الغلاة مزاولة أعمال العنف، والغربيون يسوّون في ذلك بين أمرين:

أ. الجهاد ضد الكفار.

ب. العنف والإرهاب غير المشروع، كالخروج على الحكام المسلمين.

6. إن المتطرفين يكفّرون غيرهم من الناس، فهم يكفّرون اليهود والنصارى، كما يكفرون النمط السائد من المسلمين[25].

ويلاحظ هنا مدى التحامل أو التجاهل لحقيقة الإسلام الذي لا يفصل بين الدين والسياسة في تاريخه كله.

1- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق، ص 181-182.

تقول المستشرقة الإيطالية إيزابيلا كاميرا: إن قضية الأصولية الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة الإعلام الغربي، فالغرب كان ولايزال بحاجة إلى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً، فلعقود كان هذا العدو متمثلاً في الشيوعية التي يتبناها المعسكر الشرقي، وعندما انهارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟ وإذ به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل بالعالم الإسلامي[26].



ثم تابعت حديثها قائلة: "فنحن وعلى الرغم من وجود مظاهر أصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب، لا نسمع حديثاً عن عنف هذه المظاهر الأصولية في حين نرى هذا المنطق يطبّق على العالم العربي، وإن الغرب لا يرغب في تقديم صورة حقيقية في وسائل إعلامه، يكفي أن ترى نشرات الأخبار عندما تتحدث عن الظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة، تصور الناس وهم يؤدون شعائر دينية، أو يصلون في المساجد، ثم تربط بين هذه الصور وظاهرة التطرف والعنف الإسلامي"، ثم تقول: "ترى لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف الذين يؤمون ساحة القديس بطرس في الفاتيكان كل يوم أحد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يقيمه البابا (يوحنا بولس الثاني)؟ ثم من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة الأصولية".

2- مجلة البيان العدد (74) 1414هـ، ص 74، من مقال بعنوان حسين يستنطق الشهود للدكتور عبد الله عمر سلطان، نقلاً عن ظاهرة التطرف، د.سفير جراد.

إن الحقد أعمى الغربيين عن قول الحقيقة، وقلائل هم المنصفون، من أمثال من سبق، وإلا فلماذا لا تكتب صحفهم عن التطرف بين المذاهب النصرانية والحروب بين أهلها؟ وها هي الحروب الدائرة بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا الشمالية من النماذج الحية، وها هو حقد الأرثوذكس من الصرب وإرهابهم خير دليل على ما نقول.

وقد أسفرت الدراسات التي قامت بها بعض المؤسسات الأمريكية عن وجود (370) منظمة إرهابية متطرفة في العالم، وقد وقع (43%) من عمليات التطرف والإرهاب هذه في دول أوروبا الغربية و(22%) منها في أمريكا اللاتينية، و(6%) منها في الولايات المتحدة الأمريكية و(15%) في الشرق الأوسط، فلماذا لا يشار إلى ذلك في صحفهم ومجلاتهم.[27]

1- ظاهرة التطرف، د.سفير جراد، دار محمد الأمين، دمشق، ط3، 2012، ص 501-502.

2. دور إسرائيل:

من الصعب تجاوز ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي دون المرور والوقوف على حقيقة دور إسرائيل في تأصيل هذه الظاهرة وتسويغها وإبرازها للعالم الغربي من منطلق أن لإسرائيل دوراً كبيراً في تزوير الحقائق وتضخيم ما يسمى بقضية التطرف الإسلامي، ذلك لأنها تُعِد الصحوة الإسلامية والالتفاف حول الطروحات الإسلامية من التطرف.

وقد بدأت إسرائيل تتاجر لتسويق الخطر الأصولي، عندما ظل الرئيس الاسرائيلي الأسبق (حاييم هرتسوغ) يكرر ويشير إلى هذا الخطر القادم، وإلى ضرورة تصدي المجتمع الدولي له، وذلك من خلال جولته الأخيرة في دول أوروبا:

1. ففي زيارته إلى بريطانيا شن حملة شعواء على الاتجاه الإسلامي المتعصب معتبراً أنه يشكل أكبر خطر على العالم الحر.
2. وقال في بولندا: إن الحركات الإسلامية المتطرفة لا تهدد الشرق الأوسط وحده، وإنما تنتشر بسرعة في العالم كله، وإن هذه الظاهرة التي يتجاهلها الغرب حتى الآن تشكل الخطر الرئيسي الذي يواجه العالم حالياً.

هكذا يدق رئيس دولة إسرائيل ناقوس الخطر من الإرهاب والأصولية من شعب شُرد وطرد من وطنه، وكأن دولته ما قامت لا على عنف ولا تطرف وإرهاب ونزعة دينية حاقدة، وكأنه لا يعلم مجازر صبرا وشاتيلا وتل الزعتر للسكان الآمنين في مخيماتهم، أكان من السلام المفتعل أن يقتل عشرات المصلين في المسجد الإبراهيمي في يوم من أيام رمضان وهم سجود صائمون؟[28].

وبالطريقة نفسها قام رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين بجولة إلى أوروبا وأمريكا، وحذر في العديد من خطاباته من خطر المد الأصولي في العالم، ودعا إلى ضرورة الوقوف أمام هذا المد: فقد قال خلال

1- انظر: ظاهرة التطرف، د.سفير جراد، ص 502 فما بعد.

زيارته إلى بريطانيا: إن الإسلام الأصولي ينتشر خارج منطقة الشرق الأوسط، وإن على العالم تقليد إسرائيل في حربها ضد هذا التيار.

وقال في تصريح آخر: إن العالم الغربي والعالم أجمع سيدفع الثمن باهظاً إذا لم يتم إيقاف السرطان الإسلامي.

إن هذه التصريحات تمثل تياراً عاماً وتوجهاً واضحاً لدى الحكومة الإسرائيلية نحو سياسة معينة تهدف إلى أهداف خبيثة، منها استعداء العالم بأسره للمد الإسلامي، وأن إسرائيل تلعب دوراً بارزاً ومهماً في القضاء عليه.

وقد أرادت من انتهاء الحرب الباردة أن تكون الشرطي بالوكالة في المنطقة لتضمن استمرار الدعم الأمريكي والغربي لها، مستغلة شعور الخوف المتأصل في نفوس الشعوب الغربية من الإسلام.

وهذا ما أشار إليه الكاتب اليهودي سول موديل بقوله: "إن هنالك خطراً جديداً بدأ يحل محل الخطر الشيوعي، هذا الخطر هو الأصولية الإسلامية، وربما يكون أمراً محبذاً أن تقوم إسرائيل مرة أخرى بالعمل كدفاع متقدم للغرب، ولكن في هذه المرة ضد التيار الضخم المتصاعد للإسلام القاتل".

إن هذا الشكل من الأصولية الإسلامية يكتسح اليوم الشرق الأوسط مهدداً استقرار نظم عربية كثيرة مثل مصر والأردن والسودان وليبيا والجزائر حتى أفغانستان وباكستان، ومحرضاً على العنف الإرهابي ضد إسرائيل[29].

في ظل هذا التضخيم الإعلامي المغلف بالتحذير من خطر الأصولية الإسلامية تحول الأمر إلى عنوان يوحي في صور صفحات الصحف الغربية وأمريكا بخاصة لإقناع الإدارة الأمريكية بتكليف إسرائيل بالقيام بدور رئيسي في محاربة هذه الموجة والتصدي لها، وهذا هو الهدف الأول، والهدف الثاني من هذه الحملة هو إشعار الدول العربية بأنها تعيش هي وإسرائيل أزمة واحدة، ولذلك فلا بد من توحيد الجهود الإسرائيلية العربية للوقوف أمام التيار الأصولي، كذلك فإنها تشعرهم بأن الصحوة الإسلامية هي الخطر

1- جريدة الحياة 1993/4/24م، نقلاً عن ظاهرة التطرف، ص 506.

الحقيقي على الأنظمة العربية، وعليه فعلى الجميع أن يقفوا صفاً واحداً في وجه هذا التيار، ولذا فلا بد من أن تعمل الدول العربية كلها لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل[30].

وفي هذا الصدد يقول إسحق نافون: إن الدول العربية تواجه الخطر نفسه الذي تواجهه إسرائيل، وإنها تتعامل معه بالقوة نفسها.

2- صحيفة الواشنطن بوست 1993/1/20م، نقلاً عن ظاهرة التطرف، ص 505.

3. دور العلمانيين:

إن العلمانيين هم أكثر الناس استخداماً لمصطلح التطرف ضد الصحوة الإسلامية دون أن يلتزموا بالموضوعية.

وكثيراً ما يوظف هذا المصطلح للتنفير ممن يلتزم بالسنة في صلاته ولباسه، وممن يتجنب المحرمات، ومن المرأة المسلمة إذا أصرت على لباسها وحجابها[31]، وضد الذين ينادون بالحكم الإسلامي، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

العلمانيون هم المرآة التي تعكس ما يريده أعداء الأمة، ولذلك فهم يتبنون كل ما من شأنه إبعاد هيمنة الإسلام على حياة المسلمين.

لقد قامت الأحزاب العلمانية في بلادنا، وجعلت من نفسها قيّماً على ما يزعمونه بالشرعية الدستورية، فحكمت بعقلية بوليسية مناوئة للأمة وعقيدتها، وضربت بالحديد والنار كل دعاة الفكرة الإسلامية، وعدّتهم أعداء ليس لهم حق الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضح النهار، في الوقت الذي فتحت فيه المجال لكل منهاج علماني.

يتبين لنا بعد كل هذا أن التطرف عند فئة قليلة من المسلمين استُغل وضُخم ليقضي على المسلمين عموماً وعلى تعاليم الإسلام نفسه، فقد ضخم الإعلام الغربي الصهيوني هذه الظاهرة، ويبتغي من وراء ذلك:

1. إرضاء نزعة الحقد الموجودة لديهم على الإسلام وأهله.
2. تضليل الرأي العام العالمي حتى لا يتعاطف مع المسلمين وقضاياهم المريرة في هذا القرن.

1- التطرف الديني والرأي الآخر، د.صلاح الصاوي، دار الآفاق الدولية للنشر، 1993م، ص 50 فما بعد.

خلاصة:

إن التطرف ظاهرة عالمية عانى منها كثير من المجتمعات المسلمة وغيرها وذاقت ويلاتها واكتوت بنارها، ومازالت تعاني منها، فالتطرف شر كله، فالمتطرف منحرف التفكير، مريض النفس، شارد الذهن، مزاجي متسخط، مهزوم الشخصية.

ومن أنواع التطرف: التطرف الاعتقادي، التطرف السياسي، التطرف العملي، التطرف الدولي.

ومن أسباب التطرف: الفقر، الجهل، مناهج التعليم المتشددة، ووجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف وترعى الجماعات المتطرفة

من الصعب أن تدرس ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي دون الوقوف على حقيقة أعداء الإسلام والمسلمين في تأجيج هذه الظاهرة وتسييسها بشكل ظاهر لتشويه حقيقة الإسلام والمسلمين.

وأبرز الذين لهم دور في تضخيم هذه الظاهرة هم:

- الدوائر الغربية.
- وإسرائيل.
- والعلمانيون.

تمارين:

1. عرف التطرف ثم اذكر أنواعه.
2. عدد أسباب تنامي ظاهرة التطرف في المجتمعات العربية.
3. اذكر طرق علاج التطرف.
4. تحدث بالتفصيل عن موقف الإسلام من التطرف.
5. اختر الإجابة الصحيحة:

من أسباب ظاهرة التطرف:

A. التطرف الاعتقادي.
B. الجهل.
C. التفقه بالدين.

الإجابة الصحيحة :B الجهل

6. اختر الإجابة الخاطئة:

التطرف هو:

A. الانحياز إلى أحد الطرفين.
B. العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات.

الإجابة الصحيحة B العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات

المراجع:

1. الإرهاب الدولي، د.عزيز شكري، دار العلم للملايين، ط1، 1999م.
2. أحكام القرآن للجصّاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصّاص، تحقيق عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994/1415.
3. عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها، خالد العك، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1997.
4. الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992/1413.
5. التطرف الديني والرأي الآخر، صلاح الصاوي، دار الآفاق الدولية للإعلام والنشر، 1993م.
6. الإسلام والقوى الدولية، د.حامد ربيع، دار الوفاء، ط1، 1999/1419.
7. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تحقيق مشهور بن حسن السليمان، دار التوحيد، ط1، 1423هـ.
8. قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط1، 2006/1427.
9. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة 1979/1399.
10. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، 1985م.
11. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط2، 1999/1420.
12. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي، ود.ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1998م.
13. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
14. حين يُستنطق الشهود، د.عبد الله عمر سلطان، مقال في مجلة البيان، العدد 74، لعام 1414هـ.
15. الغلو، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن للنشر، ط1، 1417هـ.

الوحدة التعليمية السادسة

الغلو

أهمية الوحدة السادسة

إن لهذا الموضوع أهمية بالغة في ذاته فهو يتعلق بعقيدة المسلمين، وفي زمنه من حيث بروز بعض أعمال الغلو وغياب معنى الغلو في الشريعة واتخاذ محاربة الغلو ذريعة لمحاربة الإسلام، وفيما يتعلق بمستقبل الدعوة الإسلامية لا بد من تصحيح مسارها.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف الغلو.
2. يعدد أسباب الغلو.
3. يبين أبعاد الغلو على المستوى العقدي.
4. يبين أبعاد الغلو على المستوى الدعوي.
5. يبين أبعاد الغلو على المستوى الأمني.
6. يبين أبعاد الغلو على المستوى الاجتماعي.
7. يحدد آثار الغلو وكيفية معالجته.

الكلمات المفتاحية:

الغلو –.الحد – أسباب – الفقه – الخصوم – إعراض – الظلم – محاربة – الجهل – الجفوة – التشدد – أبعاد – المستوى – تكفير – الخروج – التدين – الأمني – الاجتماعي –.الفكري – آثار – معالجة – طرق – الخطاب – الفتوى – مراكز – خطط.

اولاً: مقدمة

ترجع بذور الغلو في الدين إلى بعض العُباد الجهلة الأوائل، وأصحاب الأهواء، وأهل النفاق والزندقة، وكان من ضحيتهم بعض الغيورين والمندفعين إلى التدين عاطفياً من صغار السن (حدثاء الأسنان) كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم يقل فقههم للدين وتجربتهم في الحياة، ولم تنضج عقولهم، ولم يرجعوا إلى أهل العلم.



ومن هذين الصنفين تكونت الخوارج الأولى الذين قاتلهم الصحابة بعد أن حاوروهم وجادلوهم. وبعد أن استحلوا الدماء.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية"، وقد أمر النبي بقتالهم لأنهم يهلكون الحرث والنسل ويسعون في الأرض فساداً.

وقد ظهرت مثل هذه المظاهر على مدار التاريخ، وكان منها في العصر الحديث (جماعة التكفير والهجرة)، (وجماعة التوقف والتبين) التي ظهرت في مصر في آخر القرن الماضي ثم امتدت آثارها في كثير من بلاد المسلمين والعالم، ولاتزال آثارها النكدة على شباب الأمة.

ونزعة التشدد التي قد تنشأ عنها ظواهر العنف والتكفير (الغلو) قد تصاحب كل نهضة أو دعوة وتشذ عنها. فكما ظهرت في أول الإسلام – وهي ليست من الإسلام في شيء لكنها نشاز – لاتزال تظهر بين وقت وآخر.

ثانياً: تعريف الغلو لغة واصطلاحاً

تعريف الغلو لغةً:



تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على: مجاوزة الحد والقدر، قال ابن فارس رحمه الله: الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز حده[1]، وقال الجوهري: وغلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحد[2]، وقال ابن منظور: وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده[3].

تعريف الغلو اصطلاحاً:



هناك تعريفات كثيرة للغلو في اصطلاح الفقهاء سأذكر بعضها:

- الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق[4].
- أو هو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه يتجاوز الحد[5].

---

[1] – معجم مقاييس اللغة (باب الغين واللام من كتاب الغين)، 387/4.

[2] – الصحاح, مادة غلا, 2448/6.

[3] – لسان العرب، مادة غلا، 131/15.

[4] – اقتضاء الصراط المستقيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، 328/1.

يتضح مما سبق من تعريف العلماء بأن الغلو في ميزان الشرع هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده الشارع الحكيم، لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، فذاك بتجاوزه[6].

وقد وردت نصوص في القرآن الكريم تحذر من الغلو في الدين، والقصد من ذلك هو تحذير الأمة من داء الغلو العضال، كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه حيث قال: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلَكم الغلوُّ في الدين"[7].

وللأمة سمة بارزة هي الاعتدال والوسطية، قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"[8]، فمن شاد الدين وغالبه، فقد خالف مقصد الشارع من التشريع، كما خرج عن سمة الأمة: العدل والوسطية.

إذاً الخير في التوسط والتوازن بين الغلو والتقصير أو بين الإفراط والتفريط أو بين الطغيان والإخسار، قال تعالى: "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ"[9]، وقال أيضاً: "وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ"[10].

والطغيان: هو تجاوز حد الوسط إلى جانب الغلو والإفراط. والإخسار: هو تجاوزه إلى جانب التقصير والتفريط.

---

[5] – فتح الباري، شرح صحيح البخاري: 278/13.

[6] – مشكلة الغلو, عبد الرحمن اللويحق، دار الوطن، ط1،1416، 30/1.

[7] – أخرجه ابن ماجة في سننه, كتاب المناسك, باب قدر حصى الرمي, حديث رقم 3029.

[8] – سورة البقرة, آية 143.

[9] – سورة الرحمن, آية 6.

[10] – سورة الرحمن,آية 9.

ثالثاً: أسباب الغلو

هناك أسباب عامة للغلو في كل زمان ومكان، وأسباب خاصة للغلو في العصر الحديث.

1. الأسباب العامة في ظهور الغلو في كل زمان ومكان:



1- قلة الفقه في الدين أي ضعف العلم الشرعي، أو أخذ العلم على غير منهج سليم، أو تلقيه عن غير أهلية.

2- ظهور نزعات الأهواء والعصبيات والتحزبات.

3- حداثة السن وقلة التجارب، والغيرة غير المتزنة (عواطف بلا علم ولا حكمة).

4- الابتعاد عن العلماء وجفوتهم وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم والتلقي عن دعاة السوء والفتنة والالتفات حوله.

5- شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير به.

6- النقمة على الواقع وأهله بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية في كثير من بلاد المسلمين.

7- تحدي الخصوم في الداخل والخارج واستفزازهم للغيورين والشباب وكيدهم للدين وأهله.

8- قلة الصبر وضعف الحكمة في الدعوة لدى كثير من الغيورين ولاسيما الشباب المتدين.

إذا توافرت هذه الأسباب ونحوها مهد هذا لظهور الغلو والتنطع في أي زمان وأي مكان، وبخاصة إذا أضيف إلى هذه الأسباب تقصير الولاة وغفلة العلماء وطلاب العلم والدعاة عن معالجة هذه السمات وأسبابها في وقت مبكر.[11]

---

[11] - كتاب الخوارج، ناصر العقل، دار القاسم، ط2، 1417، ص 123 فما بعد.

2. أسباب ظهور الغلو في العصر الحديث:

إن الأسباب التي هيأت لظهور الغلو الذي هو سبب من أسباب العنف والإرهاب بين المسلمين في العصر الحديث كثيرة ومتشابكة منها:

1- إعراض أكثر المسلمين عن دينهم – عقيدة وشريعة وأخلاقاً – مما أوقعهم في ضنْك العيش وفي حياة الشقاء، ويتجلى هذا الإعراض في أمور كثيرة في حياة كثير من المسلمين اليوم أفراداً وجماعات، ومن مظاهر هذا الإعراض:

- شيوع الفساد، وظهور الفواحش والمنكرات وحمايتها.
- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التقصير فيه.
- التعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة.

2- شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله، سواء أكان ظلم الأفراد أم ظلم الشعوب أم ظلم الولاة وجورهم أم ظلم الناس بعضهم لبعض مما ينافي أعظم مقاصد الشريعة.

3- محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن، والتضيق على الصالحين والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.

4- الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه بالدين، والمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجيهات التي يميل أصحابها إلى الغلو والعنف يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية.

5- الجفوة بين العلماء والشباب وبين الشباب والمسؤولين، وفي أغلب بلاد المسلمين نجد العلماء بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم في معزل عن أكثر الشباب، وربما يسيئون الظن بأكثرهم، وكذلك تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، وكذلك هناك حاجز نفسي كبير بين النخبة من الشباب والمسؤولين، تجعل كلاً منهم يسيئ الظن بالآخر، ولا يفهم ما عليه الآخر إلا عبر وسائل ووسائط غير أمينة غالباً، ومن هنا فُقد الحوار الذي هو أساس التفاهم الإصلاح[12].

---

[12] – كتاب الخوارج, ناصر العقل، ص 125 فما بعد.

6- الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة، فأغلبها تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية: سياسية واقتصادية ونحوها، وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصَّل شرعاً والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة.

7- تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وأشباهِهم للدعوة بلا علم ولا فقه: فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة، بل كثير منهم يستنقص العلماء ولا يعرف لهم قدرهم.

8- التشدد في الدين والتنطع: ويظهر أثر التشدد والتنطع في الخروج عن منهج الاعتدال في الدين الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من ذلك في الحديث الذي يقول فيه: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحدٌ إلا غلبه"[13]، والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين.

9- شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمثقفين وغيرهم بلا علم ولا فقه ولا حكمة: مع العلم أن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، ولكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فُقدت هذه الشروط أو بعضها أدى ذلك إلى الغلو والشدة في معالجة الأمور.

---

[13] – رواه البخاري، كتاب الإيمان, باب الدين يسر، 16/1 رقم 39.

رابعاً: أبعاد الغلو

من خلال الاستقراء يمكن تقسيم أبعاد الغلو إلى مستويات أربعة:

المستوى العَقَدي، والمستوى الدعوي، والمستوى الأمني، والمستوى الاجتماعي.

1. المستوى العقدي:

1. تكفير حكام ومجتمعات المسلمين:

ولهم في ذلك شُبه كثيرة منها مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، دون النظر إلى التفصيل لهذه المسألة ما بين كفر وظلم وفسق.

ومنها: شبهة موالاة الحكام لغير المسلمين ومظاهرتُهم على المسلمين.

وبنوا على ما سبق تكفير الحكومات، وتكفير أعضائها بأعيانهم، وكفّروا بقية أفراد النظام حتى وصل بهم الغلو إلى تكفير أعيان الشرطة أنهم أعوان النظام الكافر، وقد سوغ لهم هذا استباحة دماء الناس من رجال الأمن والشرطة.

واشتط بعضهم فكفّر عموم المسلمين بحجة أن من لم يكفّر الكافر فهو كافر من دون أن يلتفتوا إلى شروط التكفير وموانعه، بل إنهم جعلوا الوطن دار حرب فاستهدفوا الآمنين والمفاصل الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية، لشُبه وحجج قامت في عقولهم جعلتهم يسترخصون الأرواح ويستبيحون الأموال دون أن يلتفتوا لتحذير أهل العلم والمعرفة.

2. الخروج ومفارقة جماعة المسلمين:

فهؤلاء جعلوا طاعتهم وولاءهم لأشخاص يحركونهم بالخطابات الحماسية والرسائل الإنترنتية، والعبارات المشفرة عبر قنوات عميلة، ومواقع مشبوهة، ولا يعرف هؤلاء بعلم ولا فقه ولا حرص على مصالح الأمة وقضاياها.

2. المستوى الدعوي:

1. تنفير الناس من التدين:

لأن أفعالهم الدموية والتخريبية والعبثية التي لا تقرها شريعة ولا يرضاها دين، ولا يقبلها عقل، شوهت الدين ونفّرت الناس من التدين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يسّروا ولاتعسّروا وبشّروا ولاتنفّروا)[14]،

وهل الانتصار للدين والشريعة كما يزعم هؤلاء بالتدمير والتخريب وزعزعة الأمن وتروي المسلمين الآمنين وغيرهم؟!

2. إشغال العلماء والدعاة بالرد عليهم دون ما هو أهم مما أضاف إلى أعبائهم الدعوية أعباءً جديدة.

3. المستوى الأمني:

1. زعزعة الأمن بالتفجير وقتل الناس، فاستباحوا دماء الناس وأرواحهم وأموالهم، وزعزعوا الأمن، وجعلوا الفرصة سانحة للطامعين وأصحاب المصالح للتدخل في شؤون الدول الإسلامية والعربية بحجة عدم قدرتها على ضبط الأمن.
2. تقديم الذريعة للمتربصين بالوطن للتدخل في أمور وطنية سيادية كالتعليم وغيره.

4. المستوى الاجتماعي:

1. زعزعة الأمن الفكري، وذلك بمحاولة إسقاط العلماء وتهميشهم لإدراكهم أن العلماء هم صِمام الأمان الذي يحبط ويفشل ما يخططون له من قتل وتخريب، وإذا أُسقط العلماء خلت الساحة أمامهم لبث أفكارهم وسمومهم، فالعلماء عند التكفيريين هم علماء سلطة، وزبانية الظلمة، ومُفتون للحكام وفق ما يشتهون.
2. تضييع الطاقات الشابة وتبديدها، حيث استقطب هذا الفكر شريحة من الشباب مستغلاً حماسهم وغيرتهم على الدين والدعوى، واستياءهم التجاوزات التي يقوم بها التغريبيون، فاندفعت إليه هذه الفئة بإخلاصها وحبها لدينها ظناً منها أن اعتناق هذا الفكر نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعلها طاقاتِ هدم وتخريب في الأمة بدلاً من أن تكون طاقات بناء[15].

1- أخرجه البخاري, 25/1، رقم 69.

1- الغلو، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن ط1، 1417، ص 111 وما بعد.

خامساً: آثار الغلو

الغلو داء خطير وشر مستطير لـه آثار قبيحة وسيئة منها[16]:



1. إنه يحمل على تكفير المسلمين وسفك دمائهم كما حصل للخوارج من هذه الأمة، حتى قتلوا خيارها، كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهما رضي الله عنهما.
2. إنه يحمل على الخروج على ولي أمر المسلمين وشق عصا الطاعة وتفريق كلمة المسلمين كما حصل ويحصل من الخوارج على مدار التاريخ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل من يفعل ذلك في قوله: (من أتاكم وأمْرُكم جميعٌ على رجل واحد منكم، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه)[17].
3. إنه يزهد في السنة والوسطية والاعتدال، باعتبار ذلك تساهلاً في الدين والعبادة كما في قصة الثلاثة الذين تقالّوا عمل النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الصحيح.
4. إنه يسبب الانقطاع عن العمل الصالح، وقد يحمل على الزَّيْغ والانسلاخ من الدين، فإن النفس تضعف مع شدة العمل وقد تعجز أو تمل من العمل فتتركه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عن المتشدد في الدين: (فإن المُنبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى)[18]، والمُنبتّ: هو الذي انقطع في سفر لعطب دابته.
5. إنه يحمل على القنوط من رحمة الله كما حصل من الذي قال: "واللهِ لا يغفر اللهُ لفلان".

---

[16] – الغلو، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، ط1، 1417، ص 112، وانظر: الغلو مقابل التساهل, صالح الفوزان, إعداد موقع روح الإسلام.

[17] – رواه مسلم 23/6، باب حكم من فرّق أمر المسلمين، رقم الحديث 1852.

[18] – رواه البيهقي في السنن الكبرى, باب القصد في العبادة، 18/3، رقم الحديث 4520.

سادساً: معالجة الغلو

هناك طرق كثيرة لعلاج الغلو منها:

1. طرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومبرمجة لعلاج ظواهر الغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية، وبالبرامج العلمية والإسلامية والتربوية قريبة المدى وبعيدة المدى.
2. استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين للإسهام في حل المشكلة وتخفيف آثارها، والحد من انتشارها بأكثر مما هو حاصل وبكل الوسائل المباحة، فيجب على الجميع طرح المشكلة في وسائل الإعلام، ومؤسسات التربية والتعليم بأسلوب علمي مدروس.
3. التأكيد على أهل الحِل والعَقد وعِلية القوم في المجتمع في ممارسة دورهم الريادي للانفتاح على الناس، وضبطهم بالمرجعية الدينية والاجتماعية والرسمية، وأول ذلك العلماء وكبار المسؤولين في كل منطقة، وأن يخصص كل واحد منهم وقتاً يومياً أو أسبوعياً يستقبل فيه الناس ويحاورهم، ويخصص للشباب المندفع وقتاً يحاورهم ويرفق بهم ويرشدهم.
4. إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة رسمية وغير رسمية، بمعنى أن يكون فيها باحثون ومتخصصون متفرغون يعكفون على البحث والدراسة والحوار، وتوفر لهم الإمكانات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها.
5. توسيع دائرة الفتوى والمفتين نوعاً وعدداً وطريقة، وإنشاء دوائر للفتوى في كل المناطق واسعة الصلاحيات كبيرة الإمكانات تتصدى لحاجات المجتمع ومشكلاته وإشكالاته الكبيرة والخطيرة، فالناس لاتزال ثقتهم بعلمائهم جيدة على الرغم مما حدث لها من صدع كبير.
6. إقامة دورات مركزة في أصول الدين وثوابته ومسلماته، وأصول الغلو واتجاهاته، والقواعد الشرعية حول الحاكم والبيعة والسمع والطاعة، وضروريات الأحكام لكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين وغيرهم.
7. التأكيد على التفريق بين أحكام الدين في الجهاد بشروط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء بضوابطها الشرعية، وبين التشدد والغلو والتطرف الذي يحدث باسم هذه الأصول الشرعية العظيمة، لأن الخلط وتجاوز الأصول من قبل البعض والتنكر لها من بعض وسائل الإعلام والكتاب يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والغلو.

8. تسديد الخطاب الديني الرسمي وشبه الرسمي وتهذيبُه في قرارات الدولة وبياناتها ووسائل الإعلام، لأن أغلب صياغات الخطاب الديني وأساليبه غير جيدة ولا محترمة.
9. أعظم سبب لوجود التطرف في العصر الحاضر هو التطرف المعاكس في رفض الدين أو التساهل والإعراض عنه وعدم الجدية في علاج النوعين بتوازن.

ويجب في هذه الحال التفريق في العصر الحاضر بين التمسك بالدين والسنة وهو حق، وبين الغلو والتطرف وهو باطل.

- إن الغلو "التطرف الديني" لا يمكن علاجه علاجاً حاسماً إلا بأمرين، وهما:

1. الحوار الجاد والمجادلة بالتي هي أحسن من خلال النصوص الشرعية والقواعد المعبرة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بجدارتهم.
2. الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء[19].

---

[19] – الغلو الأسباب والعلاج,ناصر العقل ، ص 22.

خلاصة:

إن الغلو داء خطير لـه آثاره الخطيرة في تكفير المسلمين وسفك دمائهم وتفريق كلمتهم، ولا بد من معالجته بطرح برامج وخطط علمية مدروسة بالحوار والمناقشة، واستنهاض همم العلماء والمفكرين للإسهام في حل هذه المشكلة، والحد من انتشارها بالوسائل الصحيحة.

من أسباب الغلو العامة: قلة الفقه في الدين، ظهور نزعات الأهواء والعصبيات والتحزبات، حداثة السن وقلة التجارب، الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات، النقمة على الواقع وأهله بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية، قلة الصبر وضعف الحكمة في الدعوة.

من أسباب الغلو الخاصة: إعراض أكثر المسلمين، شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله، الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه بالدين، الجفوة بين العلماء والشباب وبين الشباب والمسؤولين، الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة، تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وأشباهِهم للدعوة بلا علم ولا فقه، التشدد في الدين والتنطع، شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمثقفين.

يمكن تقسيم أبعاد الغلو إلى مستويات أربعة: المستوى العَقَدي، والمستوى الدعوي، والمستوى الأمني، والمستوى الاجتماعي.

للغلو آثار خطيرة كما له العديد من طرق المعالجة.

الغلو في الدين يرجع إلى الأزمان السالفة واستمر إلى العصر الحديث.

تمارين:

1. عرف الغلو واذكر أسبابه العامة.
2. عدد أسباب ظهور الغلو في العصر الحديث.
3. بين أبعاد الغلو على المستوى الأمني والاجتماعي.
4. اذكر آثار الغلو.
5. اختر الإجابة الصحيحة:

الغلو هو:

A. الاعتدال في كل أمور الحياة.
B. مجاوزة الحد.
C. طلب الرأي ممن هو أهل له.

الإجابة الصحيحة B :مجاوزة الحد.

6. اختر الإجابة الخاطئة:

من أبعاد الغلو على المستوى الأمني:

A. الخروج ومفارقة جماعة المسلمين.
B. زعزعة الأمن بالتفجير وقتل الناس.

الإجابة الصحيحة: A الخروج ومفارقة جماعة المسلمين

المراجع:

1. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة 1979/1399.
2. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، 1987/1407.
3. لسان العرب، جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط1، 1975م.
4. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1379هـ.
5. الصراط المستقيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ.
6. الغلو نشأته مسائله آثاره، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن للنشر، ط1، 1417هـ.
7. مشكلة الغلو، عبد الرحمن اللويحق، دار الوطن، ط1، 1416هـ.
8. كتاب الخوارج، ناصر العقل، دار القاسم، ط2، 1417هـ.
9. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى الباب الحلبي، القاهرة، ط1، 1970م.
10. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422 هـ.
11. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ط2، 1985م.
12. سنن البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1985م.

الوحدة التعليمية السابعة

التكفير

أهمية الوحدة السابعة:

التكفير حكم شرعي وحق لله فلا يكفَّر إلا من كفّره الله ورسوله، فهو يثبُت بالشرع لا بأقوال الرجال، ومن هنا تأتي أهمية الوحدة.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرّف التكفير.
2. يبين ضوابطَ التكفير.
3. يعدد أسباب التكفير في العصر الحاضر.
4. يحدد كيفية علاج التكفير.
5. يبين ضرورة تحذير الحكام والمحكومين من التكفير.

الكلمات المفتاحية:

الكفر – التكفير – ضوابط الجهل – نشأة – الخروج – أسباب الاضطهاد – الهوى – الصحيح – طرق – علاج – التسامح – التحذير – ضحالة – القواعد – الثقة – المعرفة – مذاهب – اليهودي – صفين – الخوارج – حروراء – الهجرة – الناجون.

أولاً: مقدمة



إن ظـاهرة التكفيـر حالـة مَرَضـية فـي الفكـر الإسـلامي، ظهرت فـي وقت مبكر مـن تاريخـه، واكتوى بنارها النـاس قديماً وحديثاً، ولاتزال تشـغلهم في نواديهم ومنتدياتهم، ساعد على إيجادها عصبية مسرفة، ثم عدم تعمق في دراسة العلوم الإسلامية، حتى أُخذ ببعض النصـوص وتُركت أخرى، وعُوِّل علـى المتشـابِه وأُهمـل المحكَـم، واعتُمـد علـى الجزئيات وأُعرض عن الكليات، فضـلاً عن الفهم السطحي لبعض النصـوص، لذا فشت هذه الظـاهرة عند المتأخرين أكثر من المتقدمين، لذا لا بد من الوقوف عليها، ووضع ضوابط لها.

ثانياً: تعريف التكفير وضوابطه

تعريف التكفير:

- في اللغة: الكُفرُ نقيض الإيمان، وهو مصدر كَفَرَ يكفُر كُفراً وكُفوراً وكُفرانـاً، وهو الجحود والستر، يقال كفر نعمة الله: جحدها وسترها.
- والكافر: الجاحد لأنعم الله.
- والكفر: ضد الإيمان لأنه تغطية الحق، ويقال لأهل دار الحرب قد كفروا أي: عصوا وامتنعوا، وكذا كفران النعمة جحودها وسترها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة[1].
- والكفور: المبالِغ في كفران النعمة، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِين"[2].

---

[1] – تاج العروس 3458/1, ولسان العرب 144/5.

[2] – سورة الزخرف, آية 15.

- والتكفير في اللغة: هو الذل والخضوع، قال في النهاية: والتكفير: هو أن ينحنيَ الإنسان ويطأطئ رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه[3].
- أما تعريف الكفر في الاصطلاح:
- الكفر: نقيض الإيمان فهو ضد الإيمان الذي هو ستر الحق بالباطل، وكفران النعمة سَترها.
- قال المناوي: الكفر تغطية ما حقُّه الإظهار، والكفران ستر نعمة المنعِم بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة[4].
- وقال الرازي: الكفر عدم تصديق الرسول بشيء مما عُلم بالضرورة مجيئه به.
- وقال آخرون: هو رفض التصديق عن معرفة وإرادة ولو بشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ووصل إلينا بطريق يقيني قطعي[5].

ضوابط الكفر:

1. الإكراه: وهو أن يقع الكفر بغير إرادة منه، فمن يُكره على الكفر، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يَكفُر لقوله تعالى: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ"[6].

   يقول الإمام القرطبي: أجمع أهل العلم على أن من أُكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان[7].
2. الإغلاق على المرء من شدة الفرح أو الحزن: فقد يبلغ الفرح أو الحزن بالإنسان درجة لا يستطيع أن يميز فيها ما يقول فيصدر منه قول ظاهرهُ الكفر، ويستدل العلماء على هذا بالحديث الصحيح الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد آيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هي قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال

---

[3] – النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، 340/4.

[4] – التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، 237/1.

[5] – العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط4، 1988م، ص 615.

[6] – سورة النحل, آية 106.

[7] – تفسير القرطبي، 160/10.

من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)[8]، فلم يؤاخذ بذلك بسبب الفرح الشديد الذي حصل له عند رؤية دابته، فلم يكفر وإن أتى بصريح الكفر لكونه لم يرده.

3. العذر بالجهل: وهذا أصل مُجمَع عليه، فالجهل يُعذر الإنسان به كمن نشأ في بادية أو بلاد بعيدة، أو كان حديث عهد بالإسلام، فإذا صدر منه أمر كفري فلا يحكم بكفره ويُعذر بجهله.
4. العذر بالخطأ: فيُعذر الإنسان إذا صدر بالخطأ أمر كفري، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه)[9].

والخطأ سواء كان بعد الاجتهاد في مسألة معينة أم مَن قصد شيئاً فوقع غيرُ ما قصده فهو معذور، يقول أحد العلماء: وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يُغفر له خطؤه.

5. التكفير حكم شرعي: فهو يثبُت بالشرع وليس بأقوال الرجال، فلهذا كان أهل العلم لا يكفّرون من خالفهم وإن كان المخالِف يكفّرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقِب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك، وليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنى حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يُكفَّر إلا من كفره الله ورسوله[10].
6. الأحكام في الدنيا تجري على الظاهر للعباد، والله يتولى السرائر، أما في الآخرة فعلى ما في علم الله عز وجل، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لم أومر أن أُنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم)[11].
7. عدم تكفير المسلم بمطلق المعاصي والكبائر عند أهل السنة والجماعة، ولا يخلد صاحبها في النار، وإنما أمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء صفح عنه، قال تعالى: "إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء"[12].

---

[8] - أخرجه مسلم 2104/4، رقم الحديث 2747.

[9] - أخرجه ابن ماجة, 659/1، رقم 2045.

[10] - ضوابط التكفير, خالد حسن محمد البعداني، ص 30 .

[11] - رواه البخاري في صحيحه, باب بعث علي بن أبي طالب: 163/5 رقم 4351 .

[12] - سورة النساء, آية 116.

ثالثاً: نشأة التكفير

قد يتساءل الإنسان هل لمسألة التكفير بعد تاريخي أو امتـداد مـذهبي؟ فنقـول: إن لكـل قـوم وارث، وسلف هؤلاء النابتة هم الخوارج.



وهو فكرٌ ضارب بطوله وعرضه في جسم التاريخ الإسـلامي، وأحدثَه عبـد الله بـن سـبأ اليهـودي، أو فقـل: تمخـض عـن الفتنـة التـي اسـتطاع تحريكهـا بأدواتـه مـن: الأوبـاش وهـم السـفلة، الرعـاع ضـد الخليفـة عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه بمـزاعم مختلفة حتى انتهى الأمر بقتله، وهنا برزت على إثـر تلـك الفاجعـة مـا يعـرف بــ (التلـويح بقمـيص عثمان رضي الله عنه)

والمطالبة بدمه الذي وجد فيه سعاة الفتنة مبتغاهم وفرصتَهم الملائمة لإذكاء وإرواء الفتنة وضرب يد الوحدة، والالتفاف حول الدين المتمثل بالرمز وهو السلطان والخليفة والحاكم، لكن جرت الأحداث بين عسكر سيدنا علـي وسيدنا معاويـة رضـي الله عنهمـا علـى النحـو الـذي خططـت لـه بعض العناصـر المدسوسة، واختلط صوت الحق بصوت الباطل، ودُفع الفريقان إلى القتال معاً. وحينما التقى فريق علي بن أبي طالب وفريق معاوية بن أبي سفيان يوم "صفين" واتفقوا على التحكيم، أنكر بعض من كان في جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر التحكيم، وقالوا له: "حكّمتَ الرجال في دين الله، لا حكم إلا لله" ثم صرّحوا بكفره[13].

فهؤلاء المذكورون قد خرجوا على علي بن أبي طالب، وهو إمام قد بايعه أهل الحِل والعَقد وكفّروه، بل بلغ بهم الأمر إلى تكفير عثمان رضي الله عنه، وأصحاب الجمل ومعاوية وأصحابَه، وكلَّ من رضي

---

[13] – الفرق بين الفِرق, عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1984م، ص 74 فما بعد, وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة, عبد الله بن محمد القرني، مؤسسة الرسالة، ط1، 2005م، ص 80.

بالتحكيم، فكانت هذه العناصر الغاضبة هي أول من أظهر في الأمة: التكفير بغير حق حتى غدا شعاراً لهم.

ثم إن تلك العناصر الغوغائية انحازوا بعد رجوع علي رضي الله عنه من صفين إلى منطقة في العراق يقال لها (حروراء)، وتجمعوا هناك وكانوا نحو (12000)، ولم يكن الخيار العسكري لعلي رضي الله عنه – على الرغم من كل ما حدث – هو الحل الأوحد لإرجاعهم إلى صوابهم، فسعى إلى إقناعهم عن طريق المناظرة وإقامة الحجة، فأرسل إليهم عبد الله بنَ عباس رضي الله عنه، فأفحمهم حتى رجع نصفهم، وأغار من بقي منهم على ماشية الناس، واستحلوا دماءهم، وقتلوا عبد الله بنَ خباب بنِ الأرت، ثم دخلوا منزله، وقتلوا ولدَه وجاريتَه أمَّ ولده، ثم عسكروا في النهروان، فسار إليهم علي رضي الله عنه في (400) من أصحابه، فلما قرُب منهم أرسل إليهم: أن أسلِموا قاتلَ عبد الله بنِ خباب، فأرسلوا إليه: أنّا كلنا قتلَهُ، فقاتلهم رضي الله عنه، وقتلهم جميعاً، ولم يفلت منهم إلا تسعة[14].

ولم يقف خطر الخوارج وإجرامُهم عند مناجزة أولياء أمور المسلمين، بل خططوا لقتل الخليفة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه غِيلة، وأوكلوا هذه المهمة لعبد الرحمن بن ملجم الخارجي فقام بهذا الجرم الوخيم.

وبعد أن استتب الأمر لمعاوية رضي الله عنه عام (41) هـ دخل معهم في سلسلة من الحروب، حتى أضعف شوكتهم، لكنهم استمروا بعد ذلك في الامتداد.

وكانت الخوارج أولَ أمرها لم تتجاوز أصولُها مسائلَ معدودة تتمحور حول تكفير بعض الصحابة، واستحلال الدماء، وتكفير مرتكِب الكبيرة، لكن مع الزمن تفرقت بهم السبل حتى أصبحوا من الفرق الكلامية، وأصحاب المقالات[15].

أصبح لهذا الفكر المنحرف مدوناتٌ مذهبية، وطروحاتٌ عقَدية تتمحور حول قضايا: تكفير المجتمعات الإسلامية، حكّاماً ومحكومين، واستحلالِ دمائهم، واعتبار ديارهم ديار حرب، ورتبوا على ذلك وجوب السعي إلى انتزاع السلطة منهم بالقوة ومقاتلتهم، والتصدي بكل قوة لمن يحُول بينهم وبين تحقيق غاياتهم،

---

[14] – الفرق بين الفِرق للبغدادي، ص 73.

[15] – دراسات في الأهواء والفرق والبدع, د.ناصر العقل، دار القاسم، ط1، 1997م، ص 181 فما بعد.

وهو بالتحديد ما تبينه جماعات العنف المعاصرة، والجذور التاريخية لفكر التكفير المعاصر لا تربطهم بالخوارج من حيث التصورات والمناهج فقط بل إن المرء ليكاد يجزم بالتطابق أو على الأقل بالتوافق بينهما من حيث (التركيبة النفسية) و(طريقة التفكير) التي أججت فيهم مشاعر الانتقام العارمة والنظرة السوداوية لكل مَن حولهم، وجعلتهم عناصر تخريب موقوتهة تنتظر الانفجار في كل لحظة.

ولسنا في هذه العجالة بحاجة إلى أن نعرّج على امتداد التاريخ لفئة الخوارج بأكثر مما هنا، فالجميع قد سمع عبر وسائل الإعلام المختلفة عن (جماعة الهجرة والتكفير) و(الناجون من النار) و(القاعدة) والتي تلتقي جميعها، وتتفق حول نقطة واحدة تُعد في نظر الدارسين اجتراراً لمنهج الخوارج الأول، وهي[16]:

- وجوب الخروج عن أئمة المسلمين بالسلاح.
- ونزع اليد من طاعاتهم.
- وتكفيرهم.
- وعدم جواز الجهاد معهم.
- ولا الصلاة خلفهم.
- وعدم مشروعية الدعاء لهم.
- وقد يتجاوز البعض منهم فيسحبون الحكم بالتكفير على (دور المسلمين) ويجعلونها دور حرب، مع استحلالهم لدمائهم وأموالهم ونسائهم.

[16] – الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992 م.

رابعاً: أسباب التكفير في العصر الحاضر



يمكن إجمال أسباب التكفير في العصر الحاضر بالأسباب التالية:

1. الاضطهاد السياسي.
2. فقدان الثقة بالعلماء الرسميين.
3. الخلط بين الكفر الأصغر (كفر الأعمال) والكفر الأكبر (كفر الاعتقاد)[17].
4. قلة المعرفة بتعاليم الدين وقيمه والنظرة السطحية إليه من أسباب نشوء وانتشار ظاهرة التكفير، وهذا ما يجعل من صفة الجهالة أو السطحية من السمات الملازمة للحركات التكفيرية، كما هو الحال في فرقة الخوارج التي كفّرت مرتكب الكبيرة، وكذا كل من لم يقل بمقالتها.
5. اتباع الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وذلك في تكفير المخالف وذمه والقدح في عرضه بالكفر من دون بصيرة وعلم ومنهج سليم.
6. اتباع مذاهب الفرق المنحرفة كالخوارج الذين يكفّرون أهل الكبائر وأصحاب المعاصي ويستحلون دماءهم، وتقليدُهم الأصاغر في العلم والدين في إطلاق الكفر على الدول والمجتمعات والأفراد.
7. عدم الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والأخذ ببعض النصوص دون بعض، أو الأخذ بالمتشابِهات وترك المحكَمات أو الأخذ بالجزئيات وترك القواعد الكلية[18].

---

[17] – التكفير جذوره, أسبابه, د.نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المنارة عمان، ط2، 1986م، ص 39.

[18] – ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة, عبد الله بن محمد القرني، ص 155.

خامساً: علاج التكفير

هناك طرق كثيرة لعلاج ظاهرة التكفير منها:

1. ألا نواجه التكفير بتكفير مضاد: لأن ذلك لا يحل المشكلة ولا يغير قناعة، فإن الخلق الإسلامي يأبى عن مواجهة الشتيمة بمثلها والسيئة بأختها، وإنما يدعونا إلى الإغضاء والصفح والدفع بالتي هي أحسن، قال تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم"[19].
2. رفع أسباب التكفير : بمعنى دراسة أسباب التكفير ومعرفة منطلقاته كمقدمة ضرورية لمعالجتها والتخلص منها، فربما كانت الأجواء السياسية والأمنية والاقتصادية مؤثرة في الأفكار التكفيرية، وطريق المعالجة في هذه الحالة ينحصر في رفع تلك الموانع وإزالة تلك الأسباب، أما لو كانت أسباب التكفير ثقافية، فالمشكلة هنا صعبة، وعلاجها أشد صعوبة، ففي هذه الحالة يكون لزاماً علينا مواجهة الفكر التكفيري ومقارعته بالحجة والبرهان لا بالسجن والسنان، لأن دروس التاريخ علمتنا أن السيف يَقمع ولا يُقنع، والسجن يعالج المشكلة من الخارج ولا يعالجها من الداخل[20].
3. تعزيز ثقافة التسامح: ونشر رسالة المحبة على احترام الآخر في نفسه وماله وعرضه، ورعاية حقوقه وحفظ إنسانيته، وكف الأذى عنه مادام لا يتحرك بالظلم والعدوان، قال تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين"[21].

وأظن أهم قيمة يجدر بنا التبشير بها والدعوة إليها بعد تأصيلها وتنظيمها هي (حق الاختلاف) بين بني البشر، لأن التكفير ينبت وينمو في أجواء القمع والاستبداد ويتحرك في ظل أحادية الرأي والفهم التي يراد فرضها على الآخرين ومصادرة حقهم في الاختلاف.

---

[19] – سورة فصلت, آية 34.

[20] – الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير, حسن الخشن، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص 268, التكفير والهجرة وجهاً لوجه, رجب مدكور، مكتبة الدين القيم، ط1، 1985م، ص 150 فما بعد.

[21] – سورة الممتحنة, آية 8.

سادساً: التحذير من التكفير



إن مسألة التكفير للحكام والمحكومين هي فتنةٌ عظيمة قديمة، تبنتها فرقة من الفرق الإسلامية القديمة، وهي المعروفة بالخوارج، ومع الأسف فإن البعض من الدعاة قد يقع في الخروج عن الكتاب والسنة ولكن باسم الكتاب والسنة، والسبب في هذا يعود إلى أمرين:

الأول: ضحالة العلم، والثاني: عدم التفقه بالقواعد الشرعية.

ومن هنا ضلت جماعات كثيرة قديماً وحديثاً لأنهم لم يكتفوا بعدم التزام سبيل المؤمنين فحسب، لكن ركبوا عقولهم واتبعوا أهواءهم في تفسير الكتاب والسنة، ثم بنَوا على ذلك نتائج خطيرة جداً.

وإن أصل فتنة التكفير في هذا الزمان وغيره، آية يدندنون حولها دائماً، ألا وهي قوله تعالى: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"[22]، فيأخذوها من غير فهم عميق، ويوردونها بلا معرفة دقيقة.

لذا لم نرَ من نتائج أعمالهم الطائشة إلا الفتن العمياء، وتقهقرَ الدعوة، وتشويه الإسلام، والتضييقَ على أهله.[23]

وإن ما نشاهده كل يوم من قتل وتفجير وإفساد في الأرض من بعض الجماعات المنحرفة والفرق الضالة التي تدّعي تطبيق الإسلام زوراً وبهتاناً من أهم أسبابه هو التكفير لأهل المعاصي وأصحاب الكبائر واستحلال الدماء، والمتأمل في شرعنا الحنيف يجد أن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، وقد حرم

---

[22] – سورة المائدة, آية 44.

[23] – التحذير من المجازفة بالتكفير, السيد محمد علوي المالكي، ط2، 1420، ص 10 فما بعد.

الإسلام الاعتماد على المسلم بشتى أنواع الاعتداءات ومنها تحريم التكفير والنهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"[24].

[24] – رواه مالك في الموطأ, باب ما يُكره من الكلام 1433/5، رقم 3606, والبخاري في صحيحه, باب من كفّر أخاه 26/8, رقم 6104.

خلاصة:

إن التكفير ظاهرة مرضية ساعد على إيجادها عصبية مسرفة، وكان من أسبابه: الاضطهاد وفقدان الثقة بالعلماء.

ولا بد من علاج التكفير برفع أسبابه وتعزيز ثقافة التسامح ونشر رسالة المحبة والتأكيد على احترام الآخرين، والتحذير من هذا الداء الخطير.

وهناك العديد من التعريفات للتكفير والعديد من الضوابط.

للتكفير أسباب عديدة منها: الاضطهاد السياسي، فقدان الثقة بالعلماء الرسميين، الخلط بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر، قلة المعرفة بتعاليم الدين، اتباع الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه، اتباع مذاهب الفرق المنحرفة كالخوارج، عدم الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

هناك طرق كثيرة لعلاج ظاهرة التكفير منها: ألا نواجه التكفير بتكفير مضاد، رفع أسباب التكفير، تعزيز ثقافة التسامح.

إن التسرع في التكفير له خطره العظيم لما فيه من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، فهذه الأعمال وأمثالُها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين، وهتكٍ لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وهتكٍ للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وحفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانَهم وحرّم انتهاكها وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقال في خطبة حجة الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"[25].

---

[25] – رواه البخاري 24/1، رقم 67.

التمارين:

1. عرف التكفير واذكر ضوابطه.
2. تحدث بالتفصيل عن نشأة التكفير.
3. عدد أسباب التكفير في العصر الحاضر.
4. اذكر طرق علاج التكفير.
5. اختر الإجابة الصحيحة:

من ضوابط التكفير:

A. العذر بالجهل.
B. اتباع الهوى.
C. تعزيز ثقافة التسامح.

الإجابة الصحيحة: **A** العذر بالجهل

6. اختر الإجابة الخاطئة:

من طرق علاج التكفير:

A. أن نواجه التكفير بتكفير مضاد.
B. رفع أسباب التكفير.

الإجابة الصحيحة: **A** أن نواجه التكفير بتكفير مضاد.

المراجع

1. الفرق بين الفِرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، ط2، 1984م.
2. ضوابط التكفير عند أهل السنة، عبد الله بن محمد القرني، مؤسسة الرسالة، ط1، 2005م.
3. دراسات في الأهواء والفرق والبدع، د. ناصر العقل، دار القاسم، ط1، 1997/1418.
4. التكفير جذوره وأسبابه، د.نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المنارة، ط2، 1986/1406.
5. الإسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير، حسين الخشم، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م.
6. التكفير والهجرة وجهاً لوجه، د.رجب مدكور، مكتبة الدين القيم، ط1، 1985/1405.
7. التحذير من فتنة التكفير، السيد محمد علوي المالكي، ط1، 1420هـ.
8. الموطّأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985/1406.
9. تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الهداية، ط1، 2000م.
10. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط1، 1975م.
11. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422.
12. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، 1985م.
13. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى

    الباب الحلبي، القاهرة، ط1، 1970م.
14. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، ط1، 2003/1423.
15. العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط4، 1988م.
16. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983/1403.
17. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979/1399.

الوحدة التعليمية الثامنة

التفجيرات والتهديدات التي تواجه الآمنين

أهمية الوحدة الثامنة:

إن جوهر وجود الرسالات السماوية هو إقامة مجتمع آمن مستقر مطمئن على مستوى الفرد والمجتمع، ومن هنا تنبع أهمية البحث.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعدد أسباب التفجيرات والتهديدات التي يتعرض لها العالم.
2. يبين النتائج التي تترتب على التفجيرات والتهديدات.
3. يحدد وسائل الوقاية من التفجيرات والتهديدات.
4. يبين حكم الجناة بأحداث التفجيرات والتهديدات.

الكلمات المفتاحية:

أسباب – الأوضاع – الظلم – الولاء – الأجنبي – الجهل – الفقر – انحسار – التشدد – الفكر – التفجيرات – مباشرة – غير مباشرة – الاستعمار – إهدار – الوقاية – وسائل – الواعية – الفتاوى – الجناة – الحكم.

أولاً: مقدمة



حرم الإسلام كل أنواع الفساد والأذى والضرر الواقع على المواطنين بأشخاصهم وعائلاتهم وممتلكاتهم، وعلى مرافق الدولة من جسور ومبانٍ ومصانع، ووزارات ومؤسسات، ومكتبات وحدائق، واختطاف طائرات، وقصف منشآت، ونشر الرعب في الأحياء الآمنة والشوارع والمحال التجارية، وما قد يتعرض له الموظفون والعمال من قتل عمدي مقصود أو خطأ غير مقصود، لأن الأسلحة الحديثة الرهيبة من بنادق ومدافع وقنابل إنما هي مصنوعة لمحاربة الأعداء والمحتلين، لا أن توجه ضد المواطنين وإرهابهم ونشر الذعر في أوساطهم، كل ذلك يسأل عنه القتلة وسفاكو الدماء والمخربون سواء في الدنيا بالقصاص في القتل العمد أو الإلزام بالدية أم في الآخرة بالعذاب في نار جهنم.

ثانياً: أسباب التفجيرات والتهديدات الحالية:

إن أسباب التفجيرات والتهديدات التي يتعرض لها هذا العالم الذي نعيش فيها كثيرة منها[1]:

1. سوء الأوضاع السياسية والأحوال الاقتصادية:

يلجأ بعض الشباب المتحمسين إلى إحداث التفجيرات بسبب سوء الوضع السياسي والاجتماعي، وهزيمة الأمة الإسلامية في مواجهة أعدائها، وتسلط المتكبرين على البلاد والثروات، ومختلف أنواع الطاقات والإمكانات، وتدخل هؤلاء في شؤون الأمة وقضاياها العَقَدية والفكرية، ومحاولة تغيير مناهجها التربوية، واحتلال بعض أجزاء البلاد، مما أشعر المسلم بالذل والهوان والضعف، وجعل السيادة للدول الكبرى وتسليط جيشها على المواطنين قتلاً ونهباً وسلباً، ما جعلهم يبدؤون بالإرهاب ويزعمون أنهم يحاربونه، وهم صانعو الإرهاب وموجدوه.

وتقف الدولة المسلمة موقف المتفرج مما يعرضها للوم والعتاب، ويكون التفجير في زعم أصحابه ذريعة للتنفيس، وحمل الدولة على أن يكون موقفها أقوى وأحزم وأصون لكرامة المواطن المسلم أو العربي.

كما أن سوء الوضع الاقتصادي، وانتشارَ البطالة، وسوء توزيع الدخل، واستغلالَ النفوذ، وارتفاع الأسعار، ووجود الطبقية تدفع هؤلاء المخربين إلى ممارسة نوع من أنواع رد الفعل، وإحداث البلبلة والذعر لتحريك السلطة السياسية أو الحكومة لطرد العدو، والحد من تدخله.

وكان التدمير والتفجير ظاهرة سوء ونذير شر، وضمَّ مصاب على مصاب، إذن لا بد من إعداد العدة الملائمة والمكافئة لما هو موجود عند العدو لقوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة"[2].

ولا يكون الإصلاح بشهر السلاح والتدمير الداخلي، وهو الأسلوب الذي جاءنا من الغرب، وإنما بأسلوب المصارحة والمواجهة والمشاورة والمناصحة[3].

– الإرهاب الدولي – دراسة قانونية ناقدة، د.عزيز شكري، دار العلم للملايين، 1991م، ص 204 فما بعد.[1]

– سورة الأنفال, آية 60.[2]

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 377-378.[3]

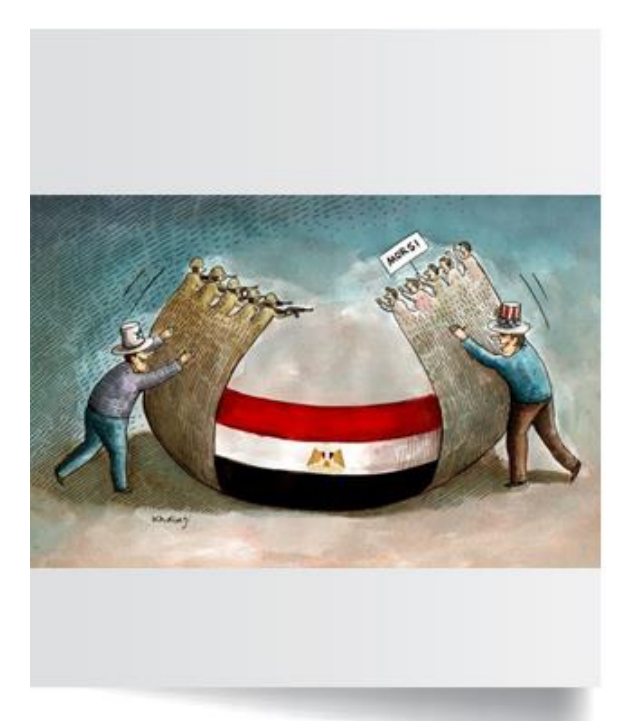
2. الظلم الاجتماعي:

إن الظلـــم الاجتمــاعي رديــف الظلـــم السياســـي والاقتصادي، فإن أغلب أنظمة الحكم تفتقد وجود الحريـات الأساسـية فيهـا وأخصـها كرامـة الإنسـان، وتعتمد على القهر وكمّ الأفواه، والبطش والاستبداد، وانعـدام الشـورى، ويسـود زواياهـا الفقـر والمسـكنة والحاجـة، ولا شــيء فيهـا ممـا يسـمى فـي الإسـلام بالتكافـل الاجتمـاعي بـين الأغنيـاء والفقـراء، ممـا يؤدي إلى كثرة الجرائم واللصوصية والغش والرشوة وغيرها.



فالعـدل السياســي والقضــائي، وتحقيــق المســاواة، وإطــلاق الحريــة المنظمــة لا الفوضــوية، وإحقــاق الحق، ورفـع لـواء العدل فـي القضـاء وعدالـة توزيـع الثروة، كل ذلك يؤدي إلى إشاعة الأمن والاستقرار وتجفيـف أو استئصـال الجريمـة لوصـول كـل واحـد إلى حقه غير مظلوم ولا مقهور.

3. الولاء للعدو وتسهيل التدخل الأجنبي:



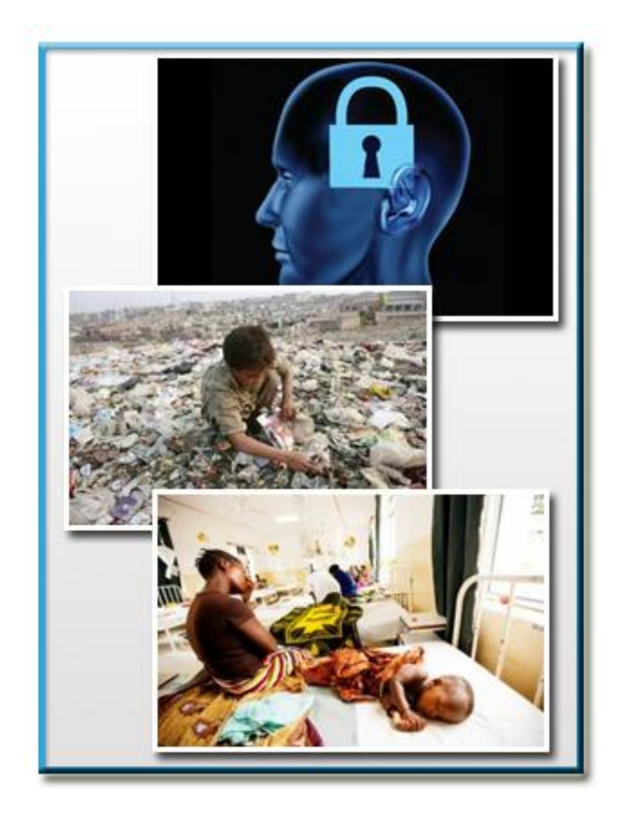
إن عزة الوطن وكرامته وقوتَه بأن تكون موارده وقراراته وسلطاته بأيدي أهله، لا بأن يكون الولاء لغير المسلمين بطريق سرية أو علنية، حيث لا يستقل أهل البلد بإصدار قرار حاسم أو حيوي فيه، ولا يمتلك مواطنوه موارده وثرواتِه الظاهرة والباطنة، ولا يكون لهؤلاء المواطنين إلا التنفيذ والانصياع لأوامر العدو الذي يملي عادة قراراته بأساليب مختلفة.

أدى ذلك كله إلى أن تصير كل مفاهيم حقوق الإنسان بالمعنى الغربي كشعارات فقط، ومضامين الشرعة الدولية في إقرار نضال الشعوب للتحرر من الهيمنة الاستعمارية والسيطرة الاجنبية بمختلف الوسائل معطلة، بسبب تدخل أمريكا السافر في شؤون العالم الإسلامي والعربي، ثم ألصقوا مصطلح الإرهاب بالمسلمين والعرب[4].

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 380 –389.[4]

4. الجهل والفقر والمرض:

إن من أسباب اللجوء إلى حوادث التفجير والتهديد وجودَ ظاهرة الثالوث الهدام وهي:



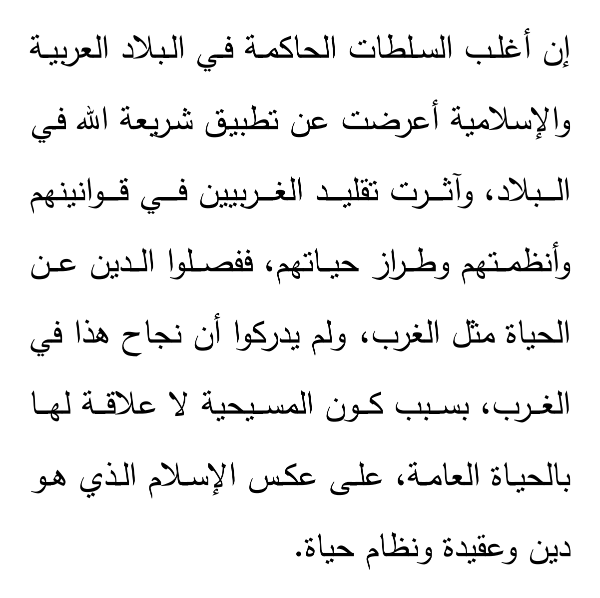
1. الجهل بأحكام شرع الله، وسوء فهم متطلبات الحضارة والتقدم، ومراعاة بعض الظروف الداخلية والدولية.

2. ووجود ظاهرة الفقر والحرمان لدى بعض الناس الذين هم لايزالون تحت خط الفقر، مما يجعلهم يسترخصون الحياة في سبيل إثبات الذات.

3. توافر حالة المرض المعقد أو المستعصي وعدم تهيؤ فرص العلاج وغلاء الأجور، أو الحاجة إلى العلاج في الخارج.

ولا بد حينئذ من تجاوز هذه الظواهر بتعليم الجهال، وفتح المدارس في كل مكان، ومحو الأمية، وتهذيب المشاعر والوجدانيات، وإغناء المحتاج ومساعدة الضعفاء، وعلاج المرض حتى يصبحوا أصحاء أقوياء، فيتم تجاوز مرحلة الإحباط عند هؤلاء المتورطين بهذه الحوادث الدامية والمختلفة.

5. انحسار تطبيق الشريعة الإسلامية:



إن أغلب السلطات الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية أعرضت عن تطبيق شريعة الله في البلاد، وآثرت تقليد الغربيين في قوانينهم وأنظمتهم وطراز حياتهم، ففصلوا الدين عن الحياة مثل الغرب، ولم يدركوا أن نجاح هذا في الغرب، بسبب كون المسيحية لا علاقة لها بالحياة العامة، على عكس الإسلام الذي هو دين وعقيدة ونظام حياة.

أدى هذا إلى تنامي الشعور لدى المسلمين بوجوب العودة إلى تطبيق شرع الله، فتحمست فئة من الشباب أعلنت إصرارها على تطبيق هذا المطلب، واستبد الحماس بتلك الفئة من الشباب، فوقعوا في مصادمات قتالية مع رجال الأمن والجيش أحياناً، فكان عدم تطبيق الشريعة في أغلب البلاد الإسلامية هو محور التحركات المريبة، والتصرفات الشاذة والقيام بالتهديدات والتفجيرات والاغتيالات في عواصم البلاد وأهم المدن.

6. التشدد في الدين والتكفير وانحراف الفكر:

إن الذين يجنحون إلى ما يسمى بالإرهاب أو الأعمال التخريبية وإلقاء المتفجرات قوم ذوو فكر محدود، وعقل ظاهري، وبعد عن سماحة الإسلام بمعطياته الشاملة، فهم فئة متشددة في الدين وتصوره لاعتقادهم بأن الإسلام يجب فرضه في الواقع، وهذا خطأ كبير، فإن الله تعالى لم يكلفنا بذلك، وإنما نهى عن الإكراه فقال: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"[5].

ولا يُعتد بتكفير الدولة لأنها شخص معنوي، ويحرّم تكفير رئيس أو غيره إلا بدليل صريح وصحيح أو إعلان كفر لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتال الفساق بقوله: (إلا أن تروا كفراً بواحاً أي ظاهراً عندكم من الله فيه برهان)[6].

ويحرم ما يترتب على ذلك من استحلال دماء الآخرين[7].

هذه أهم الأسباب التي تؤدي إلى التفجيرات وغيرها، لأن أمريكا اليوم هي وراء الإرهاب الذي تعلن الحرب عليه، إنها توجده لمسوغات أو موازنات بالتواطؤ مع بعض الأشخاص يكون لهم صفة القيادة والمحرضين، ثم سرعان ما تتخلى عنهم.



---

[5] - سورة البقرة, آية 256.

[6] - رواه البخاري في صحيحه.

[7] - قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 385.

ثالثاً: آثار التفجيرات والتهديدات[8]

إن ظاهرة التفجير والتهديد ظاهرة خطيرة يترتب عليها نتائج وآثار بعيدة منها:

إحداث الرعب والخوف في قلوب الناس، واضطراب السلطة، واهتزاز الثقة، واستنفار رجال الأمن، وكل ذلك يكلف الدولة والمجتمع تكاليف باهظة لا تحقق جدوى، وإنما هي خسارة محققة.

هذه آثار مباشرة، وهناك آثار غير مباشرة منها:

1. إحداث تصدع أو ثغرة خطيرة في حياة الأمة، وقلب موازينها، فيهرع رجال المال إلى تهريب ثرواتهم إلى الخارج، فيستفيد منها الأجانب، وتضرب أوضاع الأسواق المالية لعدم توافر الثقة وامتناع الناس من التعامل.
2. تفريق أبناء المجتمع بين معارض ومؤيد، وصديق وعدو، وتجزئة البلاد وتهديم ما بناه الكل، وهذا يخل بوحدة الأمة التي تحتاج في كل وقت إلى أن تكون قوية متعاونة في السراء والضراء.
3. إضرار الأمة والدولة والأفراد أضراراً متلاحقة ومتباينة حسب خطورة التفجير والتهديد، كما يترتب على ذلك إضعاف الدولة أمام الأعداء.
4. غرس الكراهية والبغضاء، وترويج الإشاعات المغرضة والأكاذيب التي تؤدي إلى اهتزاز الأوضاع، واختلال المعايير السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
5. إهدار حقوق المجتمع وحقوق الإنسان، فكل منهم حريص على العيش بأمان في منزله وأسرته، وتجارته وزراعته وصناعته، لأن اختلال الأمن يؤدي إلى تجميد الأوضاع وتردي الاحوال، وأزمة الاقتصاد، والإنذار بمشكلات عديدة.
6. خدمة أغراض الأستعمار والأعداء الذين يريدون زعزعة الاستقرار، وإحداث البلبلة في البلاد العربية والإسلامية لإضعافها وتعطيل مصالحها، وعدم ترك الفرصة لها في التفكير بقضايا الأمة الكبرى، ومواجهة مخططات العدو وإحباطها، والعمل على إحداث هزات وأزمات اقتصاد تحتاج سنوات لتجاوزها.

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 386-399.[8]

رابعاً: وسائل الوقاية من هذه التفجيرات والتهديدات[9]

تتعدد وسائل الوقاية من جريمة هؤلاء الإرهابيين والمخربين بحسب نوع الجريمة شدة وضعفاً، وأهم طرق الوقاية من جريمة التفجير والتهديد ما يلي:

1. المبادرة إلى تحاشي أو إزالة الأسباب المؤدية إلى الجريمة، وذلك بعد محاولة معرفة تلك الأسباب من بعض الجناة أو كلهم، والاطلاع على مدى الإخلاص وحسن النية وسوئها، ففي الحالين يجب العمل على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، لأن شأن المسلم حاكماً كان أو غيره أن يلتزم هذا المبدأ.
2. بيان فداحة الضرر العام والخاص الذي يصيب الدولة والأمة والمجتمع والأفراد من جراء التفجير والتخريب والتدمير، فإن الجناة يدركون أن أسلوب العلاج للأخطاء لا يتحقق بهذا السلوك الشائن الذي يسلكونه، فإن كانوا صالحين وأهدافهم نبيلة سرعان ما تحقق النفع بالمصارحة والمباشرة دون اللجوء إلى العنف.
3. التربية الواعية الهادفة المبرمجة، والمخطط لها من جماعة من أهل العلم والصلاح والخبرة والإفادة من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ليعرف المجتمع مدى فداحة هذا السلوك الإجرامي، فلا يتجرأ أحد على الانضمام إلى الجانحين أو التعاطف معهم أو إيوائهم، أو مساعدتهم على الفرار، أو تخبئة السلاح عندهم.
4. العمل على استئصال ومحاربة كل ألوان الفتاوى الشاذة، والتي لا تعتمد على أصول الشريعة ومقاصدها، وتزييف ما قد يكون فيها من انحراف عن نهج الاسلام الصحيح، وضرورة فهم أصول الفتوى، وإدراك مقاصد الشريعة.
5. التعمق في فهم الإسلام والتفقه في الدين القائم على الحق والاعتدال والوسطية والتسامح.
6. إذا كانت الشكوى من خلل في الاقتصاد وتسبب في وجود الفقر، فيجب إزالة أسباب هذه المشكلة، ووضع برامج تقضي عليها.

والعلاج سهل في الإسلام إما عن طريق اللجوء إلى قوانين وأنظمة التكافل الاجتماعي الشامل، أو عن طريق تهيئة ظروف العمل، وتصفية البطالة وأوكارها، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع دون انحياز

---

[9] – قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 391-394.

لمصالح فئة أو تجمع أو حزب، كذلك لا بد من العمل على إنقاذ وحل مشكلات الشباب والفتيات بالزواج والوظائف المناسبة أو الأعمال المفيدة.

حكم الجناة بإحداث التفجيرات والتهديدات:

- أما الحكم الأول: فهو التحريم والتجريم في تقدير الشريعة والقانون، أي أن هذه التفجيرات والتهديدات تعد جريمة كبيرة من جرائم أمن الدولة المباشرة أو المتسببة في الضرر.
- وأما الحكم الثاني: فهو في الشريعة الإثم والعصيان، لأن فعل هؤلاء الجناة بالتفجير والتهديد معصية كبيرة، يأثم ويفسق فاعلها، ويحاسَب عليها في الدنيا.
- وأما الحكم الثالث: فهو في فقهنا الإسلامي استحقاق العقاب بحسب جسامة الجريمة، وحكم هؤلاء كما تقدم حكم المحاربين، من حبس وقتل وصلب، أو من غير صلب، وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، فمن اقتصر فعله على التهديد والارهاب والوعيد الشديد يجازى بالحبس، ومن قتل قُتل، ومن قتل وأتلف الممتلكات العامة والخاصة أو نهبها أو سرقها يُقتل ويصلب، ومن اعتدى على الأعضاء قطعاً وجرحاً تقطع يده ورجله من خلاف[10].

[10] – قضايا الفقه المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 389.

خلاصة:

إن مظاهر التفجير والتهديد في هذا العالم الذي نعيشه ظاهرة خطيرة تترتب عليها آثار ونتائج سيئة في الحاضر والمستقبل، كإحداث الرعب واهتزاز الثقة.

من أسباب التفجيرات: سوء الأوضاع السياسية والأحوال الاقتصادية، الظلم الاجتماعي، الولاء للعدو وتسهيل التدخل الأجنبي، الجهل والفقر والمرض، انحسار تطبيق الشريعة الإسلامية، التشدد في الدين والتكفير وانحراف الفكر

هناك آثار مباشرة للتفجير وهي: الخراب وتفريق المجتمع وإهدار حقوق الإنسان.

هناك آثار غير مباشرة للتفجيرات: إحداث تصدع أو ثغرة خطيرة في حياة الأمة، تفريق أبناء المجتمع بين معارض ومؤيد، إضرار الأمة والدولة والأفراد، غرس الكراهية والبغضاء، إهدار حقوق المجتمع وحقوق الإنسان، خدمة أغراض الأستعمار والأعداء الذين يريدون زعزعة الاستقرار.

تتعدد وسائل الوقاية من التفجيرات وهي: المبادرة إلى تحاشي أو إزالة الأسباب المؤدية إلى الجريمة، بيان فداحة الضرر العام والخاص الذي يصيب الدولة والأمة، التربية الواعية الهادفة المبرمجة، العمل على استئصال ومحاربة كل ألوان الفتاوى الشاذة، التعمق في فهم الإسلام والتفقه في الدين.

تمارين:

1. عدد أسباب التفجيرات التي يتعرض لها العالم.
2. اذكر وسائل الوقاية من التفجيرات التي يتعرض لها العالم.
3. اذكر آثار التفجيرات والتهديدات التي يتعرض لها العالم.
4. اختر الإجابة الصحيحة:

من أسباب التفجيرات:

A. الظلم الاجتماعي.
B. إهدار حقوق المجتمع والإنسان.
C. التعمق في فهم الإسلام.

الإجابة الصحيحة: A الظلم الاجتماعي

5. اختر الإجابة الخاطئة:

من وسائل الوقاية من التفجيرات:

A. التربية الواعية الهادفة المبرمجة.
B. الولاء للعدو.

الإجابة الصحيحة: B الولاء للعدو.

المراجع:

1. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422.
2. قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط1، 1427هـ/2006م.
3. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
4. الذخيرة، أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الشهير بالقرافي، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.
5. الإرهاب الدولي، د.محمد عزيز شكري، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

الوحدة التعليمية التاسعة

الفساد

أهمية الوحدة التاسعة:

نظراً لخطورة الفساد على الفرد والمجتمع كان لا بد من إلقاء الضوء على هذه الوحدة وفق الأهداف المترتبة على دراستها.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف الفساد.
2. يعدد أهم أنواع الفساد.
3. يبين مظاهر الفساد ومؤشراته.
4. يعدد طرق الوقاية من الفساد في الشريعة الإسلامية.
5. يبين أهم صور الفساد.

الكلمات المفتاحية:

الفساد – حالات – أنواع – العَقدي – الأمني – الاقتصادي – الصغير – الكبير – مظاهر – الرشوة – المحاباة – المحسوبية – مؤشرات – الوقاية – صور الفساد – النفاق – الحرابة – البغي – معالجة – حكم – الشفافية – الديمقراطية – الإسلامية – إيذاء – الوظائف – الكريمة – الوازع – الرقابة – الفاحش.

اولاً: مقدمة

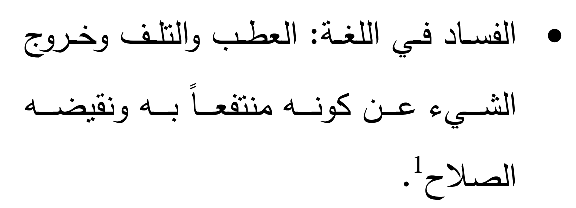


الفساد آفة خطيرة استشرى لهيبها، وانتشر داؤها في العالم المعاصر ولاسيما العالم الإسلامي والعربي، فشلَّ وضرب أركان النهوض والتنمية، فساهم في تراجعها وتقهقرها في سلم مؤشر التنمية البشرية، فأضحت الدول العربية والإسلامية في ذيل القائمة، سواء على مستوى الاقتصاد أم التعليم أم الصحة أم الإدارة.

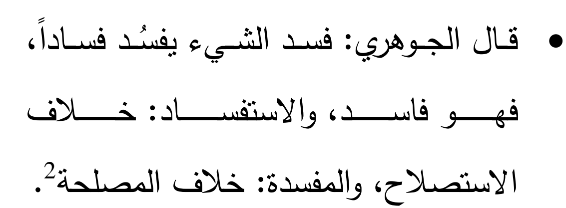
إن منشأ هذا كلِّه إنما هو الفساد وصوره المتعددة، فيحتاج ذلك إلى دراسة هذه الظاهرة، والإسهام في إزالتها.

ثانياً: تعريف الفساد وأنواعه

تعريف الفساد لغةً واصطلاحاً:



- الفساد في اللغة: العطب والتلف وخروج الشيء عن كونه منتفعاً به ونقيضه الصلاح.[1]



- قال الجوهري: فسد الشيء يفسُد فساداً، فهو فاسد، والاستفساد: خلاف الاستصلاح، والمفسدة: خلاف المصلحة.[2]



- وفسد الشيء فساداً وفُسوداً: نقيض صَلَحَ، فهو فاسد.
- الفساد في الاصطلاح القانوني: هو سوء استغلال السلطة من أجل تحقيق المكاسب والمنافع الخاصة.

أما اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لسنة 2003 فإنها لم تتطرق إلى تعريف الفساد لكن حرّمت حالات الفساد التي حددتها في:



- رشوة المواطنين العموميين الوطنيين.
- إساءة استغلال الوظائف.
- الإثراء غير المشروع.
- المتاجرة بالنقود.
- اختلاس الممتلكات أو تبديدها أو تسريبها بشكل آخر من طرف موظف عمومي.
- إعاقة سير العدالة.

والفساد عموماً ظاهرة مركبة ومعقدة تشمل الاختلالات التي تمس الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي.

– كتاب العين للفراهيدي, مادة (فسد)، 231/7.[1]

– الصحاح تاج اللغة, الجوهري، مادة (فسد)، 519/2.[2]

أنواع الفساد:

يتخذ الفساد أشكالاً مختلفة ومتعددة لعل من أبرزها:

1. الفساد العَقدي:

وهو فساد الاعتقاد الذي هو أساس كل فساد، فسعي الإنسان تَبَع لمعتقده، فإذا كان المعتقد فاسداً كان السعي فاسداً، وإذا كان المعتقد صحيحاً صلح سعيه، قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُون"[3].

2. الفساد الأمني والاجتماعي:

الأمن أساس النعم، ومن فقد الأمن لا يشعر بسائر النعم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمناً في سربه[4]، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)[5].

3. الفساد السياسي:

والذي يعبر عنه بأنه إساءة استعمال السلطة العامة لتحقيق مكسب خاص[6].

4. الفساد الأخلاقي.

5. الفساد الاقتصادي:

يتمثل في جرائم الشركات، سواء الوطنية أم الأجنبية التي تستغل تفشي البطالة في العالم العربي في الاستغلال البشع لليد العاملة، أو الجرائم الاقتصادية التي ترتكبها مافيا شركات الجنسيات.

---

[3] – سورة البقرة, آية 11–12.

[4] – سربه: أي في نفسه.

[5] – رواه البخاري في الأدب المفرد, باب من أصبح آمناً في سربه 113/1، رقم 300, وابن ماجة باب القناعة 1387/2، رقم 4141.

[6] – تقرير عن التنمية في العالم 1998م, البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ص 112.

6. الفساد المالي:

ويقصد به كل المعاملات المالية والاقتصادية المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها، وتؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل وإلى عدم استقرار المجتمع، وإلى الحياة الضنك لطبقة الفقراء والمعوزين، ومن في حكمهم[7].

أما أنواع الفساد من حيث الحجم، فيمكن التمييز بين:



- الفساد الصغير (فساد الدرجات الوظيفية الدنيا): وهو الفساد الذي يمارَس من فرد واحد دون تنسيق مع الآخرين، لذا نراه ينتشر بين صغار الموظفين عن طريق استلام رشاوى من الآخرين.



- الفساد الكبير (فساد الدرجات الوظيفية العليا من الموظفين): والذي يقوم به كبار المسؤولين والموظفين لتحقيق مصالح مادية أو اجتماعية كبيرة، وهو أهم وأشمل وأخطر لتكليفه الدولة مبالغ ضخمة.

---

[7] – الفساد المالي أسبابه وصوره وعلاجه, حسين حسين شحاتة, مجلة الوعي الإسلامي، العدد 552، ص 27.

ثالثاً: مظاهر الفساد ومؤشراته

مظاهر الفساد:

من أبرز مظاهر الفساد في العالم العربي هي[8]:

1- الرشوة:

أي الحصول على أموال أو أي منافع أخرى من أجل تنفيذ عمل مخالف لأصول المهنة.

2- المحسوبية:

أي تفضيل جهة على أخرى في الخدمة بغير حق للحصول على مصالح معينة.

3- المحاباة:

أي التدخل لصالح فرد ما أو جماعة دون الالتزام بأصول العمل والكفاءة اللازمة، مثل: تعيين شخص في منصب معين لأسباب تتعلق بالقرابة أو الانتماء على الرغم من كونه غير كفء.

4- نهب المال العام:

أي الحصول على أموال الدولة والتصرف بها من غير وجه حق بشكل سري تحت مسميات مختلفة.

5- الابتزاز:

أي الحصول على أموال من طرف معين في المجتمع مقابل تنفيذ مصالح مرتبطة بوظيفة الشخص المتصف بالفساد.

6- غسيل الأموال:

هي عملية إخفاء المصدر غير القانوني لهذه الأموال وتحويلها أو دمجها في الاقتصاد المشروع.

---

[8] – الفساد: أسبابه وطرق مكافحته, أحمد أبو دية, إشراف د.عزمي الشعيبي، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة، طبعة أمان، القدس، 2004م، ص 3 فما بعد, ظاهرة الفساد، د.مولاي المصطفى البرجاوي، شبكة الآلوكة الثقافية، ص 8.

مؤشرات الفساد:

إن مؤشرات الفساد تظل واضحة المعالم، تنتشر وتتفشى داخل المجتمع، ويتجسد ظهورها بصيغ وهيئات مختلفة تتمثل في:[9]



1- شيوع ظاهرة الغنى الفاحش والمفاجئ في المجتمع.

2- شيوع ظاهرة الرشوة لدرجة تصل فيها إلى جملة المستمسكات المطلوبة في أي معاملة.

3- غياب مبدأ تكافؤ الفرص في شغل الوظائف.

4- ضعف الرقابة –أجهزة وأداءً ودوراً –أو ظهورُها بشكل شكلي مع إهمال نتائجها.

5- الاستغلال السيئ للوظيفة لتحقيق مصالح ذاتية على حساب المصالح المشروعة.

6- الخروج المقصود عن القواعد والنظم العامة لتحقيق منافع خاصة.

7- انتشار ظاهرة الابتزاز، متمثلة في التعقيدات الإجرائية والروتين، والذي يؤدي إلى هروب رؤوس الأموال من البلد.

---

[9] – الفساد السياسي والإداري, فتحي محمد أميمة، مؤتمر فيلادلفيا الدولي السابع عشر من 6 إلى 8 تشرين الثاني 2012م، ص 10 فما بعد, الفساد أسبابه وطرق مكافحته, أحمد أبو دية، ص 6 فما بعد.



ويعد ارتفاع مؤشر الفساد في أي مجتمع دالاً على تدني الرقابة الحكومية، وضعف القانون، وغياب التشريعات، وقد ينشط الفساد نتيجة لغياب المعايير والأسس التنظيمية والقانونية وتطبيقها، وسيادة مبدأ الفردية بما يؤدي إلى استغلال الوظيفة العامة وموارد الدولة من أجل تحقيق مصالح فردية.

وقد أظهر التقرير الأخير الذي نشرته منظمة الشفافية العالمية التي تتخذ من العاصمة الألمانية برلين مقراً لها أن جميع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية والبالغ عددها 21 دولة لا تزال تحافظ على ترتيبها في سلم الفساد العالمي.

يبقى الفساد بشتى أطيافه أحد معاول الهدم التي تواجه عمليات التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[10].

ولهذا فأحسن وسيلة لمحاربة الفساد هو أن تكون هناك خطة استراتيجية شاملة لإعادة العدل بمختلف صوره في المجتمع من القمة إلى القاعدة، ومن القاعدة إلى القمة، وإنهاء الظلم وأشكال الاستغلال في كل المجتمعات من خلال ربط المسؤولية بالمحاسبة.

[10] – ظاهرة الفساد: ماهيتها ومظاهرها, د.مولاي المصطفى البرجاوي، ص 10.

رابعاً: طرق الوقاية من الفساد في الشريعة الإسلامية

اعتمدت الشريعة الإسلامية على إجراءات فعالة للوقاية من الفساد تتمثل بالخصوص في غرس العقيدة والقيم الخلقية، والالتزام بالعبادات الشرعية وتقوية الوازع الديني في نفوس العمال والمواطنين الحكوميين، دون أن تُغفل ضرورة حسن الاختيار لهؤلاء الشاغلين للوظائف العامة، وتأمين العيشة الكريمة لهم، وهذا ما نتناوله فيما يأتي:

1. أثر العقيدة والعبادة:

للعقيدة أثر واضح في النظام الذي يسلكه مجتمع ما، ولا يمكن فصل أي نظام اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي عن جذوره العقدية.

إن تلك الرقابة تنمي في نفس الإنسان الشعور بالمسؤولية عن كل ما يقوم به من عمل أمام الله تعالى، وأنه محاسب عليه، حيث تغرس في نفس الإنسان أنّ توليَ الوظائف والأعمال مسؤولية عظيمة، وأن الإحساس بتلك المسؤولية ومراقبةَ الله هي التي جعلت الحكام والولاة والعمال يضربون المثل الأعلى والقدوة الحسنة في تربية نفوسهم على الحرص على أموال المسلمين، والمحافظة عليها، ومنع التعدي عليها.

أما العبادة: فإنها تشمل جميع نواحي الحياة، وبوسع المسلم أن يمارسها في كل وقت مما يجعله يقظ الضمير، وتحميه من كل الشرور، والعبادة بمفهومها الشامل تتحقق بالعمل لشؤون الدنيا، مثل سد حاجات الناس ومد يد العون إليهم، فالعامل الذي يقوم بواجبه على أكمل وجه، فهو في عبادة مستمرة، فمتى قام المسلم بأداء العبادات على أكمل وجه كانت مانعاً له من الوقوع أو حتى التفكير في الإضرار بنفسه، أو بأهله أو بمجتمعه من خلال مخالفات وعمليات فساد مالية أو إدارية[11].

---

[11] – وسائل مكافحة الفساد الاقتصادي في القطاع العام, د.صالح العلي, مجلة جامعة دمشق, العدد الأول، عام 2005، ص 229–230, منهج الشريعة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد المالي، عبد الله بن ناصر, ص 72, الرقابة الإدارية في الإسلام, حسنين علي محمد، دار السلام، ط1، 1985م، ص 94.

2. تقوية الوازع الديني:

من مقاصد الشريعة الإسلامية تربية أعضاء المجتمع المسلم، بحيث يتقوى الوازع الديني والأخلاقي بينهم، وهذا ما يسمى بالرقابة الداخلية في نفس الإنسان المؤمن، ولا يخص الحاكم دون المحكوم، أو الأمير دون المأمور، وإنما يحاول بأساسية القرآن والسنة أن يربيَ في قرارة كل إنسان وازعاً داخلياً نطلق عليه الوازع الديني أو الأخلاقي، هذا الوازع لا تعرفه القوانين الوضعية، ولا تعطي له وزناً أو اعتباراً، فالمعيار الذي تقاس به الأعمال في تلك النظم هو المعيار المادي، وهو معيار المنفعة الآنية التي تعود على الفرد من جراء عمل ما، فالمحرك الوحيد هو المنفعة والمصلحة الشخصية فقط.

3. حسن الاختيار لشغل الوظائف العامة:

من الواجب على الحكام تولية الوظائف العامة لذوي العلم والأمانة والكفاءة فالأمانة تحمل صاحبها على العمل بإخلاص، وأداء ما كُلف به على أتم وجه، والمحافظة على ما وُلي عليه.

كما أكد علماء المسلمين ضرورة تولي أمر المسلمين لأهل الكفاءة والأمانة والابتعاد عن تولي الظَّلَمة والفَسَقة وذوي القرابة والمودة الذين لا يصلحون لإدارة شؤون المسلمين[12].

4. تأمين المعيشة الكريمة للعاملين في الوظائف العامة:

إن اهتمام الشريعة الإسلامية بالأفراد لا يتوقف عند تأمين الحاجات الاقتصادية الأساسية لهم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تأمين المعيشة الكريمة التي تليق بالإنسان، والتي لا تقف عند تأمين الاستهلاك الواجب الذي يسد الرمق.

إن تأمين ما يكفي العامل في القطاع الحكومي يمكن أن يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، وليست له زوجة فليتخذ زوجة، وليس له خادم فليتخذ خادماً، وليس له دابة فليتخذ دابة)[13].

---

[12] – تنظيم العمل الإداري في النظام الإسلامي, محمد الرضا عبد الرحمن الأغبش، ص 68, وسياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد ,أحمد معاوية أحمد سيد، 226/1.

[13] – أخرجه أحمد في مسنده، 295/6.

لقد بين الفقهاء عناصر عدة يمكن أن تدخل ضمن الحاجات الأساسية المادية، كالطعام والشراب والسكن، والكسوة والخادم، والآلات الحرفية، وأثاث المنزل وغيرها.

وقد أكد العلماء ضرورة إعطاء أولئك العاملين ما يكفيهم، وليس ما يسد رمقهم[14].

خامساً: صور الفساد

إن صور الفساد والجرائم عديدة، ويتفنن المجرمون في ارتكابها وإلحاق الضرر بالآمنين، ومن أهم حالات الفساد ما يأتي:

1. النفاق:

وهو نوعان: اعتقادي، وعملي أو سلوكي وكلاهما محرم بنص القرآن والسنة، أما تحريم النفاق الاعتقادي، فقد امتلأت سور القرآن الكريم بتوبيخ أهله وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعيدهم بالهزيمة والخيبة قال تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُون"[15].

قال ابن عطية[16]: المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين وذلك إما أن يكون شكاً، وإما جحداً بسبب حسدهم، مع علمهم بصحة ما يجحدون.

وأما النفاق العملي الذي يقع من بعض المسلمين وغيرهم: فهو الإخلال بأصول الأخلاق والآداب الاجتماعية والخاصة، وهو دليل على اهتزاز الشخصية، وانعدام الثقة، والانهزام الذاتي، وضعف الإيمان،

---

[14] – المقدمة, عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد درويش، دار يعرب، ط1، 2004م، 975/2.

[15] – سورة البقرة، آية 10/12.

2– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, ابن عطية، 164/1.

والميل للإساءة إلى الآخرين[17]، وهو ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان)[18].

ويتمثل النفاق بنوعيه في عصرنا الحاضر بموالاة الأعداء، وبخيانة الأمة والوطن، والتواطؤ مع الأعداء بإظهار الولاء للدولة المسلمة ونظامها، ومحاولة هدمها وزعزعة استقرارها، والإساءة لكل ما فيها، ويعد فاعل هذا في الحقيقة عميلاً للأعداء والكفار، وجاسوساً يجب التخلص منه بمختلف الوسائل[19].

ووجه الشبه بين أهل النفاق والخونة: هو أن حال المنافقين إظهار الإيمان للمؤمنين، وإظهار الكفر في خلوتهم بعضهم مع بعض، وحال الخائنين واضحة مثل المنافقين، لأنهم يظهرون الولاء لوطنهم، ويعملون على تخريبه وعون الأعداء على احتلاله، فهم من أخطر الجواسيس، ويجوز قتل الجاسوس الحربي بالإجماع، والمعاهد والذمي في رأي الإمامين مالك والأوزاعي لأنه يصير في رأيهما ناقضاً للعهد، وكذا الجاسوس المسلم يُقتل في رأي كبار المالكية[20].

2. الحرابة:



إن من أخطر أعمال المفسدين في الأرض ما يقومون به من هدم المباني والمؤسسات والمحال التجارية والوزارات وغيرها، فهم في هذا محارِبون وعدوانيون، وخارجون عن النظام، ويخلّون بالأمن، ويرتكبون أسوأ جرائم أمن الدولة، ويستحقون العقوبة المقررة لهم في القرآن الكريم.

3- قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 352.

4- أخرجه البخاري, باب علامة المنافق، 16/1، رقم 33.

5- قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 352.

6- العلاقات الدولية في الإسلام, د.وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط1، 2000م، ص 62 فما بعد.

"إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)"[21]، فالمحاربون إن أخافوا الناس وقطعوا الطريق على المارة دون قتل أحد ولا أخذ مال، ينفَوا من الأرض، أي يحبسوا أو يبعدوا إلى بلد آخر، وإن قتلوا وأخذوا المال، قُتلوا وصلبوا بعد القتل أمواتاً، والمحاربون المذكورون في هذه الآية هم القوم الذين يجتمعون، ولهم مَنَعة ممن أرادهم بسبب أنهم يحمي بعضهم بعضاً، ويقصدون المسلمين وغيرَهم من المعاهدين في أرواحهم ودمائهم وأموالهم[22]، وهذا الوصف ينطبق تماماً على الذين يقومون الآن بالتفجيرات وإطلاق العيارات النارية بالرشاشات ونحوها لنشر الذعر والفوضى، وتخريب الديار، والاعتداء على الممتلكات، فيستحقون هذا العقاب، بل إنهم بالأسلحة الحديثة أخطر من أولئك الذين كانوا محاربين بالأسلحة القديمة (السلاح الأبيض) فيحتاجون إلى أشد القمع السريع والردع، واستئصال شأفتهم وإزالة شرهم وضررهم العام[23].

3. البغي:

هو الامتناع عن طاعة من ثبتت إمامتُه في غير معصية –بمغالبة –ولو تأولاً أي تأويل بعض النصوص الشرعية.

والبغي حرام، لأنه جور وظلم واعتداء على حق الدولة القائمة على أساس صحيح من الشرعية، ويجب قمع الظلم ومطاردة الظالمين لقوله تعالى: "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)"[24]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)[25].

---

[1]– سورة المائدة، آية 33–34.

[2]– تفسير الرازي، 215/11.

[3]– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د. وهبة الزحيلي، ص 355.

[4]– سورة الشورى, آية 42–43.

[5]– أخرجه مسلم 98/1.

وحكم البغاة: أنهم إذا لم يكن لهم منعة وقوة، فللإمام (الدولة) أن يأخذهم ويحبسَهم حتى يتوبوا، وإن تأهبوا للقتال، وكان لهم منعة (مكان محصن) وشوكة أي سلاح وقوة يدعوهم الإمام إلى التزام الطاعة، والانضمام إلى رأي الجماعة، كما يفعل مع أهل الحرب، فإن أبوا ذلك، قاتلهم حتى الهزيمة والقتل.

ولكن لايبدؤهم الإمام بالقتال حتى يبدؤوه، لأن قتالهم لدفع شرهم، والأغلب أنهم هم الذين يبدؤون العدوان والقتال ليحققوا خطتهم[26].

4. إيذاء الآخرين والإضرار بهم:



المسلم مَن أسسُ دينِه التحلي بالأخلاق الكريمة بعد اختيار الإيمان الصحيح والعبادة السديدة والمعاملة الحسنة، فالأخلاق لتهذيب الفرد والجماعة، وغاية العبادة وأساس المعاملة الطيبة هي التربية الفاضلة وتهذيب النفس الإنسانية.

وبناءً عليه ليس من خلق المسلم ولا من آداب دينه وشرعه التي يُسأل عنها في الدنيا والآخرة أن يصدر عنه إيذاء لأحد، أو يتعمدَ إلحاق الضرر بأحد، فهو طاهر النفس صافي القلب من الأحقاد والبغضاء والحسد والضغينة والكيد المؤامرة الدنيئة وغيرها من أمراض القلوب، فيكون السلوك النظيف معبراً عن سلامة النفس المؤمنة[27].

الخلاصة: إن إيذاء الآخرين مسلمين وغير مسلمين جريمة ومن الكبائر التي نهى عنها الإسلام، وشدد على مرتكبيها بالعذاب الشديد في الآخرة.

---

[1]– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 356.

[2]– المرجع السابق، ص 357.

سادساً: طرق معالجة الفساد

هناك العديد من الإجراءات والخطوات والسياسات التي يمكن من خلالها مكافحة الفساد، ومن أهم هذه الإجراءات ما يأتي[28]:

1- وضع عقوبة قاسية لمرتكبي الفساد بأشكاله المختلفة لكي يكون هناك رادع أمام باقي المفسدين.
2- تخفيض عدد القوانين واللوائح وتبسيط الإجراءات في جميع الدوائر.
3- اللجوء إلى الشفافية في كل الجهات الحكومية التي تتعامل مع الجمهور لكيلا يكون هناك مجال للرشوة.
4- إعطاء دور أكبر لمؤسسات المجتمع المدني للمساهمة في كشف وفضح قضايا الفساد.
5- تعيين مستويات الأجور والمداخيل ولاسيما للفئات التي تتعامل مع الجمهور من الموظفين العموميين.
6- تفعيل قواعد الديمقراطية والبعد عن أسلوب الحكم المطلق.
7- تطوير نظم اختيار وتعيين الموظفين وترقيتهم، والتوصيف الدقيق والعلمي للوظائف.
8- التركيز على الجانب الأخلاقي وتفعيل القيم الدينية والروحية المرتبطة باستقامة الأفراد والاتجاه نحو إعداد ميثاق أخلاقي لكل مهنة.

---

[28] – الفساد الإداري: أسبابه, آثاره, وطرق مكافحته, سمر عادل حسن, مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات, العدد 2014، ص 140, وانظر قانون رقم 6/1 تاريخ 21 محرم 1427 هـ الموافق 20 شباط 2006 يتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته.

سابعاً: حكم الفساد في الشريعة الإسلامية

الفساد في الشريعة الإسلامية من كبائر المعاصي أو الذنوب، وهو حرام بإجماع العلماء، للأدلة الكثيرة الناهية عنه، فمن القرآن الكريم في تحريم الفساد بسبب النهي عنه، والنهي يقتضي التحريم:

قوله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"[29].

وقوله تعالى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم"[30].

بل إن العذاب يضاعف في الآخرة بسبب الفساد، لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار"[31].

وعلى الأمة ممثلة بالدولة، وبأهل الحكمة والرشد والعقل والسداد، أن يكونوا قوة حصينة وأداة إصلاح حازمة لإرشاد وردع المفسدين بكل ما أوتوا من حكمة وسلطة لقوله تعالى: "فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُم"[32].

وإذا انتشر الفساد في الأمة وجب عليها بكل إمكاناتها وطاقاتها مقاومة المفسدين وردعَهم وإيقافهم عند حدودهم حتى لا يستمر الفساد ويستشري، والعبر والمواعظ التاريخية في تدمير الظلمة والمفسدين وأعوانهم كثيرة أخبر عنهم القرآن الكريم للعظة والاعتبار، قال تعالى: "وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَاد (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَاد (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد"[33].

أما السنة النبوية: فهي مليئة ببيان تحريم وتهويل جرائم أهل الفساد والمفسدين وتقريعهم، والتبديد بأعمالهم الإجرامية الضارة بأنفسهم وبأمتهم، ومن هذه الأحاديث:

---

[29] – سورة الأعراف, آية 56.

[30] – سورة محمد, آية 22.

[31] – سورة الرعد, آية 25.

[32] – سورة هود, آية 116.

[33] – سورة الفجر , آية 9–14.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[34].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)[35].

وقوله: (لا ضرر ولا ضرار)[36].

هذه الأحاديث توجب أن يكون المجتمع الإسلامي هادئاً مستقراً، فكل مسلم أمينٌ على مال أخيه ودمه وعرضه وممتلكاته، وعلى مال الأمة ومؤسساتها ومرافقها من إدارات ووزارات، ومصانع ومتاجر وغير ذلك[37].

[34] – رواه مسلم في صحيحه, باب تحريم ظلم المسلم، 1986/4، رقم 2564.

[35] – رواه أحمد في مسنده, 376/19، رقم 12383.

[36] – رواه ابن ماجة, باب من بنى في حقه، 784/2، رقم 234.

[37] – قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 347 فما بعد.

خلاصة:

بما أن الفساد هو الانحراف عن الطريق الصحيح مقترناً بإلحاق الضرر بالآخرين في أنفسهم وأموالهم وكرامتهم، فعلى الأمة ممثلة بالدولة وأهل الحكمة والعقل أن يكونوا أداة إصلاح حازمة، بكل ما أوتوا من حكمة لإرشاد وردع المفسدين وإيقافهم عند حدودهم، حتى لا يستمر الفساد ويستشري ويكون حينئذ الطوفان.

هناك العديد من التعاريف للفساد من حيث اللغة والاصطلاح.

ومن أنواع الفساد: الفساد العَقدي، الفساد الأمني والاجتماعي، الفساد السياسي، الفساد الأخلاقي، الفساد الاقتصادي، الفساد المالي.

أما أنواع الفساد من حيث الحجم: الفساد الصغير، الفساد الكبير.

ومن مظاهر الفساد: الرشوة، المحسوبية، المحاباة، نهب المال العام، الابتزاز، غسيل الأموال.

وطرق الوقاية من الفساد عديدة منها:

- أثر العقيدة والعبادة.
- تقوية الوازع الديني.
- حسن الاختيار لشغل الوظائف العامة.
- تأمين المعيشة الكريمة للعاملين في الوظائف العامة.

من صور الفساد: النفاق، الحرابة، البغي، إيذاء الآخرين والإضرار بهم.

كما يوجد العديد من طرق معالجة الفساد مثل معاقبة مرتكبيه وغيرها.

الفساد في الشريعة الإسلامية من كبائر المعاصي أو الذنوب، وهو حرام بإجماع العلماء، للأدلة الكثيرة الناهية عنه من القرآن والسنة النبوية.

تمارين:

1. عرف الفساد واذكر أنواعه.
2. عدد أهم مظاهر الفساد في العالم العربي.
3. اذكر طرق الوقاية من الفساد في الشريعة الإسلامية.
4. اختر الإجابة الصحيحة:

من صور الفساد:

A. النفاق.

B. التركيز على الجانب الأخلاقي.

C. تقوية الوازع الديني.

الإجابة الصحيحة: **A** النفاق.

5. اختر الإجابة الخاطئة:

من طرق معالجة الفساد:

A. تفعيل قواعد الديمقراطية.

B. نهب المال العام.

الإجابة الصحيحة: B نهب المال العام.

المراجع:

1. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1985م.
2. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط4، 1987/1407.
3. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
4. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
5. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، 1985م.
6. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى الباب الحلبي، القاهرة، ط1، 1970م.
7. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1999/1420.
8. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1989/1409.
9. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
10. الفساد المالي: أسبابه وصوره وعلاجه، حسين حسين شحاتة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 552.
11. الفساد أسبابه وطرق مكافحته، أحمد أبو دية، إشراف د.عزمي الشعيبي، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة، ط1، أمان، 2004م.
12. الفساد السياسي والإداري، فتحي محمد أميمة، مؤتمر فيلادليفيا الدولي السابع عشر 6 إلى 8 تشرين الثاني 2012م.

13. وسائل مكافحة الفساد الاقتصادي في القطاع العام، د.صالح العلي، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول، 2005م.
14. منهج الشريعة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد المالي، عبد الله بن ناصر، موقع العلوم القانونية، الرقابة الإدارية في الإسلام، حسنين علي محمد، دار السلام، ط1، 1985م.
15. المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد درويش، دار يعرب، ط1، 2004/1425.
16. العلاقات الدولية في الإسلام، د.وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط1، 2000/1420.
17. الفساد الإداري أسبابه آثاره وطرق مكافحته، سمر عادل حسن، مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، العدد 10، عام 2014م.
18. التدابير التشريعية والإدارية لمكافحة الفساد في القطاعين الأهلي والخاص، باسل منصور، مجلة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، المجلد 26 (2012/9م).
19. الوقاية من الفساد الإداري ومكافحته من منظور الفكر الإسلامي، د.فراس مسلم أبو قاعود، مجلد كلية بغداد، للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد السادس والثلاثون، لعام 2013م.

الوحدة التعليمية العاشرة

الوسطية

أهمية الوحدة العاشرة:

إن الحياة الهادئة السعيدة لا تصلح بغير توسط في الأمور بين التشدد والانحلال، لذا تعد الوسطية مطلباً أصيلاً ومظهراً حضارياً ليتحقق الانسجام الفكري والأخلاقي والسلوكي، لذا ألقينا الضوء على هذه الوحدة.

الأهداف التعليمية:

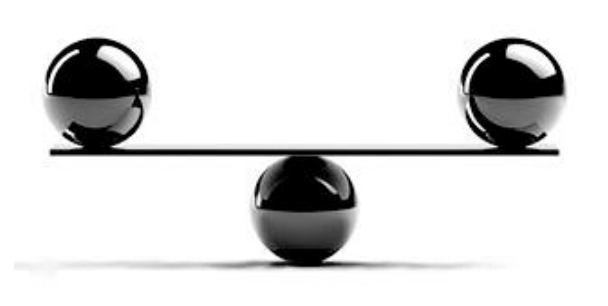
بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف الوسطية لغةً واصطلاحاً.
2. يعدد آفاق الوسطية التي تجعل البشرية مزدانة بالخير.
3. يعدد أهم مظاهر اليسر والسماحة في الإسلام.
4. يبين آثار الوسطية على المجتمع.

الكلمات المفتاحية:

الوسطية – آفاق – الفطرة – النزاعات – المسؤولية – الدولية – اليسر – السماحة – الجسور – الاستطاعة – التعصب – الإكراه – التطرف – مقاصد الشريعة – آثار – سماحة – غير المسلمين – معاملة – الصحابة – يهودي – الحيرة – حضاري – الأسرة.

أولاً: مقدمة



الوسطية هي الاعتدال في كل أمور الحياة من تصورات ومناهج ومواقف، وهي تحرٍ متواصل للصواب في التوجهات والاختيارات، فالوسطية ليست مجرد موقف بين التشدد والانحلال، بل هي منهج فكري وموقف أخلاقي وسلوكي، كما ذكر القرآن "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"[1]، حيث تشير تلك الآية إلى أهمية الوسطية وتحقيق التوازن في الحياة.

ومرجع الوسطية إلى الشرع، فما وافق الشرع فهو الوسط، والحق أن الوسطية في مفهوم الإسلام منهج أصيل ووصف جميل، ومفهوم جامع لمعاني العدل والخير والاستقامة، فهي حق بين باطلين واعتدال بين تطرفين، وعدل بين ظالمين.

وإن ضوابط المنهج الوسطي تقوم على جملة من الدعائم الفكرية تُبرز ملامحه وتحدد معالمه، وتحسم منطلقاته وأهدافه وتميزه عن غيره من التيارات.

---

[1] – سورة القصص, آية 77.

ثانياً: تعريف الوسطية

تعريف الوسطية لغة واصطلاحاً:

الوسطية في اللغة:

الوسطية مصدر صناعي، يدل على التمكن في الوسط، قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء بناءٌ صحيح يدل على العدل والنَّصَف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه"[2].

وقال الجوهري: "وسَطْتُ لقوم أسِطهم وَسطاً وسيطة: توسطتهم، وفلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسباً، وأرفعهم محلاً، والوسط من كل شيء: أعدله، ويقال أيضاً: شيء وسط أي بين الجيد والرديء"[3].

ومنه جاء استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"[4].

وقد أوضح الإمام الطبري في تفسيره[5] هذا التشبيه بقوله: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، بما جاءكم به من عند الله، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً، والوسط في كلام العرب: الخيار، ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، ولكنهم أي المسلمين أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها.

- معجم مقاييس اللغة: مادة (وسط).[2]
- الصحاح: م (وسط).[3]
- سورة البقرة, 143.[4]
- تفسير الطبري، 5/2.[5]

الوسطية في الاصطلاح:

هي سلوك محمود يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين متقابلين – غالباً – أو متفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي.

والمعنى الاصطلاحي يدور على الاعتدال، وتجنب الغلو والتقصير، قال ابن القيم رحمه الله: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من البعد من الخطيئتين[6].

وسيتضح لنا من خلال استقراء بعض نصوص القرآن والسنة أن الوسطية هي الدين كله، بحيث يسوغ أن نقول: الإسلام هو الوسطية، مادامت الوسطية لا تخرج عن العدل والخيار والاستقامة، والاتزان والقصد، وهل هذه إلا المبادئ التي جاء الاسلام من أجلها، فالدين كله بين هذين الطرفين – التقصير والمجاوزة – بل الإسلام قصْد بين الملل، والسنة قصْد بين البدع، ودين الله بيّنٌ الغالي فيه، والجافي عنه[7].

قال الرازي رحمه الله[8] الوسط: هو العدل في قول جماعة، وأكد هذا القول الإمام القرطبي في تفسيره، فثبت أن الأمة الإسلامية متصفة بالعدالة مما جعلها أهلاً لأداء الشهادة على الأمم الاخرى، كما ثبت أن الأمة الإسلامية معتدلة متوسطة في رسالتها وشريعتها ومبادئها وقيمها، تلتزم الصراط السوي، وتلتزم منهج الاعتدال.

---

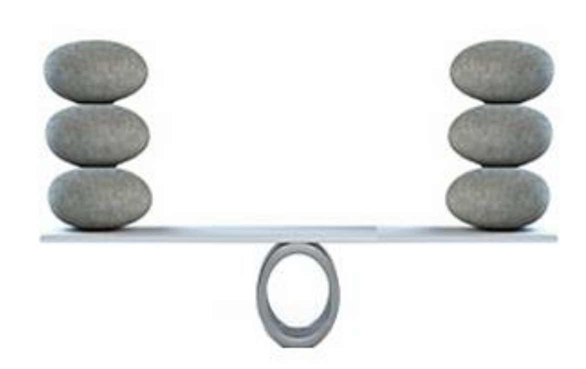
[6] – الوابل الصيب، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مؤسسة الرسالة، ط5، 1405، ص 24.

[7] – الروح, أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص 257.

[8] – تفسير الرازي، 89/4.

ثالثاً: آفاق الوسطية

للوسطية آفاق عديدة تجعل الحياة البشرية مزدانه بأوصاف الحق والخير والاعتدال، وآفاق الوسطية هي:



مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية:

إن أساس مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية أو مراعاتها هو وسطية الشريعة الإسلامية في أحكامها الاعتقادية والمنهجية والعلمية، وممارسة العبادات بما يلائم طبيعة الإنسان وإمكاناته المزدوجة الجامعة بين حق الجسم والروح، ويحفظ التوازن دون إلحاق ضرر لجانب على آخر.



الإقرار بوجود النزعات والميول البشرية:



لا ينكر إنسان وجود الواقع النفسي والميول والعواطف والغرائز التي خلقها الله في البشر، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السوية، فمن تمتع باللذات المشروعة أو المباحة كان قلقاً معذباً ومن أسرف في اللذات والمشاعر وقع فريسة المرض والقلق، لذا أباح الإسلام الزينة والتمتع بالطيبات وحرّم الفواحش، ورغّب بالزواج، فقال تعالى: "يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين (31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[9].

استقرار نظام الأسرة:



يحرص الإسلام على بناء الأسرة القوية المتماسكة الجادة المتعاونة، فالآباء والأجداد والأحفاد يعملون كأنهم في معسكر تدريب فعال لتحقيق الكفاية الإنتاجية الذاتية، ورفد المجتمع ببناء الجيل الصاعد وبقاء النوع الإنساني، ونظام الأسرة المسلمة القائم على التعاون

---

[9] – سورة الأعراف, آية 31–33.

والتراحم بدءاً من الزواج حتى انتهاء الرابطة الزوجية بالطلاق الاضطراري أو الموت، نظام وسطي معتدل يضم بين أجنحته إذا التزمت آداب الإسلام وروعيت ضوابط أحكامه كل ما يحقق الخير والتقدم والسعادة لقيامه على قواعد العدل والمساواة والحرية المنظمة.

تكامل نظام المسؤولية المدنية والجنائية:

إن عماد المسؤوليات هو النظام المدني بتنظيم العقود والتصرفات والأنشطة الاقتصادية من إنتاج واستثمار وادخار وتوزيع، وتوجيه كل الفعاليات نحو ما يحقق المصلحة العامة أو العليا للأمة.

وأساس المعاملات في الإسلام: هو الحرية الاقتصادية المنظمة، والعدالة والمساواة وأداء الحقوق وتنفيذ الالتزامات "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود"[10].

وجعلُ المعاملات قائمة على أساس التعادل في التبادل دون تقصير أو إهمال أو إكراه وغير ذلك دليل واضح على الوسطية والتوفيق بين الواقع وآفاق المستقبل، وحماية المجتمع من التنازع والاختلاف لأن الاختلاف أو التنازع يؤدي إلى الوهن والضعف في الأمة وزرع الأحقاد والارتباك، وهزّ الثقة بين المتعاملين.

قال تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم"[11].

وكذلك المسؤولية الجنائية من أجل حفظ الأمن والحفاظ على نظام التدين والأرواح والعقول والأعراض والأموال، فيعاقَب الزناة واللصوص ورماة العفيفات بالفاحشة والمحاربون لشدة الجريمة وخطورتها، كما يعاقَب القتلة أو سفاكو الدماء والمفسدون والمخربون على أساس من العدل والمماثلة أو المساواة لإطفاء حزازات النفوس ومنع عادة الأخذ بالثأر، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون"[12].

ويكون العفو عن جرائم الحدود قبل رفعها إلى القضاء، وكذا بعد الادعاء أمام القضاء في القصاص مجاناً أو إلى الدية.

---

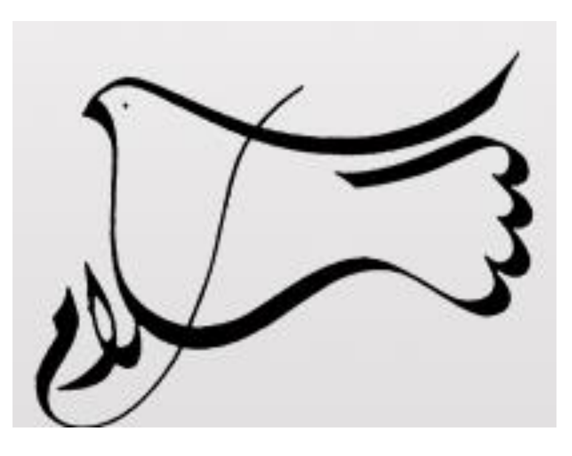
[10] – سورة المائدة, آية 1.

[11] – سورة الأنفال, آية 46.

[12] – سورة البقرة, آية 179.

هذا الجمع بين عقوبة القصاص والدية والعفو مما تميزت به شريعتنا للدلالة على الوسطية والاعتدال، فقد شُرع القصاص وحده في الديانة اليهودية، والعفو وحده في الديانة المسيحية، ثم جاء الإسلام جامعاً بين المزايا كلها13.

ترسيخ مجالات العلاقات الدولية:



المسلمون مطالبون بتعميم السلام ومحاربة الإرهاب غير المشروع، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً"[14].

والأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب، والباعث على القتال هو العدوان، وإقرار الحرب مع النهي عن التعتداء إنما هو للضرورة ومقاومة الغاصبين وطردهم من ديار المسلمين لقوله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[15].

وحينئذ يكون لزاماً التفرقة بين الإرهاب بالمعنى المطلق، وبين الجهاد المشروع أو المقاومة للمحتلين لطرد الأعداء والغاصبين، فالمعنى الأول فيه خلط بين المفاهيم وتسويغ الظلمة والمستكبِرين على المستضعفين، والمعنى الثاني حق وعدل وشرف وكرامة بل واجب وأساس هذه التفرقة قول الله تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ"[16].

إن نداء الإسلام في الأسرة الدولية واضح المعالم لقيامه على مبدأ التعاون والتفاهم والتزام شرعة الحق والعدل، وهذا مَعلم آخر مهم في تقرير وسطية الإسلام واعتداله.

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 558.[13]

– سورة البقرة، آية 208.[14]

– سورة البقرة, آية 190.[15]

– سورة الممتحنة، آية 8-9.[16]

رابعاً: مظاهر اليسر والسماحة في الإسلام

الاستفادة من الجسور المشتركة بين الأديان:

الجسور المشتركة بين الإسلام وما سبقه من الأديان كثيرة، يمكن الانطلاق منها في شرعنا والتحاكم إليها للتوصل إلى ما يبرز سماحة الإسلام وسموَّه في الدعوة إلى وحدة الصف، والوقوف أمام التيارات الإلحادية أو العلمانية أو المادية أو غيرها.

فالأديان الثلاثة (الإسلام واليهودية والمسيحية) تؤمن بالذات الإلهية، وبرسالة الرسل الكرام، وبالكتب السماوية، وبالملائكة، وباليوم الآخر.

والاختلاف إنما هو في الفروع والجزئيات مراعاة لتقدم العقل البشري وتطور الإنسانية بشرط وحدة الاعتقاد وصحة الإيمان، وما أحكم وأدق هذا الإخبار والتعبير القرآني وهو قول الله عز وجل: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه"[17].

وتنحصر علاقة المسلمين بغيرهم في ضوء هذا المفهوم في شطرين:

الأول: الإقرار والتصديق بكل ما صح نزوله على الأنبياء والرسل السابقين من الصحف والكتب السماوية.

الثاني: تصحيح ما وقعت فيه الكتب السماوية الحالية المتداولة من انحراف عن وحدة الهَدي الإلهي في العقيدة والنظام التشريعي[18].

[17] – سورة الشورى, آية 13.

[18] – قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 567–568.

كون التكاليف بقدر الاستطاعة:

من أبرز خصائص الإسلام: قلة تكاليفه في العبادات وغيرها، فدائرة المباح فيه أوسع من دائرة الحرام، ومنها جعل التكليف بحسب الوسع والطاقة لينسجم الإنسان مع التكاليف الإلهية بيسر وسهولة، وأساس ذلك قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها"[19].

وكذلك ما نجده في السنة النبوية من وصايا وتوجيهات تزجر الناس عن المغالاة في العبادة والامتناع عن الطيبات، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا)[20].

نبذ التعصب الديني والمذهبي:

اقتضت حكمة الله أن يوجد الاختلاف بين الناس في الملل والنحل والمذاهب والاعتقادات لمعرفة الحق من الباطل، ولإقرار الحرية وترك الاختيار والإرادة للإنسان قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِين (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُون"[21].

هذا دليل واضح على ضرورة التسامح في التعامل، وترك الاعتراض إلا في حدود الدعوة الهادئة والمنطقية إلى الله تعالى.

وهو دليل أيضاً على ترك التعصب الديني، والترفع عن الأحقاد، لأن الإنسان لا يصح له أن يتجاوز السنن الإلهية وعليه أن يرضى بما رضي الله تعالى له، فليس للداعية التسرع في تكفير الآخرين، لأنه سلوك منفر ومبعد، كما ليس لأي مسلم إيذاءُ مشاعر الآخرين أو الاستعلاءُ عليهم، أو احتقارهم أو محاولة الاعتداء عليهم أو التنكيلُ بهم، حتى مع أشد الناس كفراً وهم المشركون الوثنيون لقوله تعالى:

---

[19] – سورة البقرة, آية 286.

[20] – رواه البخاري في صحيحه، 155/7، رقم 5861.

[21] – سورة يونس، آية 93.

"وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"[22]، أي سب الآلهة الباطلة أمام أتباعها مدعاة لسب الإله الحق، فيُمنع ذلك سداً للذرائع[23].

منع الإكراه في الدين:

الحرية الاعتقادية متروكة لكل إنسان في شرعة القرآن، لا بمعنى إقرار الضالين والكافرين على كفرهم، وإنما بمعنى كل محاولات الإكراه أو الإجبار على تغيير المعتقد أو المذهب أو الدين، لأن ذلك لا ينفع ولا يفيد شيئاً.

وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[24]، هذا ولم يثبت في تاريخ الإسلام أن المسلمين مارسوا الإكراه على الدين مع غير المسلمين كما صرح بذلك آرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام"[25].

مقاومة كل أنواع التطرف:

مقاومة التطرف والغلو في البلاد التي لا عدوان فيها على المسلمين، لأن الإسلام والانتصار لقضاياه والدفاعَ عن مبادئه ومحاولة نشر عقيدته، والترويجَ لنظامه وشرائعه، لا يكون على الإطلاق بارتكاب السلوك الإجرامي أو الانطلاق من معايير التشدد والغلو والتطرف الغريبة عن روح الإسلام ومنهجه في الدعوة، لأن هذا السلوك الشائن لا يحقق أي هدف، وإنما يزرع الرعب والخوف بين الآمنين، ويلحق الأذى والضرر في المصلحة العليا للأمة.

فلقد أدركنا في هذا البحث حرص الإسلام على السماحة والاعتدال والاتزان والقصد في الاعتقاد والأفعال والطاعات[26].

– سورة الأنعام, آية 108.[22]

– قضايا الفقه المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 570.[23]

– سورة البقرة، آية 256.[24]

– قضايا الفقه المعاصر والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي ص 571.[25]

– المرجع السابق، ص 572.[26]

خامساً: الوسطية مطلب شرعي وحضاري:



الوسطية في الإسلام هي مقاصد الشريعة وغاياتها الأساسية، وهي خمسة: حفظ الدين والعقل والنسب و العرض والمال، لتحقيق مصلحة الفرد والجماعة والأمة، وإيجاد التوازن والاعتدال الذي به تدوم الأوضاع والأحوال على منهج حسن ووضع مستقر، فالتوسط في الأمور ينسجم مع إمكانات البشر وقدراتهم وعطاءاتهم، وبه ينعم الناس في مظلة الحرية، فيحقق الأمن النفسي والاجتماعي والصحي والمعيشي، ويتجنب الناس كل ألوان الخوف والقلق واليأس والوئام، بل ويُقبل الناس أفراداً وجماعات على التنمية وزيادة الانتاج.

إن الوسطية حق وخير عدل، ومطلب شرعي أصيل، ومظهر حضاري رفيع، ليتحقق التكامل والانسجام بين الأوضاع، والتعاون بين الجميع، ويصيرَ الإخاء والإقدام على العمل أساس كل تقدم ورفاه، كما أن حالة الوسطية تؤدي إلى أداء الواجبات وحقوق الله تعالى وحقوق الناس، فلا تقصير في واجب، ولا إهدار لحق، ولا تقصير في الأداء.S



إن الحياة الهادئة لا تصلح بغير توسط في الأمور، وإن التوفيق بين متطلبات الدين وشؤون الدنيا والمصالح العامة والخاصة أمر مرهون بتوافر القدرة على إنجاز المهام كلها.

ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ظاهرة التوازن في الأشياء والأعمال والقدرات والممارسات القائمة على صحوة الوجدان، وقوة العزيمة، والتمسك بالحق، والتزام العمل الصالح هو سمة المجتمع

المتحضر[27]، قال تعالى: "وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)"[28]. الوسطية هي المنهج الذي يكاد يكون مطلب الجميع، والأغلبية ترفض التطرف وتنفر منه، والجميع يرفض العنف إلا الفئة الضالة المنبوذة من كل إنسان عاقل، والوسطية تعني الاعتدال وشجب التنطع أي المبالغة، والاعتدال هو الوجه الرحيم للوسطية، ولذا لا بد أن تفهم أن الوسطية هي الأخذ بأسباب الحضارة والتمدن، وأن نكون عصريين متعايشين مع العالم المتمدن المستنير.

الوسطية في مفهومنا –نحن أبناء العصر الحاضر –الأخذ بكل مقتضيات الحضارة، والانتهال من مصادرها.

هذه الحضارة هي جهود البشرية بتوفيق الله لإعمار الأرض، كما كنا يوماً من صناعها ثم تداول أمرَها غيرُنا، فواجبنا أن نكون في مسيرتها.

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 582.[27]

– سورة العصر, آية 1-3.[28]

سادساً: آثار الوسطية على المجتمع:

1. إن المجتمع الصالح يتكون من الأفراد الصالحين، وبصلاح الفرد صلاح للأمة والدولة والمجتمع، فإذا صلح المجتمع سادت السكينة والمودة والمحبة وشعر الناس بنعمة الإخاء الإيماني.
2. وإذا كان هناك شيء من التكاليف الشاقة للأفراد، واختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، وانعدمت الحريات التي هي تعبير عن الوسطية وقع المجتمع فريسة الأمراض الفتاكة، والانحرافات القاتلة.
3. إن للوسطية آفاقاً بعيدة المدى، لأنها إيجابية النفع، فتكاد السلبيات أو الأخطاء تنعدم أو تكون في طريقها إلى الذوبان، وذلك لما تغرزه من آثار اجتماعية ملموسة من إشاعة المحبة، وتنامي المودة، والابتعاد عن التعصب والأحقاد، وتوفير الثقة للآخرين، وإحسان التعامل معهم، وصارت أحوال الأسرة والمجتمع في طمأنينة وشعور بالاستقرار، وتفرغٍ للإنجاز والعطاء، والتزامٍ للحق والعدل فما من مشكلة اجتماعية تثور إلا وكان سببها شذوذاً في التخطيط والعمل، أو انحرافاً عن المقصد الشريف، أما حال الوسطية فتكون من أهم الأسباب الداعية إلى الاستقرار والوئام، وإسعاد الفرد والجماعة، وتقدم المدنية وازدهار الحضارة[29].

---

[29] – قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 583.

سابعاً: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين:



إن سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين أحدُ الموضوعات الثرية بالمادة العلمية، وقد حظيت باهتمام العلماء قديماً وحديثاً، ولذلك فإن التشريع الإسلامي نظم علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفراداً ومجتمعات ووضع الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

وهذا المبحث يوضح لنا سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين بمختلف أصنافهم ودياناتهم من أهل الكتاب وغيرهم، وذلك من خلال الوقوف على هدي القرآن والسنة في ذلك والتطبيق العملي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان.

1. مدلول السماحة وأهميتها:

السماحة تعني المسامحة، وقد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة)[30]، قال ابن حجر السمحة: السهلة أي أنها مبنية على السهولة والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه.

وإن بناء دين الإسلام منذ ظهوره كان على اليسر قال صلى الله عليه وسلم: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)[31].

وفي هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحاً لكل زمان، تقرر أن الخلاف باقٍ بقاء الإنسان على الأرض، وأن التعدد والتنوع في أخلاق وسمات البشر مما مضى به القدر الإلهي، فسنة الله في خلقه أن تتنوع أجناسهم وألسنتهم وألوانهم كما

---

[30] – رواه البخاري في كتاب الإيمان معلقاً, باب الدين يسر, فتح الباري، 94/2.

[31] – رواه البخاري, كتاب الإيمان, باب الدين يسر، رقم الحديث 39.

تنوعت دياناتهم، ولذلك فإن عيش المسلم ينبغي أن يكون في ضوء هذه الحقيقة التي تزخر بها آيات عديدة في القرآن لقوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِين"[32]، وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبَروا على ترك معتقداتهم أو يكرَهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين، ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم[33].

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض[34].



أما في مجال المعاملات والآداب فتتجلى صور عظيمة من السماحة، فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين، فلم يضق ذرعاً بالأديان السابقة، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب، لين القول مع المسلمين وغير المسلمين، فيحسن جوارهم ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم حتى تختلط الأسرة وتمتزج الدماء[35].

وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند المصيبة، ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج، ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفاً لهم[36].

ومن سماحة الإسلام في المعاملة أن شرع العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلاً على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[37].

---

[32] – سورة يونس, آية 99.

[33] – تلبيس مردود في قضايا حية, د.صالح بن حميد، ص 30.

[34] – التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام, محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط6، 2005م، ص 6.

[35] – سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين, عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، دار الوطن، ط1، 1433، ص 10.

[36] – دعوة غير المسلمين إلى الإسلام, عبد الله اللحيدان، دار الوطن، ط1، 1430، ص 128.

2. سماحة النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين:

تعددت صور السماحة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، وشواهد ذلك في سيرته لا تُحصر أذكر منها ما يلي:

1. كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل مخاليفه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير)[38].
2. كان صلى الله عليه وسلم يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم، فقد قال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (صِلي أمك)[39] وكانت مشركة.
3. وكان صلى الله عليه وسلم يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية وقد وضعت فيها السم[40].

3. صور من سماحة الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين:

كان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبي صلى الله عليه وسلم، شهد صوراً من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبر السن، وسأذكر بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابة في معاملة غير المسلمين:

1. في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: (وجعلت لهم أيما شيخٌ ضعف عن العمل أو أصابته آفة

---

[37] – سورة المائدة, آية 8.

[38] – رواه البخاري, كتاب المغازي, رقم الحديث 4467.

[39] – رواه البخاري, كتاب الهبة, باب الهدية للمشركين، رقم الحديث 2620.

[40] – رواه البخاري، كتاب الهبة، 163/3، رقم 2617.

من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحتُ جزيتَه وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)[41].

2. ومرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال:أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم)، إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن أمثاله[42].
3. صلى سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما في بيت نصرانية، فقال لها أبو الدرداء رضي الله عنه: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهّرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما، فقال له سلمان رضي الله عنه: خذها من غير فقيه[43].
4. وعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بنِ عمرو – رضي الله عنه – وغلامه يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه[44].

---

[41] – كتاب الخراج, أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، تحقيق محمد إبراهيم، دار الإصلاح، مصر، ط1، 1984م، ص 306.

[42] – كتاب الخراج, أبو يوسف، ص 156.

[43] – إغاثة اللهفان, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، 153/1.

[44] – رواه البخاري في الأدب المفرد, باب جار اليهودي، رقم الحديث 95.

خلاصة:

الوسطية منهج أصيل، ووصف جميل، ومفهوم جامع لمعاني العدل والخير والاستقامة.

تقوم ضوابط المنهج الوسطي على جملة من الدعائم الفكرية، وتُبرز ملامحه وتحدد معالمه وتميزه عن غيره من التيارات.

الوسطية منهج يكاد يكون مطلب الجميع، فهي تعني الاعتدال وشجب التنطع والمبالغة، والأخذ بأسباب الحضارة، والانتهال من مصادرها، وبصلاح الفرد صلاح الأمة، وإذا صلح المجتمع سادت السكينة والمحبة، وشعر الناس بالإخاء الإنساني.

أبرز آفاق الوسطية: مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية، الإقرار بوجود النزعات والميول البشرية، استقرار نظام الأسرة، تكامل نظام المسؤولية المدنية والجنائية، ترسيخ مجالات العلاقات الدولية.

من مظاهر اليسر والسماحة في الإسلام: الاستفادة من الجسور المشتركة بين الأديان، كون التكاليف بقدر الاستطاعة، نبذ التعصب الديني والمذهبي، منع الإكراه في الدين، مقاومة كل أنواع التطرف.

تعد الوسطية مطلب شرعي وحضاري وهناك عدة آثار للوسطية على المجتمع.

تتضح سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين بمختلف أصنافهم ودياناتهم من أهل الكتاب وغيرهم، من خلال الوقوف على هدي القرآن والسنة في ذلك والتطبيق العملي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان.

تمارين:

1. عرف الوسطية واذكر آفاقها.
2. عدد مظاهر اليسر والسماحة في الإسلام.
3. اذكر آثار الوسطية على المجتمع.
4. اشرح بالتفصيل سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين.
5. اختر الإجابة الصحيحة:

من آفاق الوسطية:

A. استقرار نظام الأسرة.
B. نبذ التعصب الديني.
C. منع الإكراه في الدين.

الإجابة الصحيحة: **A** استقرار نظام الأسرة.

6. اختر الإجابة الخاطئة:

من آثار الوسطية:

A. إشاعة المحبة.
B. مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية.

الإجابة الصحيحة: B مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية.

المراجع:

1. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط4، 1987/1407.
2. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979/1399.
3. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، 1994م.
4. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
5. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422.
6. قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط1، 2006/1427.
7. الوابل الصيب، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مؤسسة الرسالة، ط5، 1405هـ.
8. الروح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983/1403.
9. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط6، 2005م.
10. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، دار الوطن، ط1، 1432هـ.
11. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبد الله اللحيدان، دار الوطن، ط1، 1433هـ.
12. كتاب الخراج، يعقوب بن إبراهيم، تحقيق محمد إبراهيم، دار الإصلاح، مصر، ط1، 1984م.
13. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، محمد الخضر حسين، ط1، 1350هـ.
14. سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية، عبد العظيم محمد، مكتبة وهبة، ط1، 1993/1404.
15. منهج الوسطية وأثره في علاج الغلو، علي بن عزيز الشبل، شبكة الآلوكة.

الوحدة التعليمية الحادية عشرة

الديمقراطية والشورى

أهمية الوحدة الحادية عشرة:

يوجد في العالم استبداد وديكتاتورية غاشمة وتمييز عنصري وطبقي، لذا كتبنا هذه الوحدة لأن الشورى والديمقراطية هي التي تحقق القضاء على الاستبداد والتمييز العنصري.

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب أن يكون الطالب قادراً على أن:

1. يعرف الديمقراطية.
2. يبين أنواع الديمقراطية وخصائصها.
3. يبين مرتكزات الديمقراطية وغاياتها.
4. يحدد الفرق بين الديمقراطية المحلية والديمقراطية العالمية.
5. يبين مفهوم الشورى وأهميتها ومجالاتها وحكمها.
6. يبين الفرق بين الديمقراطية والشورى.

الكلمات المفتاحية:

الديمقراطية – الأساسية – الشعب – الانتخابات – أنواع – المباشرة – شبه المباشرة – التمثيلية – خصائص – مرتكزات – المساواة – الحرية – المحلية – العالمية – الشورى – مجالات – حكم – الفرق – أهمية الشورى – البنى التقليدية – المؤسسات الدولية –الحل والعقد – ملزمة – السلطات – الأغلبية.

أولاً: مقدمة



إن الديمقراطية بمفهومها السياسي والاجتماعي وفي ضوء المفهوم القانوني والدولي أو العلاقات الدولية: هي غير المعمول به في الميزان السياسي المطبق أو السائد عملياً لدى المؤسسات الأوروبية والأمريكية، ومن ورائهم الصهيونية العالمية المتميزة بالابتزاز وانتهاز الفرص فهم يعصفون بكل نتائج الديمقراطية الحرة النزيهة حينما تصطدم تلك النتائج مع مصالحهم ومطامعهم.

لذا يمكن القول: إن الديمقراطية سواء في الغرب أم في الشرق تتعرض لأزمة حادة، حيث يكون المبدأ أو الشعار الذي ينادى به شيء، والتطبيق شيء آخر، وقد قيل إن الديمقراطية على أرض الواقع خرافة، كما أن الشيوعية خرافة.

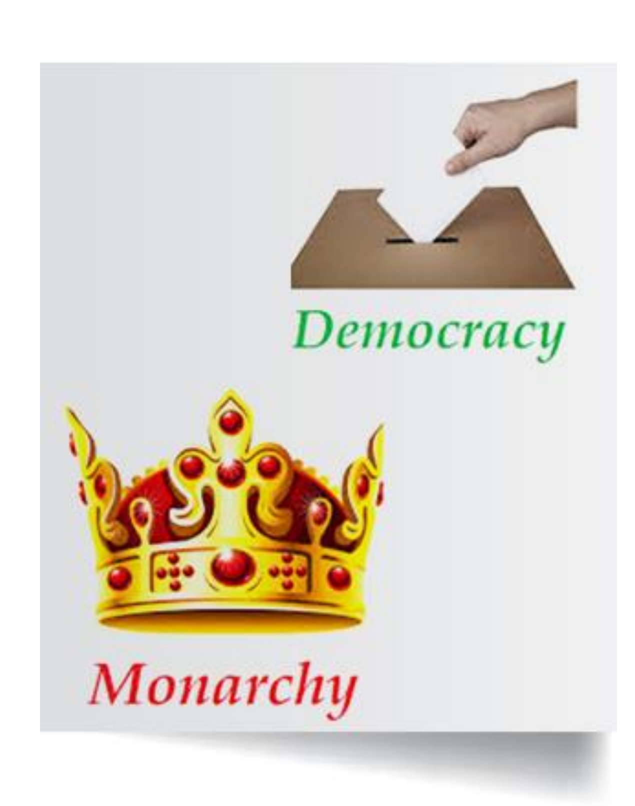
أما الشورى في النظام الإسلامي فهي عافية في مظلة الحكم الإسلامي الرشيد البعيد عن الاستبداد والاستعباد والفردية أو الدكتاتورية[1].

ومع هذا فإننا مازلنا نحترم المبدأ ونتطلع إلى ديمقراطية حقيقية وشورى سليمة، نحترمها ونحترم حصادها ومقوماتها، إذا لم تتصادم مع مبدأ آخر أسمى منها غير ميزات المصلحة.

– قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 499.[1]

ثانياً: تعريف الديمقراطية وأنواعها وخصائصها

تعريف الديمقراطية وحقيقتها:



هي كلمة يونانية، ومعناها في الفقه الدستوري القانوني حكومة الشعب، ثم أصبح للديمقراطية في العصر الحديث مفاهيم متنوعة بحسب النظرة إلى فهم حكومة الشعب، وصارت تدور في محورين أساسين: هما الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية، أما الأولى: فشعارها أنها حكومة بواسطة الشعب، والثانية: شعارها أن الحكومة لصالح الشعب، وهذان المحوران أساس الديمقراطية الحديثة[2].

لكن الشعب في الإسلام له مدلول معين أو شامل، وأما مبادئ الديمقراطية السياسية أو الاجتماعية في نطاق احترام الحقوق والحريات فهي محل اتفاق بين النظام الإسلامي والديمقراطية.

وبما أن أنظمة الحكم في العالم الغربي مرت بمراحل تطور أساسية، انتقلت من النظام الإقطاعي الإمبراطوري، والاستبدادي الملكي، حتى وصلت إلى نظام المجالس النيابية، فإن العالم وجد في الديمقراطية تحقيق حلمه وغايةَ أمله بعد صراع دام قرنين ضد السلطان المطلق للملوك في دول أوروبا[3].

– الديمقراطية الإسلامية, د.عثمان خليل، دار الجهاد، القاهرة، 1985م، ص 12.[2]

– قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي، ص 450، الإسلام والغرب, د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط1، 2007م، 103.[3]

إذن فالديمقراطية تُعد منهجاً في الحكم يهدف إلى وضع حد لثنائية الحاكم الفردي وسيطرة الكنيسة وغياب القانون.



ويهدف هذا المنهج إلى استبدال هذا الوضع القديم بآخر جديد هو وضع الدولة الحديثة التي يحكمها القانون باعتبارها معبراً عن إرادة الشعب وملزِماً للرئيس والمرؤوس معاً، ولبلوغ هذا الهدف يعتمد المنهج الديمقراطي على جملة من المبادئ الأساسية يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الشعب صاحب السيادة ومصدر السلطات والشرعية.
2. انبثاق السلطات بواسطة الانتخابات.
3. الإقرار للأغلبية أن تحكم وللأقلية بأن تعارض.
4. التعددية الحزبية.
5. التدوال السلمي للسلطة.
6. فصل السلطات.
7. احترام حقوق الإنسان.

فالديمقراطية هي نظام سياسي واجتماعي حيث الشعب هو مصدر السيادة والسلطة، فهو يحكم نفسه عن طريق ممثلين عنه.

أنواع الديمقراطية:

الشعب عند الديمقراطيين هو الذي يشرّع القوانين عن طريق السلطة التشريعية، وهو الذي ينفذها عن طريق السلطة التنفيذية، وهو الذي يقضي ويعاقب الخارجين عن القانون عن طريق السلطة القضائية، وبناءً على هذا تتنوع اليمقراطية إلى ثلاثة أنواع[4]:

النوع الأول:

الديمقراطية المباشرة وفيها يمارس الشعب مهام سن التشريعات إضافة إلى السلطة التنفيذية، ويعين الشعب موظفين يكلفون بتطبيق القرارات والتشريعات الصادرة عنهم.

النوع الثاني:

الديمقراطية شبه المباشرة وذلك بأن يَنتخب الشعب نواباً عنه فيناقشون القوانين والأنظمة التي صدرت، ويمتلك هؤلاء النواب تعيين السلطة التنفيذية، كما أن لهم الحق في محاسبة هذه السلطة، وأما التشريعات فتُعرض على الشعب ويصادَق عليها بطريق الاستفتاء.

النوع الثالث:

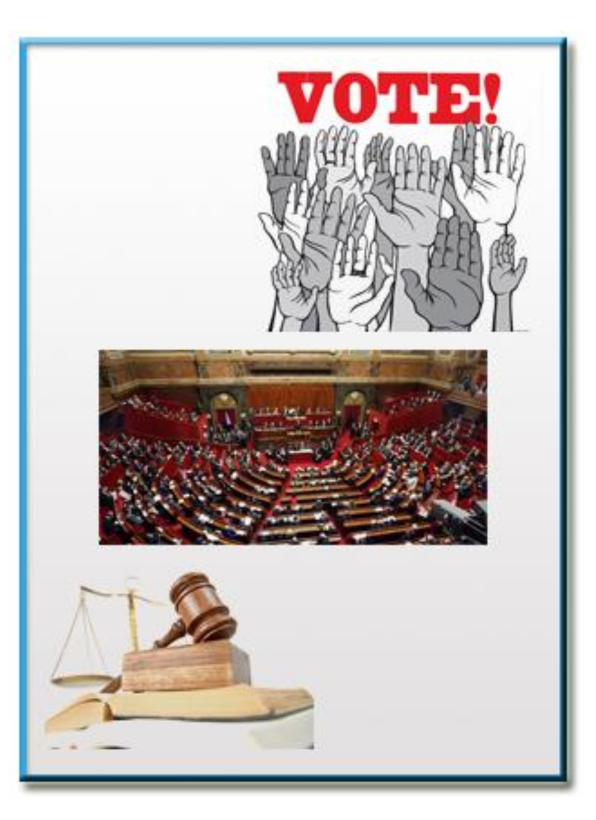
الديمقراطية التمثيلية وذلك بأن ينتدب الشعب عنه النواب لممارسة السلطة باسمه ما عدا الدستور، وأما حق الانتخاب فيكلفه الدستور، لذلك قيل عن الديمقراطية إنها حكم الشعب للشعب، أو حكم الشعب بنفسه لنفسه، ومعنى هذا أن الشعب هو مصدر السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، والسلطة التشريعية بممثليها هم الذين يصنعون الدستور ويضعون القوانين والتشريعات والنظم التي تحكمه، فالديمقراطية بمعناها الحديث تعني فصل الدين عن الدولة بمعنى أنه لا علاقة للدين بالتشريع، وهو ما يسمى عند الديمقراطيين بـ (العلمانية)، وبناءً على هذا – أي فصل الدين عن الدولة – فلا يشترط في القوانين والأنظمة الديمقراطية موافقتها للتشريع الإسلامي والقوانين الشرعية طالما أن الشعب قد وافق عليها هو وممثلوه[5].

---

[4] – النظم الإسلامية, د.ولي الدين فرفور، دار الفرفور، ط1، 2014م، ص 143, ويغالطونك إذ يقولون, د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، ط3، 2000م، ص 125 فما بعد.

[5] – مقدمة في فقه النظام السياسي الإسلامي, محمد بن شاكر الشريف، ص 51.

خصائص الديمقراطية:



1- ينتخب الشعب ممثليه عن طريق انتخابات عامة.

2- تمارس الأغلبية المنتخبة الحكم، وهذه الأغلبية الصادرة عن فئات الشعب المختلفة هي سياسية بالتعريف، وليست عرقية أو إثنية أو دينية.

3- تصان حقوق المعارضة.

4- تصان الحريات العامة للمجتمع، زمنها حرية العقيدة والتعبير والصحافة.

5- وجود دولة القانون التي تحترم وتضمن حقوق المواطنين والمساواة بينهم.

6- ضمان عدم الجمع بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

7- ترسيخ مبدأ الدستورية، أي أن السلطات والمواطنين يحترمون الدستور ويرجعون إلى القضاء لحل الخلافات.

ثالثاً: مرتكزات الديمقراطية وغاياتها

تعتمد الديمقراطية على أساسين[6]:

الأول: تحقيق معنى الديمقراطية السياسية (حكومة الشعب) والديمقراطية الاجتماعية (الحكومة للشعب).

الثاني: توفير الحقوق والحريات، وهو هدف كل حكم ديمقراطي وغايته.

والحقوق العامة السياسية ترجع في الفقه الغربي إلى دعامتين هما: المساواة والحرية.

أنواع المساواة:

1. مساواة أمام القانون: أي أن الناس جميعاً سواء في تطبيق القانون، لا يتميز أحد عن أحد.
2. مساواة أمام القضاء: أي ألا يتميز أشخاص على غيرهم من حيث القضاء أو المحاكم أو العقوبة.
3. مساواة التوظيف: أي لا تميَّز فئة من المواطنين على غيرها في تقلد الوظائف العامة، إذا توافرت شروط التوظيف، ومنها المؤهلات المطلوبة.
4. مساواة في التكاليف العامة من ضرائب ورسوم وخدمة عسكرية.

أنواع الحرية:

1. حرية شخصية: وهي قدرة الشخص على ممارسة أي عمل لا يضر بالآخرين.
2. حق التملك: وهو الاعتراف بحق الملكية الفردية لكل إنسان.
3. حرمة المسكن: وهي أن يكون لكل فرد حق الانتفاع في سكنه دون إزعاج أو إقلاق من أحد.
4. حرية العمل: وهي حرية ممارسة أنواع النشاط التجاري والصناعي والزراعي والمهن الحرة.
5. حرية العقيدة والعبادة: الأولى في القلب، ولا سلطان لأحد غير الله تعالى فيها، والثانية: ممارسة الشعائر الظاهرة وأداء المناسك دون تقييد أو منع.
6. حرية الرأي والتعبير والاجتماع: وهي قدرة الإنسان على التعبير عن وجهة نظره بمختلف وسائل التعبير والنشر.

---

[6] – قضايا الفقه والفكر المعاصر, د.وهبة الزحيلي، ص 452-453.

7. حق التعليم وحرية التعليم: وهي تمكين الإنسان من أخذ العلم عمن يشاء، ويعلم من يشاء.
8. حق التظلم: وهو حق الإنسان في أن يتقدم بشكواه أو مطالبه أو ملاحظاته إلى السلطة العامة، إما لدفع ضرر أو للمساس بحقوقه وحرياته، إذا كان القصد من استعمال هذا الحق تحقيق مصلحة عامة.



هذه الحقوق والحريات، سواء منها في المساواة بأنواعها أم ممارسة الحريات وتقريرها سبق النظام الإسلامي إلى تقريرها والإلزام باحترامها وكفالتها من دون تمييز بسبب الجنس أو اللون، أو العرق أو الدين والمذهب، أو اللغة أو الأصل والانتماء، بل إن الإسلام بهذا السبق كان في الحقيقة هو مصدر الإلهام بهذه الحقوق والحريات، وهو أول من أيقظ الضمير الإنساني إلى ضرورة رعايتها واحترامها، وتعتمد أدلة هذه الحقوق والحريات على صريح نصوص الشريعة في القرآن والسنة، ومواقف الخلفاء والراشدين في هذا المجال[7].

[7] – الإسلام دين الشورى والديمقراطية, د.وهبة الزحيلي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1999م، ص 63 فما بعد.

رابعاً: الديمقراطية المحلية والديمقراطية العالمية



إن الممارسات الديمقراطية الأوروبية والأمريكية أصبحت ترشد إلى أن هناك ديمقراطية محلية، وديمقراطية عالمية، فإذا حدث تناقض أو تضاد بينهما، فتغلب الديمقراطية العالمية على الديمقراطية المحلية بسبب الاستكبار والهيمنة وحب التسلط والترويج لظاهرة العولمة، وهي التي تتبناها أمريكا وأوروبا، وتتضمن وجود معانٍ جديدة وقيم جديدة في إطار السياسة الدولية والاقتصاد الشمولي والثقافة والاجتماع.

فهناك عولمة ثقافية، وعولمة اقتصادية، وعولمة اجتماعية، وعولمة سياسية.

والعولمة تعني: سيطرة الدول الكبيرة والغنية على الدول الفقيرة، والعولمة في مظهرها الأساسي: تكتل اقتصادي للقوى العظمى للاستثمار والظفر بثروات العالم، مواده الأولية وأسواقه على حساب الشعوب الفقيرة[8].

إن الفئات الرأسمالية والدول ذات السيادة تسعى إلى إخضاع الدول الصغيرة ويتمثل ذلك في:

1. التحكم في مسار تطور البنى التقليدية بالقدر الذي يسمح بتصريف منتجات الدول الرأسمالية والدول الكبرى، والسعي الجاد إلى إيجاد أسواق جديدة.
2. توظيف العلم للاختراق الثقافي بهدف طحن الهوية الوطنية والهيمنة على الثقافة كماً وكيفاً.
3. دعم سياسات المؤسسات الدولية، مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وتشجيعه على الخصخصة في العالم.

---

[8] – ما العولمة؟, حسن حنفي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2003م، ص 22.

ولقد برز التعارض بين الديمقراطية المحلية والديمقراطية العالمية حين أفرزت الانتخابات في الجزائر عام 1991 انتصار جبهة الإنقاذ، وتبرّم أوروبا ولاسيما فرنسا بهذه النتيجة، وعدم السماح لوجود أي حكم إسلامي في الجزائر، ولو كان ذلك بتأييد شعبي كاسح، وتأكد هذا أيضاً برفض الاتحاد الأوروبي وكذا أمريكا لنتائج الانتخابات في النمسا عام 2000م ، حيث أفرزت الديمقراطية النمساوية الداخلية مشاركة جزئية لحزب الحرية اليميني في



السلطة، وأصبحت النمسا منذ مطلع شباط يحكمها ائتلاف يشارك فيه المحافظون واليمين المتطرف مما أحرج شركاءها الأوروبيين، فجمدت الدول الأعضاء في أول قمة أوروبية بعدئذٍ علاقاتها جغرافياً وتاريخياً[9]، ومع ذلك تصبح النمسا مدانة لنجاح جزئي لحزب يميني متطرف يعبر زعيمه عن إعجابه ببعض رسائل النازية الألمانية، ولا يتردد عن أخذ مواقف متطرفة من الهجرة والعولمة وطغيان المثال الأمريكي في الثقافة والاستهلاك.

[9] – مقال للدكتور أحمد القديدي في صحيفة الوطن، العدد 1635, نقلاً عن قضايا الفقه والفكر المعاصر، د.وهبة الزحيلي 456-457.

خامساً: مفهوم الشورى وأهميتها

مفهوم الشورى:

الشورى هي: طلب الرأي ممن هو أهل له، أو هي: استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها[10].

وعليه فقد اتخذ المسلمون الشورى أصلاً وقاعدة من أصول الحكم وقواعده، وعليها قام ترشيح العدول من المسلمين لمن يرونه أهلاً للقوة والإمامة لتولي أمرهم، ومما يؤكد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك نصاً مكتوباً ولم يستخلف أحداً ليتولى إمامة المسلمين، وإنما ترك الأمر شورى بينهم، وقد روى أبو وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يُرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم.

أهمية الشورى:

تعدّ الشورى أصلاً من الأصول الأولى للنظام السياسي الإسلامي، بل امتدت لتشمل كل أمور المسلمين، وتأسيساً على ذلك فإن الدولة الإسلامية تكون قد سبقت النظم الديمقراطية الحديثة في ضرورة موافقة الجماعة على اختيار من يقوم بولاية أمورها ورعاية مصالحها وتدبير شؤونها، مما يؤكد قيمة وفعالية الإجماع عند المسلمين[11].

لكن من هم أهل الشورى؟

هناك اتفاق بأن الشورى في الإسلام منوطة بفئة معينة من المسلمين يطلَق عليهم (أهل الحِل والعَقد)، وقد تحدث الفقهاء عن ضرورة توافر بعض الشروط فيهم وهي: العدالة والعلم، والرأي والحكمة، من ثم يمكن إجمالهم في العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم[12].

---

[10] – نظام الدولة في الإسلام وعلاقتها بالدول الأخرى, جعفر عبد السلام، الناشر رابطة الجامعات الإسلامية، 1977م، ص 199.

[11] – تاريخ النظم والحضارة الإسلامية, فتحية النبراوي، دار الفكر العربي، ط1، 2008م، ص 24.

[12] – امتهاج الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محي الدين النووي، 2005م، ص 17/7.

لذلك كانت الشورى من الأمور الضرورية التي يفرضها الإسلام على ولاة الأمور، ويمكن القول: إنها من أهم المظاهر الحضارية التي أسهم المسلمون في إيجادها وإرسائها في المجتمع الإسلامي، وتأثر بها الآخرون، وبخاصة في أوروبا منذ القرن الثالث عشر الميلادي، ولذلك كانت الشورى نوعاً من التعبير عن الإرادة استناداً إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)[13].

سادساً: مجالات الشورى وحكمها

1. مجالات الشورى:

إن للشورى مجالات عامة وخاصة:

- أما مجالاتها الخاصة: فكالمشاورة في بيع شيء ما أو شرائه، أو علاج أو سكن أو سفر أو غير ذلك من الأمور.
- وأما مجالاتها العامة: فقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال، وإليك بيانها:
  - قيل: الشورى مشروعة في أمور الحرب والسلم.
  - وقيل: إنها مشروعة في أمور الدنيا.
  - وقيل: إنها مشروعة في كل أمر ليس فيه قواطع الأدلة، والصحيح أن الشورى تغطي كل المجالات الاجتهادية التي ليس فيها نص قاطع من كتاب أو سنة[14].

2. حكم الشورى:

- حكم الشورى نفسها الذي عليه علماء السلف أن الشورى مندوب إليها وليست بواجبة، وأما الذي عليه عامة المتأخرين والمعاصرين من العلماء أن الشورى واجبة[15]، ويفصل بعض المعاصرين من العلماء فيرى أن الشورى تجب في بعض المسائل دون بعض[16].

- رواه ابن ماجة في سننه, كتاب الفتن، رقم الحديث، 395.[13]

- فقه الشورى والاستشارة, د.توفيق الشاوي، دار الوفاء للنشر، 1992م، ص 101 فما بعد.[14]
- الشورى وأثرها في الديمقراطية, د.عبد الحميد الأنصاري، دار الفكر العربي، ط1، 1998م، ص 541.[15]
- النظم الاسلامية, د.ولي الدين فرفور، دار الفرفور، ط1، 2014م، ص 132.[16]

- وأما حكم العمل بما أدت إليه الشورى: بمعنى هل الشورى ملزمة أو غير ملزمة، فالذي عليه جمهور علماء السلف أن ولي الأمر لا يجب عليه ترك رأيه لرأي أهل الشورى أو غيرهم[17].
- والذي عليه أكثر العلماء المعاصرين أن ولي الأمر يجب عليه أن يترك رأيه لرأي أغلبية الشورى[18].

سابعاً: الفرق بين الشورى والديمقراطية

إن نظام الشورى يختلف كثيراً عن النظم الديمقراطية الوضعية، فالديمقراطية التي تُعد حكم الشعب للشعب ينتج عنها أن الشعب هو الذي يضع دستوره وقوانينَه، وهو السلطة القضائية التي تحكم بين الناس بتطبيق القوانين الوضعية، وحتى يتمكن الشعب من مباشرة سلطة التشريع، ووضع القوانين والفصل بين السلطات، يتم اللجوء إلى إجراء انتخابات عامة، والتي ينتج عنها اختيار مجموعة من الأفراد يكونون قادرين على مراقبة سائر السلطات، فمن حق هذه الهيئة المنتخبة عزل الوزراء، ومحاسبة المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الدولة.

ومع وجاهة هذا الأمر إلا أن نظام الشورى الإسلامي يختلف عن هذا التصور، فالشورى في الإسلام تقوم على حقيقة مفادها:

إن الحكم هو حكم الله المنزّل بواسطة الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يُعد الالتزام به أساسَ الإيمان، والعلماء هم أهل الحِل والعَقد، وهم على رأس رجال الشورى، وليس للعلماء مع حكم الله في إطار الشورى إلا الاجتهاد في ثبوت النص، ودقة الفهم، ورسم الخطط المنهجية للتطبيق.

والحق أن النظام الديمقراطي سهلٌ التحايل عليه من خلال سيطرة بعض الأحزاب أو القوى على العمل السياسي في دولة من الدول، ومن ثم يفرض هذا الحزب أو تلك الفئة وجهة نظرها على الأمة.

لكن الشورى تجعل الهيمنة لله وحده، فتُعلي حكمه وتشريعَه على سائر الأحكام والتشريعات، فتؤدي إلى ظهور رجال يعيشون في معية الله ويخشونه بصدق.

---

[17] – شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997م، 534/2.

[18] – الشورى وأثرها في الديمقراطية, د.عبد الحميد الأنصاري، ص 111.

خلاصة:

إن الديمقراطية ثمرة نضال طويل في الغرب والشرق ضد أنظمة التسلط والاستبداد والحكم الفردي، أو الملكي المستبد الذي يزعم استناده إلى تفويض إلهي مقدس في ممارسة الحكم المتسلط.

والشورى هي الأسلوب الأمثل لممارسة الديمقراطية، وإشعار الإنسان بكرامته وحريته وإنسانيته، والإفادة من طاقاته ومواهبه ومعارفه.

أنواع الديمقراطية: الديمقراطية المباشرة، الديمقراطية شبه المباشرة، الديمقراطية التمثيلية.

للديمقراطية العديد من الخصائص والمرتكزات والغايات.

هناك العديد من المجالات للشورى منها العامة والخاصة.

إن نظام الشورى يختلف كثيراً عن النظم الديمقراطية الوضعية، فالديمقراطية تُعد حكم الشعب للشعب، أما الشورى تقول إن الحكم هو حكم الله المنزّل بواسطة الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يُعد الالتزام به أساسَ الإيمان، والعلماء هم أهل الحِل والعَقد، وهم على رأس رجال الشورى.

تمارين:

1. عرف الديمقراطية واذكر أنواعها.
2. عدد خصائص الديمقراطية.
3. بيّن مرتكزات الديمقراطية وغاياتها.
4. عرف الشورى واذكر أهميتها.
5. بيّن بالتفصيل الفرق بين الشورى والديمقراطية.
6. اختر الإجابة الصحيحة:

الشورى هي:

A. حكومة الشعب.
B. طلب الرأي ممن هو أهل له.
C. التخويف لأعداء الله وأعداء المسلمين.

الإجابة الصحيحة: B طلب الرأي ممن هو أهل له.

المراجع:

1. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى الباب الحلبي، القاهرة، ط1، 1970م.
2. الإسلام والغرب، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط1، 2007/1428.
3. الديمقراطية الإسلامية، د.عثمان خليل، القاهرة، دار الجهاد، 1958م.
4. النظم الإسلامية، د.ولي الدين الفرفور، دار الفرفور، ط1، 2014/1435.
5. ويغالطونك إذ يقولون، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، ط3، 2000/1421.
6. مقدمة في فقه النظام السياسي الإسلامي، محمد بن شاكر الشريف، من دون معلومات.
7. الإسلام دين الشورى والديمقراطية، د.وهبة الزحيلي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1999م.
8. ما العولمة؟، حسن حنفي، دار الشروق القاهرة، 2003م.
9. نظام الدولة في الإسلام وعلاقاتها بالدول الأخرى، د.جعفر عبد السلام، الناشر رابطة الجامعات الإسلامية، 1977م.
10. تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، د.فتحية النبراوي، دار الفكر العربي، ط1، 2008م.
11. منهاج الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محي الدين النووي، دار الفكر، ط1، 2005/1425.
12. فقه الشورى والاستشارة، د.توفيق الشاوي، دار الوفاء للنشر، ط1، 1992م.
13. الشورى وأثرها في الديمقراطية، د.عبد الحميد الأنصاري، دار الفكر العربي، ط1، 1998.
14. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997/1417.